

دراسات في تاريخ المدن الأندلسية

من مدن وحصون طليطلة

(مدريد - وادي الحجارة - أقليمش - طلمنكة)

جميع الحقوق محفوظة
الكتاب: دراسات في تاريخ المدن الأندلسية
من مدن وحصون طليطلة
(مدير - وادي الحجارة - أقليمش - طلمنكة)
المؤلف: الأستاذ الدكتور جاسم ياسين الدرويش
الأستاذ المساعد الدكتور حسين جبار العلياوي
الطبعة الأولى: ٢٠١٨
تصميم الغلاف: أمينة صلاح الدين



طباعة. نشر. توزيع

دمشق/ جوال: ٩٤٤٦٢٨٥٧٠ - ٠٠٩٦٣

Email: akramaleshi@gmail.com

دراسات في تاريخ المدن الأندلسية

من مدن وحصون طليطلة

(مدريد – وادي الحجارة – أقليمش – طلمنكة)

الأستاذ المساعد الدكتور

الأستاذ الدكتور

حسين جبار العليايوي

جاسم ياسين الدرويش

جامعة البصرة – كلية التربية للعلوم الإنسانية

المقدمة

حكم المسلمون الأندلس للمدة بين(٩٢-٨٩٧هـ / ٧١٠-١٤٩١م) فأقاموا هناك حضارة شامخة تركت بصماتها في التاريخ بحيث يصعب على كل دارس تجاهلها ، وكان من أهم مظاهر تلك الحضارة هي ازدهار المدن في ظل الحكم الإسلامي ، إذ عمل الحكام والأمراء المسلمون هناك وعلى مختلف حقب التاريخ الأندلسي على بناء المدن وتوسيعها وإعمار القديم منها حتى عجت بالحياة في مختلف جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعمرائية ، ومن هذا المنطلق جاءت دراستنا للمدن الأندلسية لما تمثله كل مدينة هناك من أنموذج مصغر للتاريخ الأندلسي بكل مراحلها وما يحمله من ازدهار وانحطاط ووحدة وتمزق.

وتأتي مدن الثغور في مقدمة اهتمامات الحكام والأمراء آنذاك وذلك لأهميتها العسكرية وما تشكله من خطورة على أمن الدولة ووحدها ، لذلك قاموا بأعمارها وشحنها بالمقاتلة وما تحتاجه من وسائل الدفاع ، واستمرت مدن الثغور تؤدي وظيفتها حتى منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي عندما سادت حالة من الفوضى السياسية التي اجتاحت الأندلس خلال عصر

الطوائف (٤٢٢-٤٨٤هـ / ١٠٣٠-١٠٩١م) ، فكان انهيارها أذان بسقوط الخطوط الدفاعية الأندلسية الواحدة تلو الأخرى ، ومن هنا تأتي أهمية دراسة مدن الثغور وما شهدته من تطور وانحدار وتأثير ذلك على مجرى الحياة العامة على الساحة الأندلسية.

وفي مقدمة مدن الثغور تلك التي أقامها المسلمون لحماية مدينة طليطلة سواءً من هجمات النصارى أم من الانتفاضات المستمرة التي شهدتها المدينة من الفتح سنة ٩٢هـ/٧١١م حتى سقوطها بيد النصارى سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م ، ساعدها في ذلك عوامل عدة منها موقع طليطلة الجغرافي ، فهي متوسطة لبلاد الأندلس ، فقد وصفها ابن بسام بقوله: ((وهي من الجزيرة كنقطة الدائرة ، وواسطة القلادة ، تدركها من جميع نواحيها ، ويستوي في الأضرار بها قاصياً ودانيها))^(١) ، وتقع على هضبة يصل متوسط ارتفاعها إلى ٦٥٠م وهي عبارة عن مرتفع قديم حولته عوامل التعرية إلى سطح مستو ، ويبرز موقفاً قمم سلاسل جبلية يصل ارتفاعها في بعض الأماكن إلى ٢٠٠٠م ، وتنفصل عن بعضها بممرات ومضايق ومنخفضات متفرعة تسمح بالمرور داخل الهضبة ، كما تحترقها أنهار تاجة وأنه^(٢) ، ويحيط نهر تاجة بمدينة طليطلة من ثلاث جهات على شكل قوس يقرب من ثلثي الدائرة ، وقد وصف ابن حيان ما أحدثه نهر تاجة من تعقيدات جغرافية تحيط بطليطلة بقوله: إن هذا النهر عندما يصل على ((نحو ستين ميلاً من طليطلة

١ (الذخيرة، ٣/٢٤٩ .

٢ (حتاملة، ايبيريا ٢٩ .

فتضغطه هناك جبال إلى مضيق يسمى قلاقق بين جبلين فتصير سعته هناك نحو سبعة أذرع ، وعمقه ما لا يعلمه إلا الله ، عز وجل ، فينحدر بين ذينك الجبلين على شُنعة عمقه من الانصباب يُسمع لانحداره أصوات هائلة على بعد مكانه ، ثم يتسع بعد نفوذه من تلك الضيقة ويتسرح جريانه ، إلى أن يأتي باب طليطلة من جهة مشرقها الصيفي ، فيتعطف إلى جنوبها وينضغط هناك تحت قنطرتها ذات القوس الواحد الهائلة الصنعة ، ثم يمر فيستدير جوالي جنوبها كله إلى مغاربها الشتوية ، ويصير حوالها قريباً من ثلثي دائرة ، ثم يأخذ نحو مغاربها الصيفية...^(١).

من هذا الوصف الموجز يتضح مدى تأثير البيئة الجغرافية على الأحداث التي مرّت بها المدينة تحت الحكم الإسلامي ، فقد شجعت وبشكل كبير على بث روح التمرد والثورة ضد حكومة قرطبة وقدمت الحماية الطبيعية لهم ، فنهر تاجة إلى جنب السلاسل الجبلية العالية جعل من الصعب على الجيوش الوصول إليها إلا بعد جهد كبير فضلاً عن الوقت الذي تحتاجه ما يجعلها تصل إلى طليطلة وهي منهكة.

ولسنا بصدد استعراض الحركات التي قامت في طليطلة في الحقبة الإسلامية ، ولكن نظرة سريعة لبعض الأحداث خلال مدة حكم عبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ / ٧٥٥-٧٨٨م) تظهر كيف

١) المقتبس (للحقبة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م)، ص ٢٧٨ - ٢٧٩.

أن المدينة كانت في الغالب محل جذب واستقطاب للخارجين على السلطة ، فيوسف الفهري عندما فرّ أمام قوات عبد الرحمن الداخل سنة ١٤٤هـ / ٧٥٨م توجه إلى طليطلة للاحتماء بها^(١) ، ثم ثورة هشام بن عذرة الفهري سنة ١٤٤هـ / ٧٦١م والتي استمرت أعواماً عديدة^(٢) ، بعدها ثار أحد قادة عبد الرحمن ويدعى السلمي وفرّ نحو طليطلة وتحصن بها^(٣) ، كما أن محمد بن يوسف الفهري عندما فرّ من سجنه سنة ١٦٨هـ / ٧٨٥م توجه نحو طليطلة^(٤) ، وبعد مقتله خلفه في الثورة أخوه القاسم بن يوسف الفهري^(٥) ، وبهذا فإن طليطلة شهدت في مدة حكم عبد الرحمن الداخل خمسة ثورات أخذت منه الكثير من الجهد والمال.

واستمرت مدينة طليطلة مصدر قلق كبير للسلطة في عصري الإمامة (١٣٨-١٣١٦هـ / ٧٥٥-٩٢٨م) والخلافة (٣١٦-٤٢٢هـ / ٩٢٨-١٠٣٠م) وهو ما دفع الدولة إلى أخذ الحيطة ببناء عدد من المدن والحصون المحيطة بها وشحنها بالمقاتلة تحسباً لأي طارئ. ومن جانب آخر فقد ارتبط إقامة تلك المدن والحصون المحيطة

-
- ١ (مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ٩١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٤٩/٢ .
 - ٢ (ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٩٤ .
 - ٣ (مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٠١ - ١٠٢؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٠٧ .
 - ٤ (ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١١١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٥٧/٢ - ٥٨ .
 - ٥ (ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١١٢؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٠٤/٢٣ .

بظليطة بالعلاقات العدائية مع الدويلات النصرانية الاسبانية والتي كانت تسعى جاهدة إلى الاستيلاء على ظليطة عاصمتهم القديمة ، فكانت المدينة هدفاً لغاراتهم بين الحين والآخر طيلة تلك المدة ، وهو ما دفع الدولة الإسلامية إلى إقامة تحصينات دفاعية لصد تلك الهجمات . وتعد مدن وحصون مجريط ووادي الحجارا وأقليش وظلمنكة من أهم تلك المراكز التي أنشأت أول الأمر لأسباب دفاعية ثم تحولت مع مرّ الأيام إلى مدن عامرة ازدهرت فيها الحياة بمختلف جوانبها وأسهمت في بناء الحضارة الأندلسية فضلاً عن استمرارها في صد الهجمات عن ظليطة ومراقبة الأوضاع بها طيلة تلك المدة . ولأهمية هذه المدن فقد قمنا بدراستها كلاً منها على حده ، فسلطنا الضوء على الجغرافية التاريخية لكل مدينة من حيث موقعها وأهم مظاهرها الطبيعية ، كما تناولنا تاريخها السياسي وما مرّ بها من أحداث خلال عهود الدولة الإسلامية المختلفة حتى سقوطها بيد النصارى ، فضلاً عن بعض الجوانب الحضارية لكل منها ، مثل أهم الآثار الإسلامية فيها ، ثم أهم رجالاتها الذين أسهموا في ميادين العلوم المختلفة.

مدينة مجريط (مدريد) Magerit الأندلسية

٩٣ - ٤٧٦ هـ / ٧١١ - ١٠٨٣ م

أولاً: الجغرافية التاريخية لمدينة مدريد (مجريط Magerit)

تسمى المصادر الإسلامية مدريد باسم مجريط^(١)، ولم نجد في مصادرنا العربية القديمة التي بين أيدينا تفسيراً لمعنى مجريط، وفي كتب اللغة الجرط تعني الغصة^(٢)، واستدرك الزبيدي عليها بالقول: مجريطة مدينة بالمغرب منها الفيلسوف المجرطي^(٣)، كما ذكرها في مكان آخر بلفظ مرجيطة إلا أنه قال: إن مجريطة أشهر^(٤)، وفي فتاوى ابن حجر جاءت بلفظ آخر وهو منخريط، قال: ومنخريط من قرى الأندلس منها المخريطي^(٥)، وينطقها الأسبان أيضاً مجريط^(٦)، ولا نجد في المعنى اللغوي أعلاه تفسيراً شافياً. واختلف الباحثون المحدثون في تفسيرها، فذهب البعض إلى أنها

١ (ابن بسام، الذخيرة، ١٦٢/٧؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٢/٢؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٥٦؛ ابن الأبار، التكملة، ١٥/١؛ ابن سعيد، المغرب، ٧/٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٦٥/٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٥٢٣؛ ابن عبد الحق، مرآة الاطلاع، ١٢٣١/٢؛ ابن خلدون، العبر، ٢٧١/٧؛ وذكرها المراكشي مشريط، المعجب، ص ٢٦٤ وهو تصحيف.

٢ (ابن منظور، لسان العرب، ٢٧٩/٧؛ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص ٦٦١ (مادة جرط)

٣ (تاج العروس، ٩١/٢٠ (مادة مجرط).

٤ (تاج العروس، ٩٥ / ٢٠ (مادة مرجط).

٥ (الفتاوى الحديثية، ص ٩٣.

٦ (عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص ٣٣١.

كلمة تتألف من مقطعين: الأول عربي وهو (مجرى) ويشير إلى مجرى المياه ، والثاني إيتو وهو لاتيني ويعني الوفرة ، فهي تعني مجاري المياه الوفيرة^(١) ، وهناك من قال إن اسم مدريد هي من (ما دريد) أي (ماء دريد) بعد أن رخت همزة الماء^(٢) ، فيما أرجع البعض اسمها الأصلي إلى أورساريا Ursaria أي أرض الدببة وذلك لارتفاع عدد الدببة في الغابات المجاورة التي مع شجرة التوت بالأسبانية تسمى: مادرونو Madrono^(٣) ، وهناك من يرجع اسمها إلى القرن الثاني قبل الميلاد في العهد الروماني حيث بنيت قرية صغيرة على ضفاف نهر مانزانارس تعرف باسم ماتريس Matrice على اسم النهر ، وبعد فتح المسلمون لشبه الجزيرة الأيبيرية Iberia تغير الاسم لمجريط من مصطلح مجرى العربي وأيط الروماني الأيبيري بمعنى مكان^(٤).

كما اختلف الباحثون فيمن أول من أسسها أو استوطنها ، فهناك من ذهب إلى الأصل الإغريقي لها ، معتمداً على اكتشاف لصورة تنين منحوتة في بويرتا سرّادا (Puerta Cerrada) في أحد الأسوار القديمة وذلك سنة ١٠٠٥هـ/ ١٥٩٦م ، وأن الإغريق كانوا

١ (Stewart , Madrid. The History. p. 4. ؛ عجاج، مدريد، تاريخ عربي

يلفه النسيان، مقال على الموقع الإلكتروني : www.aljazeera.net.

٢ (ينظر: الخطابي، مدريد، حضور إسلامي على امتداد العصور، على الموقع الإلكتروني m.hwspress.com.

٣ (الموسوعة الحرة على البريد الإلكتروني : ar.m.wikipedia.org

٤ (الموسوعة الحرة على البريد الإلكتروني : ar.m.wikipedia.org

يستعملون التين في تزيين دروع المدن وبالتالي فإنها كانت ذات يوم مستوطنة هيلينية^(١) ، وهناك من أرجعها إلى العصر الفينيقي معتمداً على تأويل أن التين كان في الحقيقة أفعى ، وبالتالي فإن المدينة أوجدها الفينيقيون^(٢) ، أما الذين يدافعون عن الأصل الروماني للمدينة فزعمو أن رمز التين هو عبارة عن صورة للإله جوبيتر^(٣) .

وفي أحد الأساطير أن من أسس مدريد هو أوكنو بيبانور Ocho Bianor ابن الملك تيرينيسوس Tyrrhenius من توسكاني^(٤) ومانتوفا وكان اسم المدينة ميتراخيرتا Metragirta أو مانتو^(٥) .

ويرى Stewart أن مدريد كانت مستوطنة صغيرة شبه منسية ، وبحلول القرن الخامس الميلادي بدأت هذه القرية المهجورة والتي ستصبح مدريد فيما بعد بالامحاء من التاريخ ، وعلى الرغم من أن القوط الغربيين Visigoths أقاموا فيها بعض التحصينات الطفيفة ، إلا أنه ضاع ما قد تبقى فيها من حياة مدنية وتحولت إلى تجمع زراعي صغير ، وبحلول القرن السادس الميلادي أخذ الكثير من سكانها بالهجرة جنوباً إلى مدينة طليطلة Toledo التي أصبحت

1) Stewart , Madrid. The History. p . 3

2) Stewart , Madrid. The History. p.3.

3) Stewart , Madrid. The History. p . 3

٤ (توسكانيا مقاطعة في إيطاليا الوسطى قاعدتها فلورنسا، ينظر : الخوند،

الموسوعة الجغرافية التاريخية، ٤/٣١٨.

٥ (الموسوعة الحرة على البريد الإلكتروني : ar.m.wikipedia.org

أنداك مركز أسبانيا القوطية^(١) .

فيما ذهب باحث آخر إلى أن ما قيل إن مدريد كلمة عربية تعني مجرى المياه هو رأي اجتهادي وليس قاطع ، وأنها سميت باسم قبيلة بربرية نزلتها تدعى بني مجريط^(٢) ، ولم نجد في المصادر التي بين أيدينا قبيلة بربرية بهذا اللفظ ، ولعل هناك من التصحيقات في الأسماء ما يصعب التثبت منها ، فقد أشار ابن خلدون إلى أن من بطون قبيلة هوارة بنو مجريس كان موطنهم الأول في طرابلس^(٣) ، وذكر ابن حزم أن بعض بطون هوارة كانوا أمراء في الثغر الأندلسي منهم بنو رزين بالسهلة وبنو ذي النون بوذة^(٤) ، فإذا صح انتساب اسم مجريط إلى قبيلة بربرية فالأقرب إلى ذلك هم بنو مجريس لاسيما وأن من هوارة من سكن المنطقة ، وفي تقديرنا أن هذا مجرد افتراض وليس لدينا ما يقطع بذلك.

تقع مجريط في مقاطعة قشتالة الجديدة Castilla la Nueva ، على بعد ٥٠ كم من طليطلة^(٥) ، وهي أكثر عاصمة أوروبية ارتفاعاً عن سطح البحر ، إذ ترتفع بنحو ٦٧٠ م ، وهي عقدة مواصلات برية

1) Madrid. The History. p . 3

٢) الخطابى، مدريد، حضور إسلامي على امتداد العصور، على الموقع الإلكتروني m.hwspress.com.

٣) العبر، ١٨٣/٦، ١٨٧.

٤) جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩٩.

٥) السرجاني، العاصمة الأوربية التي أنشأها العرب، على الموقع الإلكتروني : islamicstory.com.

ونهرية^(١) ، فسلسلة الجبال المحيطة بها تتخللها ممرات توصلها بباقي المناطق ، منها ممر سوموسيرا Somosirra بين مدريد وبرغش Burgos ، وممر الأسود بين مدريد وبلد الوليد Valladolid ، وممر مالتقون Malagon الذي تمر فيه سكة الحديد الحالية بين مدريد وأفيللا ، فضلاً عن واد عميق بينها وبين شقوبية Segovia^(٢) .

وحسب المصادر الإسلامية فإن مجريط تقع في الثغر الأوسط ، قال المراكشي: ((وفي الحد المتوسط ما بين الجنوب والمغرب من المدن: مدينة طليطلة ، وكُونْكة ، وأفليج ، وطلبييرة ، ومكّادة ، ومشرّيط ، وويّدة ، وأبلّة ، وشقّوبية... وتسمى هذه الجهة قشّتال))^(٣) ، ويطلق الإدريسي على هذا النطاق من بلاد الأندلس اسم إقليم الشارات Montes des sierra^(٤) ، قال: ((إقليم الشارات وفيه طلييرة وطليلطة ومجريط والفهمين ووادي الحجارّة واقليش وويّدة...))^(٥) ، ومجريط تقع على سفح جبل الشارات Sierra Morada^(٦) ، الذي يبدأ مما يلي

١ (الخوند، الموسوعة الجغرافية التاريخية، ١/٣٦٢ ؛

Stewart , Madrid. The History. p . 3

٢ (حتاملة، ايبيريا، ص٣٢.

٣ (المعجب، ص٢٦٤.

٤ (معنى كلمة Sierra في اللغة الأسبانية المنشار، وقد نقل العرب إلى لغتهم الكلمة إلى شارة مفرد وشارات للجمع، وهي سلسلة الجبال التي تشبه في تعاقبها أسنان المنشار، كولان، الأندلس، ص٥٢ - ٥٣.

٥ (نزهة المشتاق، ٢/٥٣٨ ؛ ينظر أيضاً: كولان، الأندلس، ص٥٣.

٦ (الإدريسي، نزهة المشتاق، ٢/٥٥٢.

طرطوشة Tortsza شرقاً وينتهي عند لشبونة Lisbon غرباً^(١) ، وقال عنه الإدريسي: ((...وعلى بعد منها (أي مدينة طليطلة) في الجهة الشمالية الجبل العظيم المتصل المعروف بالشارت وهو يأخذ من ظهر مدينة سالم إلى أن يأتي قرب مدينة قلمرية في آخر المغرب...))^(٢) ، وهو يشق البلاد إلى نصفين ، قال الحميري: ((ما خلف الجبل المسمى الشارات في جهة الجنوب يسمى اشبانيا ، وما خلف الجبل من جهة الشمال يسمى قشتالة))^(٣) ، وقد وصف الوزير الغساني موقعها عند زيارته لها سنة ١١٠٢هـ/١٦٩٠م بالقول: ((فوصلنا إلى المدينة فإذا هي على روبة من الأرض في شفير وادٍ كبير ينحدر من جبال كثيرة الثلوج ، وهي الفاصلة بين هذه البلاد وبين قشتالة المعروفة بقشتالة القديمة ، ومدريد هي في قشتالة التي يسمونها قشتالة الجليدة ، وهذا الوادي هو كثير المياه في زمن البرد ، لما يحصل في هذه الجبال المذكورة من الثلوج ، ويسمى هذا الوادي مانسنارس))^(٤).

ومناخ مجربط موصوف بالتطرف ، فبسبب ارتفاعها الكبير عن مستوى سطح البحر وإحاطتها بالجبال جعلها جامعة بين الأضداد ، فمن لواقح البرد القارس إلى لواقح الحر المحرق ، ففي الشتاء تنخفض درجات الحرارة فيها إلى ١١ درجة تحت الصفر ، وفي الصيف

١ (مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص٤٦.

٢ (نزهة المشتاق، ٢ / ٥٥٢.

٣ (الروض المعطار، ص٤٨٣.

٤ (رحلة الوزير في افتكاك الأسير، ص٦٧.

تصل إلى ٤٣ درجة في الظل ، كما أن هواءها أما أن يكون عاصفاً يصرع الماشي أو منقطعاً حتى لا يظفيء المصباح ، فتقلبات الأحوال الجوية فيها أعجوبة من الأعاجيب^(١) ، وبسبب كثرة الجليد في أيام الشتاء في وديانها ، لذا شاعت فيها رياضة التزلج على الجليد ، وقد وصف الوزير الغساني هذه الرياضة بقوله: ((ولقد رأيت البعض من النصارى يرون على الجليد بهذا الوادي بأن يقف الرجل على رجلٍ واحدة ويرفع رجله الأخرى ويقيم نفسه مستقيماً بحيث لا يميل شقه إلى أحد الجانبين ، فيمر كالبرق))^(٢).

ويعر بالقرب من مدينة مجريط العديد من الأنهار أشهرها نهر تاجه Rio Tajo الذي يشق بلاد الأندلس من شرقها إلى غربها ومنابعه بالقرب من مدينة تطيلة Tudela ثم ينحدر نحو الجنوب الغربي ماراً بمدن وادي الحجارة Guadalajara ومجريط وتليظة ثم طلبيرة Talavera وشنترين Santarem ولسبونة حيث يصب في البحر المحيط^(٣) ، أما النهر الذي يمر بمدينة مدريد ويصب في نهر تاجه فقد سماه الوزير الغساني مانسنارس^(٤) ، ويدعى الآن

-
- ١ (أرسلان، الحلل السنديسية، ٣٤٧/١؛ ثودر، أسبانيا شعبها وأرضها، ص١٦٥.
 - ٢ (رحلة الوزير في افتكاك الأسير، ص٨٥ - ٨٦.
 - ٣ (مؤلف مجهول، حدود العالم، ص٦٧؛ البكري، المسالك والممالك، ٢٣٩/١ - ٢٤٠؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٣/٢؛ المراكشي، المعجب، ص؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٢٧؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص٤٨.
 - ٤ (رحلة الوزير في افتكاك الأسير، ص٨٧.

ماتناماريس (منشارس)^(١) ويبلغ طولها ٢٩ كم^(٢).
 أما أوصاف المدينة فجاء في العديد من المصادر لاسيما الجغرافية ،
 فالإدريسي عدداً أحد منابر^(٣) طليطلة ، وقال: ((...ولها من المنابر في
 سفح هذا الجبل مجريط وهي مدينة صغيرة وقلعة منيعة معمورة وكان
 لها في زمن الإسلام مسجد جامع وخطبة قائمة))^(٤) ، وذكرها ياقوت
 مرتين مرة باسم مجريط وقال: هي بلدة في الأندلس ثم ذكر عدد ممن
 انتسب إليها من المشاهير^(٥) ، ومرة أخرى بلفظ محريط وقال: هي
 مدينة بوادي الحجارة ثم ذكر من انتسب إليها من المشاهير وهم أنفسهم
 من أهل مجريط^(٦) ، ومما يدل على أن تصحيفاً وقع عنده فظن أنهما
 اثنين ، أنه ذكر ترجمة ممن انتسب إلى (محريط) المحدث سالم بن
 سعيد الثغري وقال عن ابن الفرضي ، وفي ابن الفرضي أن سالم بن
 سعيد الثغري من ساكني مجريط^(٧) ، كما ذكرها الحميري بالقول:
 ((مجريط مدينة بالأندلس شريفة بناها الأمير محمد بن عبد

١ (عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص٣٣١.

٢ الموسوعة الحرة على البريد الالكتروني : ar.m.wikipedia.org.

٣ المنبر تعبير أطلقه الجغرافيون العرب للتعبير عن أن المكان فيه مقر للعامل
 أو الوالي أو الأمير، ينظر: ناجي، دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية،
 ص٨٥ - ٩٥.

٤ نزهة المشتاق، ٢/٥٥٢.

٥ الأندلس من معجم البلدان، ص٢٥٦.

٦ الأندلس من معجم البلدان، ص٢٥٧.

٧ تاريخ علماء الأندلس، ص١٤٧.

الرحمن ، ومن مجريط إلى قنطرة ياقوه وهي آخر حيز الإسلام ، أحد وثلاثون ميلاً ، وفي مجريط تربة تصنع منها البرام وتستعمل على النار عشرين سنة لا تنكسر ، وما طبخ فيها لا يكاد يتغير في حر الهواء ولا برده ، وحصن مجريط من الحصون الجليلة ، وهو من بناء الأمير محمد بن عبد الرحمن^(١) ، وقال مؤلف مجهول: ((ومن أحواز طليطلة مدينة مجريط ، ومجريط مدينة متوسطة بناها الإمام محمد بن عبد الرحمن الأوسط ، وبها تربة عظيمة تصنع منها القدر ، وتستعمل للطبخ عشرين سنة وما تتغير أصلاً ، وتعصم الأطعمة من التغير في أيام الصيف))^(٢).

ثانياً: التاريخ السياسي والعسكري لمدينة مجريط

أول ذكر لمدينة مجريط في مصادرنا الإسلامية يعود إلى عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م) ، إلا أن المنطقة كان قد مضى على فتحها من قبل المسلمين حوالي قرن ونصف ، إذ أن مدينة طليطلة والمناطق المحاذية لها شمالاً قد فتحها طارق بن زياد سنة ٩٣هـ / ٧١١م ، فذكر مؤلف مجهول أن طارقاً بعد أن دخل طليطلة سلك إلى وادي الحجاره ثم استقبل الجبل فقطعه وبلغ مدينة خلف الجبل تسمى مدينة المائدة ثم مضى

١ (الروض المعطار، ص ٥٢٣؛ وينظر أيضاً: الرشاطي، الأندلس في اقتباس الأنوار،

ص ٥٧؛ ابن سعيد، المغرب، ٤٣/٢؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٩٤.

٢ (تاريخ الأندلس، ص ٩٦ .

إلى أمايه Amaya عاد بعدها إلى طليطلة وذلك سنة ٩٣هـ/٧١١م^(١) ، وبعد توغل الفاتحين شمالاً إلى منطقة الثغر الأعلى أصبحت طليطلة ونواحيها ممراً للجيوش العابرة إلى هناك سالكين الطريق الروماني القديم الذي يشق البلاد من جنوبها إلى شمالها وقد سلكه الرومان ثم المسلمون^(٢).

وخلال القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي حدث تطور مهم على الساحة السياسية والعسكرية في منطقة الثغر الأعلى الأندلسي ، إذ تمكن النصارى من تأسيس أول مملكة لهم بعد الفتح الإسلامي عرفت بمملكة ليون Leon ، وقد احتلت مساحة واسعة امتدت من بلاد البشكنس Bascona شرقاً حتى المحيط الأطلسي غرباً ومن خليج بسكاي Biscay شمالاً حتى نهر دويرة Rio Duero جنوباً وهذه المنطقة عبارة عن هضاب وعرة تفصلها عن مناطق نفوذ المسلمين جبال عالية^(٣) ، ثم أخذ خطرهما يزداد على أراضي المسلمين مع انشغال الأخيرين بمشاكلهم الداخلية ، فتمكنوا من إخراج المسلمين من العديد من الثغور ذكرها ابن الأثير بقوله ((...وأخرج المسلمين من ثغور البلاد وملك مدينة لك وبرطقال وشلمنقة وشمورة وشقوية وقشتالة ، وكل هذه من الأندلس))^(٤).

-
- ١) أخبار مجموعة، ص ٢٣ - ٢٤ ؛ ينظر أيضاً: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٣٥ ؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٤٤.
 - ٢) ينظر عن الطريق الروماني القديم: عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق ٢، ص ٣٠٤.
 - ٣) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ق ١، ص ٢١٣.
 - ٤) الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٩٣.

ومنذ نهاية القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي أخذت مملكة ليون النصرانية تسير بخطى ثابتة وحافظت على كيانها أمام الهجمات الكبيرة التي وجهها لها المسلمون ، وكانت تراقب عن كثب ما يجري على الساحة الداخلية الإسلامية في الأندلس ولاسيما ثورات المولدين^(١) ، وكانت مدينة طليطلة بحكم موقعها الجغرافي وطبيعة أرضها الجبلية وعدد سكانها من المولدين موطناً لثوراتهم ، فكانت أكبر ثوراتهم في عهد الأمير الحكم بن هشام (١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢١م) ففي سنة ١٨١هـ/٧٩٧م ثاروا على الأمير الحكم فأوقع بهم وقتل أعداداً كبيرة منهم فركنوا إلى الطاعة طيلة عهده وعهد ولده عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢١-٨٥٢م) ، وقد علق ابن حيان على ذلك بقوله: ((فذل أهل طليطلة بعد هذه الواقعة ، وهانوا وألقوا بأيديهم إلى طاعة الأمير الحكم... وذلّت نواصيهم واستقامت طاعتهم بقية أيام الحكم ، ثم أيام ولده عبد الرحمن كلها ، ولم يبعُد أن انجبرت صدوعهم ، وأبروا وكثروا ، فلما هلك عبد الرحمن وولي ابنه محمد عاجلوه بالخلع ، وتهافتوا إلى الحرب ، فنشروا فتنتهم ، وعادوا إلى أسوأ أعمالهم ، وطالت مدة الخلاف بهم ، فما استقامت لهم طاعة...))^(٢).

بويج الأمير محمد بن عبد الرحمن في ((يوم الخميس لثلاث

١ (المولدون هم أولاد الذين نشئوا على الإسلام من الأسبان، مؤنس، فجر الأندلس، ص ٤٦٠ - ٤٦١ .

٢ (المقتبس (للحقبة ١٨٠ - ٢٣٢هـ / ٧٩٦ - ٨٤٦م) ص ١١٣، ١١٤ - ١١٥ .

خلون من ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين ومائتين))^(١) وبعد أحد عشر يوماً ((ثار أهل مدينة طليطلة أجمعهم يوم السبت لأربع عشرة خلت من ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين ومائتين وقت صلاة الظهر...))^(٢) ، وكان فيها آنذاك ابن الأمير محمد سعيد بن محمد بن عبد الرحمن وعاملها الحارث بن بزيع ، فنجا منهم ابن الأمير وأسروا عاملها الحارث ولم يطلقوه إلا بعد أن أطلق رهائنهم في قرطبة Cordoba^(٣) ، وتكمن خطورة ثورة أهل طليطلة هذه في أنهم كما يقول ابن حيان ((...أول من استجاش بالمشركين جيرانهم نصارى أهل دار الحرب على المسلمين إخوانهم ، ...))^(٤) ، وفي أول إجراء اتخذه الأمير محمد لحماية قرطبة أنه أعاد بناء قلعة رباح Calatrava la Vieja الواقعة إلى الجنوب من طليطلة وأتقن سورها واسترجع أهلها الذين فروا خوفاً من أهل طليطلة ، ووضع فيها حامية من الجند وذلك سنة ٢٣٩هـ / ٨٥٣م^(٥) .

وفي سنة ٢٤٠هـ / ٨٥٤م خرج الأمير محمد نفسه على رأس قوة كبيرة نحو طليطلة ((فلما اتصل بأهلها ذلك ، أرسلوا إلى أردن بن

١ (ابن حيان، المقتبس (للقبلة 232- ٢٦٧هـ / ٨٤٦- ٨٨٠م) ص ١٠٢ .

٢ (ابن حيان، المقتبس (للقبلة ٢٣٢- ٢٦٧هـ / ٨٤٦- ٨٨٠م) ص ٢٩٢- ٢٩٣ .

٣ (ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/ ٩٤ .

٤ (ابن حيان، المقتبس (للقبلة ٢٣٢- ٢٦٧هـ / ٨٤٦- ٨٨٠م) ص ٢٩٥ .

٥ (ابن حيان، المقتبس (للقبلة ٢٣٢- ٢٦٧هـ / ٨٤٦- ٨٨٠م) ص ٢٩٣- ٢٩٤ ؛

ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/ ٩٤ .

إذفونش صاحب جليقية ، يعلمونه بحركته ويستمدون به ، فبعث إليهم أخاه غثون في جمع عظيم من النصارى ، فلما اتصل ذلك بالأمر محمد ، وقد كان قارب طليطلة ، أعمل الحيلة والكيد ، واستشعر الحزم ، فعبأ الجيوش ، وكمن الكمائن بناحية وادي سليط ، ثم نصب الردود ، وطلع في أوائل العسكر في قلة من العدد ، فلما رأى ذلك أهل طليطلة ، أعلموا العليج بما عاينوه من قلة المسلمين ، فتحرك العليج فرحاً ، وقد طمع في الظفر والغنيمة وانتهاز الفرصة ، فلما التقى الجمعان ، خرجت الكمائن عن يمين وشمال ، وتواترت الخيل أرسلالاً على أرسلال ، حتى غشى الأعداء منهم ظلل كالجبال ، فانهزم المشركون وأهل طليطلة ، وأخذتهم السلاح ، هذا بالسيوف ، وطعنا بالرماح ، فقتل الله عامتهم ، وأباد جماعتهم ، وحيز من رؤوسهم مما كان في المعركة وحواليها ثمانية آلاف رأس ، وجمعت ورصعت ، فصار منها جبل علاه المسلمون ، يكبرون ويهللون ويحمدون ربهم ويشكرون...^(١)

بعد أن أمّن الأمير محمد مدينة قرطبة بتحسين مدينة قلعة رباح وكسر شوكة أهل طليطلة عمل على تأمين المناطق الشمالية لطليطلة ليحول بينها وبين النصارى ، ففي سنة ٢٤١هـ / ٨٥٥م عمل على تحصين مدينة طليطلة التي تبعد عن طليطلة سبعين ميلاً^(٢) إلى

١ (ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٩٤ - ٩٥ .

٢ (الإدريسي، نزهة المشتاق، ٢٥٥١؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٣٩٥ .

الشمال الغربي من طليطلة وشحنها بالمقاتلة^(١).

وأشارت المصادر إلى أن الأمير محمد بنى أيضاً لأهل ثغر طليطلة عدة حصون منها مجريط وطلمنكة Talamaca^(٢) وبنة فراطة^{(٣)(٤)}، وهما عبارة عن خطوط دفاعية في الثغر الأوسط المواجهة لمملكة ليون، ولم تحدد تاريخ ذلك، وبالنسبة إلى مجريط فإن عنان ذهب إلى أن الأمير محمد بناها في حدود سنة ٢٤٦هـ/ ٨٦٠م^(٥)، فالتجته أنظاره إلى تلك البقعة المهجورة التي هي موقع مدريد الحالية-فأنشأ فيها حصناً وقصراً له وأحاطها بسور بسمك اثنا عشر قدماً، ثم وضع خطأً من أبراج المراقبة التي وزعت بحيث تفصل الواحد عن الآخر مسافة خمسة وعشرين ميلاً على امتداد محور شرقي غربي تقريباً، ويمكن تحديد مواقع تلك الأبراج الآن، إذ أن برج تقابل في الأسبانية (توره)، وأسماء تلك الأبراج الآن هي: توره لاغونا، وتوره بيدريرا، وتوره سيّا، وتوره لا بيغا، فإذا اتجه المرء

-
- ١ (ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٩٥؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٩٥.
 - ٢ (تقع طلمنكة على بعد عشرين ميلاً من مدينة وادي الحجارة، الحميري، الروض المعطار، ص ٣٩٣.
 - ٣ (أسماءها ياقوت بنه وقال هي من أمال مدينة الفرج (وادي الحجارة) بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن، الأندلس من معجم البلدان، ص ٩٠.
 - ٤ (ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٢٣٢ - ٢٦٧هـ/ ٨٤٦ - ٨٨٠م) ص ١٣٢؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٩٢، ٢٥٧؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٣٩٣، ٥٢٣؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٩٦، ٩٧، ١٩٢.
 - ٥ (الآثار الأندلسية الباقية، ص ٣٣١.

إلى الشمال من مدريد على امتداد الطريق السريع فسيري برجاً بارزاً بشكل استثنائي ينتأ فوق لسان مرتفع لدى الاقتراب من تورّه لودونس على ثمانية عشر ميلاً من العاصمة^(١).

وعليه فإن مدينة مجريط تأسست لأغراض عسكرية يربط بها الجند لمراقبة تحركات النصارى من موقعها المنيع ، ثم توسعت بسبب حشدها بالمقاتلين حتى غدت مدينة ينزلها العمال والولاة ، وكان لها - كما قال الإدريسي- في زمن الإسلام مسجد جامع وخطبة قائمة^(٢).

كانت المنطقة المحصورة بين طليطلة ومدينة سالم **Medinaceli** نزلتها في أول الفتح مجموعة من قبائل مصمودة ، منهم سالم بن ورعمال المصمودي الذي نزل مدينة سالم ثم انتشر أفراد أسرته في الدائرة الواسعة المحيطة بها والتي تضم شنتبريه **Santebria** والسهلة **Albarracin** ووادي الحجارة التي نسبت إلى الفرج بن سالم فسميت مدينة الفرج نسبة إليه^(٣) ، وهي المدن التي أطلق عليها الاصطخري بمدن بني سالم^(٤) ، ويبدو أن نزول سالم وبنوه في مدينة سالم والمنطقة المحيطة بها كان بسبب خلوها من السكان^(٥) ، حيث

1) Stewart , Madrid. The History. p . 3

٢ (نزهة المشتاق، ٥٥٢/٢ .

٣ (الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٢/٢ .؛ طه، الفتح والاستقرار، ص ٢٨٥. ذكر اليعقوبي أن عليها في أيامه رحل من البربر يقال له مبتل بن فرج الصنهاجي يدعو لبني أمية، البلدان، ص ١١١ .

٤ (المسالك والممالك، ص ٣٥، ٣٦ .

٥ (المقري، نفع الطيب، ٢١٢/١ .

يقول المقري: إن ((العرب والبربر كلما مرّ قوم منهم بموضع استحسونه وحطوا به ونزلوا قاطنين))^(١) ، وهذا يعني إنهم استقروا بالمناطق غير المأهولة والتي تسمى بالصوافي وزاولوا فيها الزراعة وأدوا العشر إلى الحكومة^(٢) ، ويبدو أيضاً إن بني سالم استمروا يحتفظون بنفوذهم في المناطق التي استوطنوها منذ الفتح الإسلامي وكانوا أمراء على تلك المناطق في طاعة حكومة قرطبة ، فقد أشار اليعقوبي(ت في سنة ٢٨٤ هـ أو ٢٩٢هـ/٨٩٧م أو ٩٠٤م) إلى أن المنطقة من((طليطلة لمن أخذ مشرقاً إلى مدينة يقال لها وادي الحجارة ، كان عليها رجل من البربر ، يقال له مبتل بن فرج الصنهاجي ، يتولاها يدعو لبني أمية ، ثم صار ولده وذريته بعده إلى هذه الغاية في البلد))^(٣) ، وأشار ابن حزم أيضاً أن بني الفرّج هم من أمراء الثغر بوادي الحجارة^(٤).

وهذه الأسرة معروفة بولائها لإمارة قرطبة ففي سنة ٢٤٨هـ/٨٦٢م صاهر أرزاق بن متّيل بن سالم والي مدينة وادي الحجارة موسى بن موسى القسوي^(٥) فأثار ذلك غضب الأمير محمد لأنه رأى أنه

١ (المقري، نضح الطيب، ١/٢٢٠.

٢ (السامرائي، الثغر الأعلى الأندلسي، ص٩١.

٣ (البلدان، ص١١١.

٤ (جمهرة أنساب العرب، ص٤٩٩.

٥ (هو موسى بن موسى بن بن فرتون بن قسي تقلبت به الأحوال بين الطاعة والتمرد في منطقة الثغر الأعلى ثم ولي سرقسطة والثغر الأعلى للأمير محمد بن عبد الرحمن سنة ٢٤٨هـ/ ٨٦٢ م إلا أنه نكث وتغلب على الثغر وهاجم مدينة وادي الحجارة فقتله واليها في السنة نفسها، ينظر: ابن=

سيخسر الثغر الأوسط كما خسر الثغر الأعلى الذي تورد فيه موسى بن موسى فراسل أرزاق بن منتيل في ذلك فما كان من الأخير إلا أن جاء بنفسه إلى قرطبة معلناً استمراره في الطاعة ثم رجع إلى الثغر وحارب صهره موسى بن موسى وقتله^(١).

لذا نرجح أن الأمير محمد بن عبد الرحمن عندما بنى مدينة مجريط سلم إدارتها إلى أمراء الثغر من بني الفرج بن سالم ، وقد أشار ابن حيان في حوادث ٢٥٦هـ/ ٨٩٦م إلى أن أهل طيبلطة فارقوا الطاعة ، واختلفت أهواءهم ووثبوا على عاملهم فقتلوه ونفوا مسونة^(٢) إلى مجريط فقتله عاملها عبيد الله بن سالم وأرسل برأسه إلى الأمير محمد بقرطبة^(٣) ، وهذا الوالي هو سليل أسرة بني الفرج بن سالم الذين توارثوا حكم الثغر الأوسط^(٤) ، وعمل والي مجريط هذا يعكس مدى طاعة هذه الأسرة لبني أمية في قرطبة وفي الوقت نفسه ثقة الإمارة بها عندما أسندت إليها ولاية هذا الثغر المهم.

وقد استمرت هذه الأسرة تحكم المنطقة إلى سنة ٣٠٨هـ / ٩٢٠م ، إذ أشار ابن حيان إلى أن الأمير عبد الرحمن الثالث خرج في غزوة إلى

= حيان، المقتبس (للحقبه ٢٣٢ - ٢٦٧هـ / ٨٤٦ - ٨٨٠م) ص ٣١٥ - ٣١٨ ؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص ٢٩ - ٣١.

(١) ابن حيان، المقتبس (للحقبه ١٣٢ - ٢٦٧هـ / ٨٤٦ - ٨٨٠م) ص ٣١٥ - ٣١٨ ؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص ٢٩ - ٣١.

(٢) عند ابن عذاري ماسوية، البيان المغرب، ١٠١/٢.

(٣) المقتبس (للحقبه ٢٣٢ - ٢٦٧هـ / ٨٤٦ - ٨٨٠م) ص ٣٢٦ - ٣٢٧.

(٤) ابن حيان، المقتبس (للحقبه ٢٣٢ - ٢٦٧هـ / ٨٤٦ - ٨٨٠م) ص ٦١١ هامش (٥٣٧).

الشجر ومر بمدينة وادي الحجارة ونظر في مصالح الناس هناك فشكوا بني سالم إليه فعزلهم وولى مكانهم سعيد بن منذر القرشي فاستخلف الأخير عليها صهره بن غزلان القرشي^(١) ، إلا أنه أشار إلى أن والي مدينة مجريط سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م يدعى عبد الله بن محمد بن عبيد الله وعلى مدينة وادي الحجارة يدعى أرزاق بن ميسرة^(٢) ، ويرجح محمود علي مكي أن والي مدينة مجريط هذا هو حفيد عبيد بن سالم الذي تولى المدينة أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن^(٣) ، وهذا يعني أن ولاية مدينة مجريط من بني سالم استمروا يتوارثون حكم المدينة حتى ذلك التاريخ ، وأن قيام الأمير عبد الرحمن الثالث بتنتحيتهم عن مدينة وادي الحجارة لم يشمل وجودهم في مجريط.

وعندما تولى راميرو الثاني Ramiro II (٣٢٠-٣٣٩هـ/٩٣٢-٩٥٠م) عرش مملكة ليون كان شديد العداء للمسلمين فاستغل ثورة أهل طليطلة على الخليفة الناصر ووعدهم بالمساعدة ، وعندما توجه إليها الناصر وضرب عليها الحصار سارع راميرو الثاني لإنجائها وزحف بقواته نحو مدينة مجريط واستولى على حصنها ، ولكن القوات الإسلامية هناك تمكنت من رده فاضطر إلى الانسحاب ، وتمكن الناصر من دخول طليطلة وهدم حصونها وأرغم أهلها على الطاعة^(٤).

١ (المقتبس) (للحقبية ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/ ٩١٢ - ٩٤١م) ص ١٦٢.

٢ (المقتبس) (للحقبية ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/ ٩١٢ - ٩٤١م) ص ٢٥٤.

٣ (ابن حيان، المقتبس) (للحقبية ٢٦٧.٢٣٢هـ/ ٨٤٦ - ٨٨٠م) ص ٦١١ هامش (٥٣٧).

٤ (ابن حيان، المقتبس) (للحقبية ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/ ٩١٢ - ٩٤١م) ص ٣١٧ - ٣٢٢ ؛

عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ق ٢، ص ٤٠١.

وفي سنة ٣٢٤هـ / ٩٤٥م قام نصارى ليون بمهاجمة مدينة مجريط فتصدى لهم قائد الحامية الإسلامية فيها عمر بن أبي عمر واستطاع أن يصدّهم وينقذ المدينة منهم ، قال ابن حيان: ((فَحَسَنَ مَقَامَ أَبِي عَمْرٍ ، قَائِدِ مَجْرِيْطٍ ، فِي هَذِهِ الْوَقْعَةِ))^(١) ، وبعد سنة (أي ٣٢٥هـ / ٩٤٦م) ذكر ابن حيان أن الخليفة عبد الرحمن الناصر عزل أحمد بن عمر عن مدينة مجريط وعين مكانه أحمد بن عبد الله بن أبي عيسى الذي استشهد في نفس السنة فولّي مجريط مكانه محمد بن علي^(٢) ، وأحمد بن عبد الله ذكره ابن الأبار هو أحمد بن عبد الله بن يحيى بن يحيى بن يحيى الليثي^(٣) ، قال أن الخليفة الناصر ولاء حصن مجريط مرتين فغزا في ولايته الثانية بلاد النصارى وغنم وفي طريق عودته اعترضته خيل العدو في كمين لهم فاستشهد مع ثمانية عشر من المسلمين وذلك سنة ٣٢٤هـ / ٩٤٥م^(٤).

يفهم من الرواية أعلاه أن القائد عمر بن أبي عمر هو نفسه أحمد بن عمر الذي عَزَلَ بعد سنة من انتصاره على النصارى دون أن يوضح سبب عزله ، كما لا يُعرف إذا كان من سلالة بني سالم

(١) (للحقبه ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م) ص ٣٨١ ؛ ينظر أيضاً : عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ق ٢، ص ٤٠٧.

(٢) (للحقبه ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م) ص ٤١٧.

(٣) هو من سلالة عالم الأندلس يحيى بن يحيى بن كثير أصله من ماصودة وتولى بني الليث فقبل الليثي نسبة إليهم كان عالماً محدثاً على مذهب مالك توي في سنة ٢٣٤هـ / ٨٤٨م، ابن الضري، تاريخ علماء الأندلس، ص ٤٣١ - ٤٣٢

(٤) التكملة، ١٥/١؛ ينظر أيضاً: ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ١٩٠/١.

البربرية التي تولت حكم المنطقة منذ الفتح أم لا ، وأشارت الرواية إلى استشهاد الوالي الجديد أحمد بن عبد الله الليثي في ولايته الثانية ، ولا نعرف متى كانت ولايته الأولى ، كما أن سنة استشهاده جعلها ابن الأبار سنة ٣٢٤هـ / ٩٤٥م فيما جعلها ابن حيان بعد سنة ، فضلاً عن أن الوالي محمد بن علي الذي هو الآخر لا نعرف عنه شيئاً ولا مدة ولايته.

وفي سنة ٣٢٨هـ / ٩٣٩م أشار ابن حيان إلى عزل الخليفة الناصر سعيد بن مجمع عن مجريط وولى مكانه الفتح بن يحيى^(١) ، ولم نعرف متى ولى سعيد بن مجمع أو نسبه فضلاً عن خلفه الفتح ابن يحيى.

وفي أيام المنصور بن أبي عامر(٣٦٦-٣٩٢هـ/٩٧٦-١٠١١م) وابنه عبد الملك المظفر(٣٩٢-٣٩٩هـ/١٠١١-١٠٠٨م) ازدادت أهمية منطقة الثغر الأوسط الأندلسي ، فقد قاد المنصور بن أبي عامر خلال مدة حجابته للخليفة هشام المؤيد بن الحكم أكثر من خمسين غزوة^(٢) ، فيما بلغت غزوات ابنه عبد الملك ثمان غزوات^(٣) ، وكانت هذه الحملات العسكرية تسلك في معظمها الطريق التقليدي الذي يبدأ بقرطبة ثم قلعة رباح فظليطلة فمجريط فوادي الحجارة فمدينة

١) المقتبس (للحقبة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م) ص ٤٦٣ .

٢) ينظر عن غزوات المنصور بن أبي عامر: العذري، ترصيع الأخبار، ص ٧٤ -

٨٠ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٢٢٦ - ٢٣٥ .

٣) مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٢٣٦ .

سالم ، ومن هذه الثغور تتجه القوات إما غرباً باتجاه جليقية Galicia أو شمالاً باتجاه نافار وبلاد البشكنس أو نحو الشمال الشرقي باتجاه برشلونة Barcelona وأراغون Aragon ، وعلى الرغم من عدم ذكر المصادر تفاصيل خط سير القوات ، إلا أن معظم الهجمات التي كانت تتجه نحو قشتالة Castilla وليون لا بد لها أن تمر بهذه المناطق ، فمثلاً في غزوة ابن أبي عامر الثانية سنة ٩٧٦هـ / ٣٦٦م كان تجمع القوات في مجريط ومنها انطلقوا صوب قشتالة القديمة Castilla la Vieja^(١).

وبعد سقوط الدولة العامرية قامت في بلاد الأندلس ما يعرف عند مؤرخيها بأيام الفتنة والتي امتدت من سنة (٣٩٩ - ٤٢٢هـ / ١٠٠٨ - ١٠٣٠م)^(٢) ، وعلى إثرها استغل النصارى هذه الأوضاع على حساب أراضي المسلمين ، ومن جانبهم فقد التجأ معظم أمراء وحكام المسلمين آنذاك إلى النصارى لمحاربة بعضهم البعض ، فمنذ الأيام الأولى من الفتنة غدت منطقة الثغر الأوسط مسرحاً لحروب مدمرة بين المتصارعين على السلطة محمد بن هشام المهدي (٣٩٩ - ٤٠٠هـ / ١٠٠٨ - ١٠٠٩م) وسليمان بن الحكم المستعين (٤٠٠ - ٤٠٦هـ / ١٠٠٩ - ١٠١٥م) وتنافس الطرفان في استعداد النصارى ، ودار جند الثغر وقائدهم واضح الفتى ظهرهم نحو قرطبة وأعانوا محمد المهدي على

(١) ابن عذاري، البيان المغرب ٢/٢٦٥؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ق٢، ص٥٢٨.
(٢) ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ١/٣٦؛ ابن سعيد، المغرب، ٢/٩٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/٢٧، ١٠٣، ١٥٣.

سليمان المستعين وأنصاره من البربر ، وأصبح جند الثغر بدل من أن يحمي الثغور من النصارى يقاتل بعضه بعضاً على أرضهم ، واستغل النصارى ذلك أعظم استغلال ، واستولوا على العديد من الحصون لقاء تقديم العون ، ومن طريف ذلك ما ذكره ابن عذاري ، قال: ((ونادى منادي واضح في سائر الثغور من حمل شيئاً من الطعام إلى محلة البربر فقد حلّ ماله ودمه فقاموا خمسة عشر يوماً يعيشون بحشيش الأرض فلما اشتد ذلك عليهم أرسلوا إلى ابن مامه النصراني يقولون له قد علمت ما بيننا وبين واضح وابن عبد الجبار فإن أنت رغبت في صلحنا ومسلمتنا فنحن معك عليهما فمضت رسالهم إلى ابن مامه دونه فوجدوا عنده رسل ابن عبد الجبار ورسول واضح يسألانه الصلح معهما على أن يعطيهما ما أحب من مدائن الثغر... فأجاب ابن مامه دونه للبربر على أن يعطيه البربر إذا ظفروا ما أحب من مدائن الثغر فقبلوا ذلك منه...))^(١) ، قال: ((وأتى رسل ابن مامه القومس زعيم نصرانيته تسليم الحصون إليه على إلا يعذرهم ولا يتعرض لشيء من ثغورهم فرضوا بهذا... وكتبوا كتاباً بالشروط وتسليم الحصون للنصارى وقرئ على الناس بحضرة هشام وواضح وشهد فيه جميع من حضر وخرج القوم من القصر مستبشرين بما كان فصار لابن مامه جميع الحصون التي كان أخذها الحكم بن عبد الرحمن ومحمد بن أبي عامر وابنه المظفر...

(١) البيان المغرب، ٣ / ٨٦.

وكان البربر أيضاً لما طردوا من قرطبة وقتلوا بها قد خربوا مدناً كثيرة وقتلوا أكثر أهلها ولم يسلم منها إلا طليطلة ومدينة سالم وبلغت خيلهم أقطارهما وما وراءهما حتى أن الراكب يمشي شهوراً لا يرى أحداً في طريق ولا قرية ، وسمع اللعين ابن شانجه بما سلّم اللعين ابن مامه دونه من الحصون فكاتب يطلب حصوناً آخر وتوعد وتهدد فأجيب إلى ما سأل من ذلك وكُتِب بتسليمها إليه...^(١).

ومن الأحداث التي مرت بها مدينة مجريط في أيام الفتنه هي ثورة قام بها رجل ادعى أنه عبيد الله بن المهدي محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر على الخليفة المستكفي الأموي (٤١٤-٤١٦هـ/١٠٢٣-١٠٢٥م) ونادي بالخلافة لنفسه ، وأنه أحق بها لأنه ابن محمد المهدي الذي أطاح بعبد الرحمن شنجول ابن أبي عامر ، وكان شاعراً ، ومما جاء من شعره الذي ذكر فيه حقه في الخلافة وأنه يسعى لاستعادتها بحد السيف:

يا من يعذبني مستعذباً ألمي

يكفيك ما قد يرى جسم من السقم

حكمت لي بقضاء غير مقتصد

تفديك نفسي من قاض ومن حكم

يا قصر قرطبة هجت لي شجنا

لما تابدت بعد الكنس بالرؤم

(١) البيان المغرب، ١٠٣/٣ - ١٠٤ .

معاهد عهدت فيها خلافتنا
أكفها فوقه بالجوذ كالديم
أيام للملك المهدي دولته
فيها فقد أصبحت في الدهر كالحلم
فإن أمش فسأتيه بنذي شطب
ومازن كشهاب النار مضطرم
إلا أن معظم المصادر التي أشارت إلى ثورته في مجريط ذكرت أنه
مُنتحل لشخصية عبيد الله بن محمد المهدي بن هشام بن عبد الجبار
وأنه كان مملوكاً للعطار المعروف بالفصيح وادعى أنه عبيد الله
المهدي^(١)، وأسماه الحميدي غلام الفصيح معروف بصفته وقال:
((شاعر أديب ادعى أنه عبيد الله بن المهدي محمد بن عبد الجبار ولم
يصح، وإنما كل فيما قيل غلام الفصيح، ولكنه أو هم جماعة))^(٢).
وقد أشار ابن حزم إلى أن محمد المهدي بن هشام بن عبد
الجبار بن الناصر كان له ولد يدعى عبيد الله قتل في قرطبة^(٣)، وقد
حاول هذا الشائر إيهام الناس أنه ابن محمد المهدي وأنه أحق
بالخلافة من غيره، وقد فسر خايي أوليفر آسين هذه الثورة هي
محاكات لما قام به عبيد الله المهدي (٢٩٦-٣٢٢هـ/٩٠٩-٩٣٤م)

١ (ابن حزم، رسائل ابن حزم، ٥٨/٢.

٢ (جذوة المقتبس، ص ٤١١؛ ينظر أيضاً: الضبي، بغية الملتبس، ص ٥٤٢ - ٥٤٣.

٣ (جمهرة أنساب العرب، ص ١٠١.

مؤسس الدولة الفاطمية في إفريقية وقال: إن هذه الثورة لو قدر لها النجاح لأصبحت مجريد حاضرة للخلافة الأندلسية^(١)، ويعتقد مكي على أنه لا علاقة بين هذه الثورة وبين ما حدث في إفريقية من قيام الدولة الفاطمية لأنه انتحل شخصية حقيقية كانت موجودة سابقاً كما ذكر ذلك ابن حزم والحميدي^(٢).

ونعتقد أن ما حدث في مدينة مجريط كان واحدة من إفرازات الفوضى التي حلت بالأندلس عقب سقوط الدولة العامرية وقيام ما يعرف بأيام الفتنة، فبعد حالة الزهو والأمجاد التي عاشتها الأندلس ولاسيما الثغور أيام الدولة العامرية، غدت فريسة سهلة للملوك النصارى يتجولون فيها وفق ما شاءوا وتساقط قادة وأمراء قرطبة والثغر لاسترضائهم، فمثل هذه الظروف تكون مهياً لتقبل كل من يرفع شعار إعادة الأمجاد فيكون المنقذ من تلك الأوضاع، ويبدو أن تلك الظروف كانت تسمح لظهور مثل هذه الحالات، كما حدث فيما بعد من انتحال شخصية الخليفة هشام المؤيد^(٣).

(١) عن مكي، ثورة عبيد الله بن المهدي في مجريط، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد التاسع والعاشر، مدريد ١٩٦١ - ١٩٦٢، ص ٥٠٢.

(٢) مكي، ثورة عبيد الله بن المهدي في مجريط، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد التاسع والعاشر، مدريد ١٩٦١ - ١٩٦٢، ص ٥٠٣.

(٣) أشار ابن خيمس وابن عسكرا إلى قصة هشام المؤيد في عهد الفتنة بعد زوال الدولة العامرية، فقالا: إن الخليفة هشام المؤيد أخفاه محمد المهدي عندما تم له الأمر في بيت الحسن بن يحيى وأظهر للناس نصرانياً ميتاً كان يشبه هشام المؤيد، وأشهد الوزراء وأهل الخدمة على ذلك، ثم إنه أظهره بعد ذلك حين غلب سليمان بن الحكم. ودخل قرطبة وقتل هشاماً المؤيد، وذكر =

وعن ادعاء هذا الشاعر المعروف بالفصيح أنه ابن محمد المهدي ابن هشام بن عبد الجبار الثائر الأول في عهد الفتنة كان من أجل كسب الشرعية في الحكم بكونه أحد أبناء البيت الأموي الحاكم في قرطبة ويأتي أيضاً بعد فشل الخلفاء من بني حمود من السيطرة على الأوضاع في الأندلس بعد أن حكموا للمدة من ٤٠٧هـ / ١٠١٦م

=آخرون أنه ثم يقتله وإنما فرّ منه، وعندما دخل علي بن حمود قرطبة ومعه عدد من الفتيان العامري منهم خيران كان اتفاقهم معه أن يخرج هشام المؤيد ليكون خليفة وهو ولي عهده، وكان علي يطمع في الخلافة فاشاع أن هشام المؤيد قتله المستعين وأخرجه من قبره وأشهد عليه أنه هو، وقيل إن الفتيان شهدوا بموته خوفاً من علي بن حمود، وحكي أن رجلاً يدعى عبد الرحمن المقرئ، وكان من شيوخ قرطبة، قال: كنت حاضراً، فلما رأيتهم قد صححوا موت المؤيد، خرجت باكياً، فلقيني الفتى الذي شهد بذلك، فقال لي: وما يبكيك؟ فقلت: موت المؤيد. فقال لي: والله إنه لحي. واني لأعلم الناس بحياته ويحيث هو. وإنما شهدت بما رأيت خوفاً على نفسي، وقيل إنه ذهب إلى مالقة ثم إلى المريّة في سنة ٤٢٥هـ / ١٠٣٣م، ولما أراد إسماعيل بن عباد التخلص من نفوذ بني حمود، أعلن في سنة ٤٢٦هـ / ١٠٣٤م أن الخليفة هشام حي وأعلن طاعته وخلع بني حمود، وقيل إن الذي أخرجه ابن عباد هو شخص دعيّ كان أشبه الناس بهشام المؤيد، ودُعيّ له على المنابر حتى وفاته سنة ٤٣٦هـ / ١٠٤٤م، وقد أنكر ابن خميس وابن عسكّر أن يكون هشام المؤيد هو نفسه الذي بايع له ابن عباد، وقالوا إنه دعيّ بقولهما: ومما يقوي أنه الدعي أن المؤرخين قد ذكروا أن المؤيد بالله بويج سنة ست وخمسين وثلاثمائة، وهو ابن عشرين سنة وثلاثة أشهر وقيل: عشرة أشهر. وأنه مات وهو ابن ست وأربعين سنة وثلاثة أشهر. وقيل عشرة أيام أو ثلاثة عشر يوماً. فهذا يقتضي أن تكون وفاته سنة اثنين وأربعمئة أو نحوها. وهشام الذي بايعه القاضي ابن عباد سنة ست وثلاثين وأربعمئة، فكيف يصح أن يكون المؤيد بالله أمير المؤمنين، مطلع الأنوار، ص ٣٥٨ - ٣٦٠.

إلى ٤١٤هـ / ١٠٢٣م^(١) .

أما لماذا اختار هذا المدعي مجريط لتكون قاعدة لملكه المرتقب ، فيبدو أن لذلك علاقة لموقف جند الثغر في بداية الفتنة ، إذ تمسك الجند في مدينة سالم ومجريط الذي كانوا تحت قيادة واضح الفتى الصقلبي بطاعة الخليفة محمد المهدي بن هشام بن عبد الجبار وقتلوا معه البربر الذين كانوا مع سليمان المستعين^(٢) .

وعن أسباب فشل هذه الثورة في مجريط ، فلم توضح المصادر التي بين أيدينا ذلك ، ويبدو أن هذا التأثير الذي انتحل النسب الأموي اعتمد في إقناع العامة على فصاحته وقوة أسلوبه بكونه شاعر فصيح إلا أنه عجز عن إثبات نسبه ، فابن حزم المعاصر له أكد أنه مدعي وقال: ((صح عندنا أنه لم يكن عبيد الله المهدي وإنما كان مملوكاً للعطار المعروف بالفصيح وادعى أنه عبيد الله المهدي))^(٣) ، ولهذا وضعه تحت عنوان ((من طلب الخلافة وتسمى بها ولم يتم أمره))^(٤) ، فضلاً عن أن جند الثغر على ما يبدو لم يكونوا مستعدين للقتال معه بعد ما شاهدوا اضطراب الأمور في قرطبة وتغلب الثائرين على معظم بلاد الأندلس.

١) ينظر عن خلفاء بني حمود العلويين في الأندلس خلال المدة أعلاه : الحميدي، جذوة المقتبس، ص ٢٢ - ٢٥ .

٢) ينظر : ابن حزم، رسائل ابن حزم، ١٩٦/٢ - ١٩٧ ؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص ١٨ - ١٩ .

٣) رسائل ابن حزم، ٥٨/٢ .

٤) رسائل ابن حزم، ٥٦/٢ .

وخلال النصف الأول من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي غدت معظم مدن ثغور طليطلة التي بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن ومنها مدينة مجريط قد ضعفت وأصبحت مهددة من قبل النصارى ، ولم ينقذها آنذاك إلا انشغال أسبانية النصرانية بحروبها الداخلية في النصف الأول من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي^(١).

أصبحت طليطلة وأعمالها(ومنها مجريط)في عهد الطوائف تحكم من قبل بني ذي النون(٤٢٧-٤٧٨هـ/١٠٣٥-١٠٨٥م)إلا أنهم دخلوا في خصومات مع جيرانهم من دويلات الطوائف الأخرى ، فوقع نزاع بين المأمون بن ذي النون(٤٣٥-٤٦٧هـ/١٠٤٣-١٠٧٤م)وبين سليمان بن هود (٤٣١-٤٣٨هـ/١٠٣٩-١٠٤٦م) صاحب سرقسطة Saragosa حول سلسلة المدن والقلاع الواقعة بين الدولتين ولاسيما مدينة وادي الحجارة ، وعلى الرغم من أنها من أعمال دويلة طليطلة إلا أن ابن هود أرسل قواته إليها وانتزعها وهزم قوات بني ذي النون ثم طارده حتى طليطلة ، وللاقتحام من ابن هود راسل ابن ذي النون ملك قشتالة فرناندو الأول (٤٢٦-٤٥٨هـ/١٠٣٤-١٠٦٥م)وآقر بسيادته ودفع له الجزية مقابل يهاجم أن أراضيه ابن هود ، وفعلاً قام الأخير بمهاجمة أراضيه دولة سرقسطة في وقت الحصاد وانتسف زروعها وخرّب أراضيه ، من جانبه سعى ابن هود إلى فرناندو الأول ودفع له أموالاً طائلة على أن

(١) ينظر عن أوضاع الممالك النصرانية الأسبانية في النصف الأول من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي: عنان، دول الطوائف، ص٣٧٨ - ٣٨٢.

يغير على أراضي ابن ذي النون فاستجاب إلى دعوته فبث قواته مخترقة أراضي طليطلة حتى وصلت إلى وادي الحجاره وأمعت فيها تخريباً ، كما حالف ابن هود ملك نافار وهاجموا مدينة سالم واستولوا على العديد من حصونها ، ولم يردهم إلا بعد دفع طليطلة أموالاً كثيرة وبشرط قاسية ، وعن هذه الفتنة يقول ابن الخطيب ((ودامت الفتنة بين هذين الأسدين المشؤومين على المسلمين من سنة خمس وثلاثين إلى سنة ثمان وثلاثين وفورقت بموت سليمان بن هود منهما))^(١) ، وهكذا استباح النصارى أراضي الدولتين بأموالهما وانهارت خطوط الدفاع وساءت أحوال الثغور من وطأة الحروب وثقل الجباية.

وفي سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٤م توفي المأمون بن ذي النون فخلفه حفيده يحيى بن ذي النون الملقب بالقادر وكان كما يقول ابن الخطيب: ((مضعفاً كثير الحلية ، خبيث الفكرة))^(٢) ، قبض على أركان دولة جده الفقيه أبو بكر الحديدي وحبسه على الرغم من وصية جده له بالعمل برأيه ، ثم أطلق بعض من اعتقلهم الحديدي أيام حكم جده خشية انتفاضهم ، فأغروه بالأخير حتى سلمه إليهم وقتلوه ، وفي تلك الأثناء كان الفونسو السادس Alfonso VI (٤٥٨-٥٠٢هـ/١٠٦٥-١١٠٨م) ملك قشتالة يطالب القادر بتسليم الحصون القريبة منه ويمزید من المال حتى نضبت خزائنه ، فثار أهل طليطلة عليه فخرج منها

١ (أعمال الأعلام، ق٢، ص١٧٧؛ ينظر أيضاً: ابن عذارى، البيان المغرب،

٢٧٧/٣ - ٢٨٢؛ عنان، دول الطوائف، ص٨٩ - ١٠١.

٢ (أعمال الأعلام، ق٢، ص١٧٨؛ ينظر أيضاً: ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٧٩.

هارباً إلى أحد الحصون في حماية الفونسو ، عندها استدعى أهل طليطلة المتوكل بن الأفتس لحكم مدينتهم فدخلها ابن الأفتس سنة ٤٧٢هـ/١٠٧٩م وبقي فيها عشرة أشهر ثم انسحب منها عندما علم بقدوم الفونسو والقادر ، فدخلها لقاء مبلغ كبير من المال وتنازل له عن بعض الحصون منها حصن سرية وحصن قورية Coria وحصن قنالش Caniles وهما من ثغور طليطلة^(١).

بعد هذه الأحداث غدا موقف القادر ضعيفاً جداً وتحت رحمة الفونسو السادس الذي بدأ منذ سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م يعد العدة للاستيلاء على طليطلة عن طريق شن الغارات المتكررة على ثغورها المتبقية وتجريدها من مواردها ، ولم تجد صرخات القادر بن ذي النون بالاستنجاد بأمرء الطوائف أذن صاغية سوى مما كان من المتوكل بن الأفتس الذي أرسل قوة في سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م للتصدي لهجمات الفونسو السادس ، وقد أشار ابن بسام إلى أن المتوكل بن الأفتس طاف في مناطق الثغر يستنفرهم للدخول في طاعته لمواجهة النصارى فأجابه أهل مجريط ورفض دعوته أهل وادي الحجارة ، وقد امتدح موقف أهل مجريط هذا الشاعر أبو الخطاب عمر بن أحمد بن عطيون التجيبي الطليطلي^(٢) بقصيدة قال فيها:

١ (ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٨٣ - ٨٤ .

٢ (وهو أحد شعراء عصر الطوائف بالأندلس امتدح المتوكل بن الأفتس واختص به، ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ٦/٧٧٣ - ٧٨٣؛ ابن سعيد، المغرب، ١٦/٢ - ١٧ .

بمثلك من مولى ومثلي من عبد
يرى الناس كيف المجد أو صفة المجد
رمى قصي الثغر بالخيل شُزياً
هبطنَ على غور فأصعدن في نجد
فما شئته من لاحق بطنه طوى
وأقربُهُ نيطت إلى كفل نهد
وأقبلتها مجريط شُعثاً كأنها
كواسرُ عقبانٍ تقضين من فند
تدوسُ الإكمام الجردَ فترتمي
سجوداً إلى أيدي سوابقك الجرد
فلما رأت مجريطُ وجهك أقبلت
لعزتك القعساء في ذلة العبد
ومدّوا يد السلم الذي أنت ربه
إليك ولاذوا بالمواثيق والعهد
فاوسعتهم مناً بأمنهم وقد
تطلّع سيفُ الانتقام من الغمد
وما حامد من ذا الوري فعل حامد
وقد أبرزَ البهَم الضعافَ إلى الأسد

كأني أرى وادي الحجارة قد جرى

دماً بهم حتى يُعافَ عن الورد^(١)

إلا أن المتوكل بن الأفضس لم يستطع مواجهة قوى النصارى فاضطر إلى الانسحاب بعد أن خاض معارك دامية معهم^(٢).
وقد وصف ابن بسام حال أهل طليطلة مع القادر بن ذي النون والفرنسو السادس وكيفية سقوط مدينة مجريط بيد النصارى بقوله:
((... فلما كان يوم النحر سنة أربع وسبعين ، نهذوا له في عددهم وعليدهم ، وزحفوا إليه بحدهم وحليدهم ، فتجاولوا عامة يومهم في شوارعها ، يترامون بدوامغ الختوف وقوارعها ، فأجلت الحرب عنهم قد شرقوا بغصتها ، وخلوا بينه وبين عرصتها ، وتساقطوا على أذفوش يشكون ابن ذي النون إليه ويستصرخونه عليه ، فرماهم بحجر ، ولبس لهم جلدة نمر ، فترفقوا بكل سبيل ، وطاروا على كل صعب وذلول ، حتى مات ابن مغيث كبيرهم الذي علمهم السحر ، وطاغوتهم النبي شرع لهم الكفر. بشيمتور من أرض قشتيلة بين الدنان والصلبان ، فسار وإلى الله إياه ، وعليه حسابه ، ورجع بنوه أخيراً فانتزوا بمدينة مجريط ، وانحسر إليهم ذؤبان الوقائع ، وأذبة المطامع فكانت بين ابن ذي النون وبينهم أيام عدتهم له عدا ، وساقتهم إليه وردا ، حتى باد جمهورهم ، وتلاحقت أعجازهم وصدورهم ، وبلغ ابن ذي النون من هدم ربوعهم ،

١ (الذخيرة، ٦/ ٧٧٦ - ٧٧٧ .

٢ (عنان، دول الطوائف، ص ١١١ .

وصلبهم على جذوعهم ، ما يبرد صدر الموتور ، ويضحك سن الموت المبير^(١).

ويذهب بعض الباحثين إلى أن سقوط مجريط كان سنة ٤٧٦هـ/١٠٨٣م^(٢) ، ونص ابن بسام هنا يشير إلى أن أهل طليطلة بعد ما لحقهم الذل والصغار وضاق عليهم الحصار ، ورأوا القادر بن ذي النون يشي ذليلاً راجلاً وراء الفونسو وحاولوا قتله في ذلك الأثناء إلا أنهم فشلوا ، فلما كان في ذي الحجة من سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م ثاروا إلا إنهم فشلوا أمام قوة النصاري وقُتل عدد منهم عندها اضطروا إلى مفاوضة الفونسو يشكون ابن ذي النون إليه إلا أنه لم يجبه عندها تفرقوا البلاد ، وأشار النص إلى شخص يدعى ابن مغيث ولعله كان من نصاري طليطلة المتعاون مع الفونسو ، أو ما يعرف بالحزب المدجني أي الموالي لملك النصاري^(٣) ، ولهذا وصفه ابن بسام بأنه طاغوتهم الذي شرع لهم الكفر ، وكان ابن مغيث هذا يقيم في شيمتور من أرض قشتالة ، فلما توفي رجع أولاده وتغلبوا على مجريط ، فجرت بينهم وبين ابن ذي النون حروب عدة أسفرت عن قتلهم وصلبهم ، ولم يوضح النص من الذي قاتل أولاد ابن مغيث في مجريط لاسيما وأن ابن ذي النون كان مغلوباً شبه أسير عند الفونسو وقد تفرق عنه أهل

١ (الذخيرة، ١٦٢/٧ - ١٦٣ .

٢ (Stewart , Madrid. The History. p .4. عنان، الآثار الأندلسية

الباقية، ص ٣٣٢ ؛ ذنون، آفاق غرناطة، ص ١٣٤ .

٣ (عنان، دول الطوائف، ص ١١٠ .

طليطلة ، ولعل الثائرين من أهالي طليطلة بعد أن فقدوا الأمل في الدفاع عن طليطلة تجمعوا في مدينة مجريط لحصانتها وقهروا أبناء ابن مغيث وتشفوا بهم قتلاً وصلباً.

والراجح أن سقوط مدينة مجريط بيد النصارى كان في المدة بين ٤٧٤هـ/١٠٨١م وهو تاريخ ثورة أهل طليطلة بعد انسحاب ابن الأفطس ورجوع القادر بن ذي النون تحت حماية الفونسو السادس ، وسنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م وهو تاريخ سقوط طليطلة نهائياً بيد الفونسو السادس وطرده القادر بن ذي النون منها ، ويرى Stewart إلى أن الفونسو زحف بقواته نحو طليطلة من مدريد التي اتخذها قاعدة لجنوده ومنها شن الغارات على طليطلة حتى تمكن من اقتحامها^(١) ، وقد شرع النصارى بعد سيطرتهم عليها مباشرة إلى هدم مسجدها الجامع وبناء كنيسة عرفت فيما بعد بكنيسة سيدة المدينة . Nuestra Sra Almedina^(٢) ، وأصبحت فيما بعد سنة متبعة من قبل النصارى بتحويل المساجد في المناطق التي يسيطرون عليها إلى كنائس^(٣) .

جرت فيما بعد بعض المحاولات من قبل المسلمين لاستعادة مدينة مجريط إلا أنها لم تفلح ، ففي سنة ٥٠٣هـ / ١١٠٩م عبر الأمير المرابطي

1) Stewart , Madrid. The History. p . 7.

(٢) عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص٣٣٢.

(٣) ينظر عن تحويل المساجد إلى كنائس من قبل النصارى بعد طرده المسلمين منها على سبيل المثال، مسجد قرطبة ومسجد تطيلة ومسجد سرقسطة ومسجد طليطلة ومسجد إشبيلية، سالم، المساجد في الأندلس، ص٢٨، ٣١، ٣٢، ٣٣.

علي بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠-٥٣٧هـ/١١٠٦-١١٤٢م) إلى الأندلس برسم الجهاد ، فوصل إلى قرطبة ومنها اتجه إلى طليطلة وتجوّل في أحواضها وفتح من تغور طليطلة مدن طليطلة ومجريط ووادي الحجارة ثم ضرب حصاراً على طليطلة لمدة ثلاثة أيام ثم رجع إلى قرطبة^(١) ، ويبدو ويبدو أنها مجرد استعراض للقوة أثارت الرعب في نفوس الأعداء ، وقد علق ابن الكردبوس على ذلك بقوله: ((وداخل أهل قشتالة الخوف والجزع وخامر قلوبهم الفزع ، ولم يشكوا أنه يغشاهم ويخرب مشواهم))^(٢) ، إلا أنه لم يستطع الاحتفاظ بمعظم الأراضي التي تم له فتحها ومنها مجريط التي بقيت بيد النصارى.

وفي سنة ٥٩٢هـ/١١٩٥م خرج الخليفة الموحد المنصور يعقوب بن يوسف (٥٨٠-٥٩٥هـ/١١٨٤-١١٩٨م) في غزوة له نحو أراضي قشتالة فأرسل إليه ملكها الفونسو الثامن (٥٥٣-٦١١هـ/١١٥٨-١٢١٤م) في طلب الهدنة فلم يلتفت إليه وسار بقواته نحو طليطلة ، ولما علم أن قوات ملك قشتالة وملك برشلونة يرابطان في قلعة مجريط سارع نحوهما إلا أنهما انسحبا وتركيا في مجريط قوة للدفاع عنها ، وفعلاً نجحت القوة النصرانية في صد هجوم المنصور الموحد عن مجريط فتوجه نحو وادي الحجارة واستعرض قواته هناك ثم ارتدّ جنوباً صوب قرطبة^(٣) ، وهذه الغزوة الموحدية كانت هي الأخرى مجرد

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٥٢/٤ ؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ١٦١.

(٢) تاريخ الأندلس، ص ١١٧.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٢٧ ؛ ابن أبي زرع، الأنيس =

استعراض للقوة ولم تتمكن أن تحقق أي نجاح يذكر على الأرض بالنسبة للمناطق التي وصلت إليها.

ثالثاً: حضارة المسلمين في مدينة مجريط:

كانت المنطقة التي أقيمت عليها مدينة مجريط قد فتحت من قبل القائد طارق بن زياد سنة ٩٣هـ/٧١١م، ومنذ أن قام المسلمون ببناء المدينة، فقد حكموها أكثر من قرنين (٢٤٠-٤٧٨هـ/٨٥٤-١٠٨٥م) وكان أول عمل قاموا به هو بناء قلعة المدينة وإحاطتها بسور^(١)، كما ضمت المسجد الجامع الذي أشارت إليه العديد من المصادر، فذكر الإدريسي والحميري أنه ((كان لها في زمن الإسلام مسجد جامع وخطبة قائمة))^(٢)، كما قاموا بعملية استصلاح للأراضي في المنطقة -كما مر بنا- وزراعتها بما يناسب ظروفها المناخية، يبدو أن المنطقة عاشت حالة من الهدوء والاستقرار لمدة تزيد على قرن ونصف، وهذه المدة كافية بأن تحولها من مكان تسكنه أفراد من قبيلة مصمودة وهم بنو سالم إلى مدينة حسب ما جاء في وصف الجغرافيين لها، إلا أن التحول المهم الذي شهدته الحياة في المدينة هو تحولها إلى ثغر في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، والثغر لغة هو ((ما يلي دار الحرب وموضع المخافة من فروج البلدان))^(٣)، ولذلك

=المطرب، ص ٢٢٩؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٢٧؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق ٢، ص ٢٢٩.

١ (الحميري، الروض المعطار، ص ٥٢٣.

٢ (نزهة المشتاق، ٢/٥٥٢؛ الروض المعطار، ص ٥٢٣.

٣ (الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ٢/٣٩٧ (مادة ثغر).

تطلب أن يحشد بالمقاتلين المرابطين فيه ، وغالباً ما كان المرابطون من الجند ينزلون الثغور مع عوائلهم^(١) ، وقد ترتب على ذلك أن يحاط المكان بالسور للمحافظة على السكان ولتقوية وسائل الدفاع ضد العدو^(٢) ، إضافة إلى الحصون المتقدمة التي تعد نقاط إنذار مبكر للمدينة^(٣) ، وهو ما جعلها تأخذ شكلها التمديني وخصوصيتها السكانية ، فنجد في المصادر إشارات كثيرة إلى أهل مجريط^(٤) والنسبة إليها مجريطي^(٥) ، وهو ما يعكس خصوصيتها عن غيرها.

أما إدارة المدينة ، فقد كانت المنطقة قبل تأسيس مجريط تدار بصورة وراثية من قبل عائلة بني سالم من مصمودة باعتبارهم أول من نزلها وعمرها عند الفتح^(٦) ، ومنذ سنة ٣٣٥هـ/٩٤٦م عمل الخليفة الناصر الأموي على إقالة بني سالم وعين عليها والياً من قبله يكون مسئولاً عن قيادة الجيوش في الثغر الأوسط ، وقد ذكر

١ (ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية، ص٣٩.

٢ (ابن حوقل، صورة الأرض، ص١١٧.

٣ (الحجوي، التاريخ الأندلسي، ص٣٠٥.

٤ (ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص١٤٧؛ ابن بشكوال، الصلة، ص٣٠٢؛ ٦٢٠؛ ٦٣٥؛ ٦٤٢؛ ابن الفرضي، بغية الملتمس، ص٣٠٩؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، السفر الخامس، ٥٢٢/٢؛ ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ٢٣/١.

٥ (ينظر مثلاً: ابن بشكوال، الصلة، ص٥٥، ٢٣٩؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٣٠٩؛ ابن الأبار، التكملة، ٩٣/١؛ ابن سعيد، المغرب، ٤٣/٢؛ العمرى، مسالك الأبصار، ٢٥٥/٩؛ ابن خلدون، العبر، ٦٣٣/١؛ ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ٣٧٥/١؛ المقري، نفع الطبيب، ٦٣٣/٢.

٦ (ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص٥٠١.

ابن حيان - كما مرّ بنا - العديد من ولاية مجريط أيام الخليفة
الناصر، إلا أن ضياع العديد من صفحات كتاب المقتبس لابن
حيان جعلنا نجهد الكثير من ولايتها، إذ كان منهجه أن يذكر في
نهاية كل سنة عمال وولاية المدن الأندلسية.

ليس من المعقول أن تمر قرون عدة على الحكم الإسلامي المباشر
للمنطقة دون أن تترك أثراً حضارية مهمة عليها مع ما عرف عن
المسلمين من التقدم الحضاري الذي وصلوا إليه آنذاك، ولعل جهل
الكثيرين بذلك يرجع في تقديرنا إلى عمليات التطهير الديني
والعرقى الذي مارسه النصارى الأسبان بالمناطق التي استرجعوها من
المسلمين، فالحروب التي خاضوها ضد المسلمين لم تكن سياسية
وحسب بل عمدت إلى إزالة وجودهم أفراداً وعقيدة، فكانت
المظاهر السائدة بعد دخولهم لأي مدينة هي تهجير أصحابها وتحويل
المساجد إلى كنائس ثم إزالة معظم المعالم الإسلامية فيها^(١)، ومن
أثر البقاء من المسلمين على أرضه يحرم عليه الكلام بالعربية وارتداء
الملابس الإسلامية ويمنع الصلاة علناً ثم أُجبروا على إرسال أولادهم
إلى الكنائس وتم تعميدهم على طريقة النصارى^(٢)، وهكذا تم
إذابتهم داخل المجتمع الجديد، وبعد مرور أجيال عدة صحح الناس
على واقع آخر وكأن شيء لم يكن، ولكن الحقيقة لا يمكن أن
تطمس، فإذا حجبت عن بعض الأجيال فلا بد لها أن تظهر

١ (الحجي، التاريخ الأندلسي، ص ٥٣٢.

٢ (السامرائي وآخرون، تاريخ، ص ٣٠١ - ٣٠٧.

والبحث والتحري كفيلان بذلك.

بنت مدينة مدريد الحديثة على موقع قلعة مجريط الإسلامية القديمة حيث يقع القصر الملكي السابق أو قصر الصيد^(١) ، ولجمال طبيعتها فقد تحولت مجريط بعد سقوطها بيد النصارى إلى مكان إقامة الملوك الأسبان أثناء الصيد والراحة^(٢) ، ومن آثارها الإسلامية الماثلة للعيان إلى الآن بقايا من سور مجريط القديم ووراءه كاتدرائية مدريد في منطقة كوستا دي لافيتا وقد أطلق على الساحة المقابلة اسم ساحة الأمير محمد^(٣).

وإذا انتقلنا إلى إسهامات أهالي مجريط في الآداب والعلوم ، نجد أن أهلها على طول الحقبة الإسلامية كانوا على اتصال دائم مع رواد الفكر العربي الإسلامي في الأندلس وبقية العالم الإسلامي أيام كانت الرحلة في طلب العلم أحد أهم مظاهر الحركة العلمية ، لذلك نبغ منهم محدثون وقراء ولغويون وشعراء وأطباء وزهاد ، ولعل الصفة التي تكاد تجمع أغلب أولئك هي أنهم كانوا مجاهدين في سبيل الله دافعوا عن بلدهم ومدينتهم و بذلوا أرواحهم رخيصة في سبيل ذلك ، فكان يرتادها العديد من العلماء بقصد المrapطة فيها للجهاد فنسبوا إليها ، نذكر منهم:

١ (عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص٣٣٣ ؛ أرسلان، التحلل السنديسية، ١/٣٤٥.
٢ (الخوند، الموسوعة الجغرافية، ١/٣٦٢ ؛ وينظر عن أوصاف متنزهات مدريد الخاصة بالملوك الأسبان، الفساني، رحلة الوزيري افتكاك الأسير، ص٨٤ - ٨٧.
٣ (السرجاني، مدريد العاصمة الأوربية التي أنشأها العرب، على الموقع الإلكتروني: islamicstory.com.

١- أحمد بن عبد الله بن يحيى بن يحيى بن الليثي من أهل قرطبة ، إلا أنه تولى حصن مجريط مرتين أيام الخليفة عبد الرحمن الناصر ، كان متقدماً باللغة وحسن الشعر ، استشهد وهو يدافع عن حصن مجريط سنة ٣٢٤هـ / ٩٣٥م^(١) .

٢- سعيد بن سالم المجريطي ، يكنى أبا عثمان ، من ساكني مجريط ، محدث سمع من وهب بن عيسى^(٢) ووهب بن مسرة^(٣) وغيرهما ، كان موصوفاً بالعلم والفضل ، توفي بمجريط سنة ٣٧٦هـ / ٩٨٦م^(٤) .

٣- عبد الرحمن بن عبد الله بن حماد ، يكنى أبا المطرف من أهل مجريط ، محدث روى عن أبي المطرف عبد الرحمن بن مدرج^(٥) ، وأبي عبد الله بن أبي زمنين^(٦) وغيرهم ، وكان ثقة ،

(١) ابن الأبار، التكملة، ١٥/١ .

(٢) هو أبو سليمان وهب بن عيسى الأنصاري من أهل طليطلة، ويعرف بابن اشبازتقة سَمِعَ من محمد بن وضاح، ومن سعيد بن عثمان الأعنقي، وجماعة سواهم، وكان رجلاً صالحاً، توفي سنة ٣٣٧هـ / ٩٤٨م، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٤٢٠ .

(٣) هو وهب بن مسرة بن مفرح التميمي من أهل وادي الحجارة كان فقيهاً محدثاً بصيراً به توفي سنة ٣٤٦هـ / ٩٥٧م، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٤٢٠ .

(٤) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ١٤٧؛ الضبي، بغية الملتبس، ص ٣٠٩ .

(٥) عبد الرحمن بن عيسى بن مدرج من أهل طليطلة سمع بقرطبة محمد بن قاسم وقاسم بن أصبغ وغيرهم ورحل إلى مكة ومصر وسمع هناك، وكان ورعاً، فاضلاً، زاهداً، معتمداً بالأثار والسنن، توفي سنة ٣٦٣هـ / ٩٧٣م، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٢١٦ .

(٦) محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد بن إبراهيم المري، المعروف بابن أبي زمنين، من أهل البيرة، سكن قرطبة، كان ذا حافظاً للمسائل، حسن =

- فاضلاً ، ديناً ، عفيفاً ، متواضعاً ، توفي سنة ٤٠٧هـ / ١٠١٦م^(١).
- ٤- عبد الرحمن بن عيسى بن الحاج ، يكنى أبا الحسن القُرطبي الجريطي ، كان عالماً بالقراءات ، أخذ القراءات عن: أبي القاسم ابن النخاس^(٢) ، وولي قضاء رندة ، أخذ عنه القراءات ابنه يحيى القاضي ، توفي سنة ٥٤١هـ / ١١٤٦م^(٣) .
- ٥- غريب بن خلف بن قاسم القيسي ، مجريطي الأصل ، يكنى أبا الحسن ، من أهل لوشة وسكن مالقة ، محدث روى عن أبي علي بن سكرة^(٤) ، روى عنه صالح بن عبد الملك الأوسي^(٥) ،

=التصنيف للفقه، وله كتب ألفها في الموثائق، والزهد، والمواعظ، ويقرض الشعر ويوجد صوغه، وكان كثيراً ما يدخل أشعاره في تواليفه فيحسنها بها، وكان له حظٌ وافٍ من علم العربية، مع حسن هدى واستقامة طريق وظهور نسك، وصدق لهجة، وطيب أخلاق، وترك للدنيا، وإقبال على العبادة، وعمل للأخرة، ومجانبة للسلطان، توفي سنة ٣٩٨هـ / ١٠٠٧م، ابن بشكوال، الصلة، ص ٤٥٨.

(١) ابن بشكوال، الصلة، صص ٣٠٢؛ السخاوي، الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، ٦/ ٦٢٧.

(٢) هو أحمد بن خلف بن عيشون الجذامي، يعرف بابن النخاس، اشتهر بالقراءات اشتهر ببراعة الخط وجودة الضبط، وله تأليف في ناسخ القرآن ومنسوخه، توفي سنة ٥٣١هـ / ١١٣٦م، ابن الأبار، التكملة، ١/ ٤٢.

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، ١١/ ٧٨٩.

(٤) هو حسين بن محمد بن فيرة بن حيون بن سكرة الصديقي: من أهل سرقسطة سكن مرسية، يكنى: أبا علي. روى بسرقسطة عن أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي، وأبي محمد عبد الله ابن محمد بن إسماعيل وغيرهما، كانت له رحلة إلى المشرق ودخل بغداد وبقي فيها خمس سنين، ثم عاد إلى الأندلس واستشهد في معركة شقندة سنة ٥١٤هـ / ١١٢٠م، ابن بشكوال، الصلة، ص ١٤٤.

(٥) هو صالح بن عبد الملك بن سعيد الأوسي كان عالماً بالقراءات وولي قضاء مالقة، كان حياً سنة ٥٧٤هـ /، ابن الأبار، التكملة، ٢/ ٢٢٢.

وقرأ عليه القرآن عدة ختمات وتفقه به ثم صاحبه بعد في الطلب والرحلة ، وكان مقرئاً عارفاً بوجوه القراءات محدثاً عدلاً فقيهاً حافظاً متكلماً وله رسالة "البيان في من أفطر في يوم من أيام رمضان ، وهل يستديم الصوم بقية اليوم أو لا" ، دلت على مكانه من الفهم ، والتصرف في فنون من العلم^(١).

٦- مسلمة بن أحمد بن قاسم بن عبد الله الجربطي الأندلسي ، يكنى أبا القاسم ، ويلقب بالحاسب ، كَانَ إمام الرياضيين بالأندلس ، وأعلم من كَانَ قبله بعلم الأفلاك وحركات النجوم ، وَكَانَتْ لَهُ عناية بأرصَاد الكواكب ، وشغف بتفهيم كتاب المجسطي ، وله عدد المؤلفات ، منها : كتاب في ثمار العدد وهو المعنى المعروف بالأندلس بالمعاملات ، وكتاب اختصر في تعديل الكواكب من زيح البتاني ، وعنى بزيح محمد بن موسى الخوارزمي ونقل تاريخه الفارسي إلى التاريخ العربي ، ووضع أوساط الكواكب لأول تاريخ الهجرة وزاد في جداول حسنة على أنه اتبعه على خطأه فيه ولم ينبه على مواضع الغلط منه ، وكتاب رتبة الحكيم ، وكتاب غاية الحكيم ، وكتاب روضة الأحجار ، وكتاب روضة الحدائق ، وقيل أن مولده ووفاته بمجريط ، قبل الفتنة بالأندلس سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م^(٢).

١) ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، السفر الخامس، ٥٢٢/٢.

٢) ينظر: ابن بشكوال، الصلة، ص ٥٨٩؛ القفطي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٢٤٤؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٤٨٣؛ العمري، مسالك الأبصار، ٢٥٥/٩ - ٢٥٧؛ ابن خلدون، العبر، ٦٥٦/١؛ الزركلي، الأعلام، ٢٢٤/٧؛ ديوانت، قصة الحضارة، ٣٠٨/١٣.

٧- هارون بن موسى بن صالح بن جندل القيسي ، يكنى أبا نصر ، من أهل قرطبة وأصله من مجريط ، محدث وأديب ، كان رجلاً صالحاً ، منقبضاً مقتصداً مسمتاً عاقلاً مهيباً صحيح الأدب ، وكان من الثقات في دينه وعلمه ، وافى شيوخاً جلة في العلم والآداب وسمع منهم وروى عنهم ، وقد أخذ عنه أبو عمر الظلمنكي^(١) ، وأبو عمر بن عبد البر^(٢) وغيرهما ، من جميل شعره قوله:

دببت للمجد والساعون قد بلغوا

جهد النفوس والضوا دونه الأزرا

فكابدوا المجد حتى مل أكثرهم

وعانق المجد من أوفى ومن صبرا

(١) هو أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي عيسى لب بن يحيى بن محمد بن قزلمان المعافري المقرئ الظلمنكي أصله من طلمنكة، سكن قرطبة وروى بها عن أبي جعفر أحمد بن عون الله، وعن أبي عبد الله بن مفرج القاضي، وعن أبي محمد الباجي، وغيرهم، ورحل إلى المشرق فحج ولقي بمكة من جماعة، كما سمع من أهل المدينة، ثم رحل إلى مصر ولقي بها عدد من علمائها، ثم انصرف إلى الأندلس بعلم كثير، وكان: أحمد الأئمة في علم القرآن العظيم قراءته وإعرابه، وأحكامه، وناسخه، ومنسوخه، ومعانيه، وكانت وفاته سنة ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م، ابن بشكوال، الصلة، ص ٥٢- ٥٣؛ ابن الرشاطي، الأندلس في اقتباس الأنوار، ص ١٥٠؛ الضبي، بغية الملتبس، ص ١٥٢.

(٢) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمرى فقيه وحافظ وعالم بالقرآنات ويعلم الحديث والرجال من أشهر كتبه كتاب التمهيد وكتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تولى بشاطبة سنة ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م، الحميدي، جذوة المقتبس، ص ٣٣٢- ٣٣٣؛ الضبي، بغية الملتبس، ص ٤٥٤- ٤٥٦.

لا تحسب المجد تمرا أنت آكله

لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

كانت وفاته سنة ٤٠١هـ / ١٠١٠م^(١).

٨- يحيى بن عبد الرحمن بن عيسى بن عبد الرحمن ، يكنى أبا العباس القرطبي ، ويعرف بابن الحاجّ المغربي ، كان عالماً بالقراءات ، أخذ القراءات عن أبيه ، وسمع من أبي مروان بن مسرة ، وأخذ العربية عن أبي بكر بن سمجون^(٢) ، وولى قضاء جيان Jaen ، ومُرسيّة Murcia وعَرناطة Granada ، وقُرطبة ، وكان معدوداً في رجالها ، وذوي النباهة مع الجزالة والعدالة والإيثار للحقّ والصّدق به ، أقرأ القرآن وأسمع الحديث ، توفي سنة ٥١٩هـ / ١١٢٥م^(٣).

٩- يحيى بن محمد بن فرج بن فتح ، يكنى أبا العباس ، ويعرف: بابن الحاج ، من أهل مجريط ، وكان من أهل المعرفة بالأدب والعربية ، وكان يعلمها ، قال ابن بشكوال: أخذ عنه أصحابنا. وكان أحد العدول وتوفي سنة ٥١٥هـ / ١١٢١م^(٤).

١٠- يوسف بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حماد ، يكنى أبا

(١) ابن بشكوال، الصلاة، ص ٦٢٠ - ٦٢١؛ القفطي، أنباه الرواة، ٣/٣٦٢ - ٣٦٣؛ البغدادي، هدية العارفين، ٢/٥٠٣.

(٢) ذكره الضبي مختصراً، قال: عبد الله بن عبد الملك بن سمجون الهلالي، فقيه محدث، مولده سنة سبع وأربعين وأربعمائة يروى عنه محمد بن عبد الرحيم وغيره، بغية الملتبس، ص ٣٤٩.

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٢/١١٦٢.

(٤) الصلاة، ص ٦٣٥.

يعقوب ، من أهل مجريط ، محدث روى عن أبي عمر
الظلمنكي ، وأبي محمد الشنتجالي^(١) ، ورحل إلى المشرق
وحج ولقي أبا ذر الهروي^(٢) وسمع منه ، وكان أبو يعقوب هذا
ثقة فيما رواه ، وتوفي بمجريط سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٤م^(٣) .

١١- أبو عبد الله المجريطي ، ذكره ابن سعيد بقوله: كان شاعر
تارة هو أويس القرني^(٤) وأونة أخرى إبراهيم الموصللي^(٥) ، ما

(١) وهو أبو محمد القاسم بن الفتح بن محمد بن يوسف من أهل مدينة الفرج،
ويعرف بابن الريواني، روى عن أبي عمر الظلمنكي، وأبي محمد الشنتجالي،
وكان عالماً بالحديث، ضابطاً له، عارفاً باختلاف الأئمة، عالماً بكتاب الله تعالى،
عالماً بالقراءات السبع، متكلماً في أنواع العلم، لم يكن يرى التقليد بل كان
مختاراً. وله رسائل كثيرة وتوالميفه حسنة. وشرع في جمع الحديث في كتاب
سماه الاستيعاب، وكان شاعراً أديباً، متقدماً في المعارف كلها، صادقاً، ديناً،
ورعاً، توفي سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م، ابن بشكوال، الصلة، ص ٣٧٣.

(٢) هو أبو ذر عبد بن أحمد بن محمد الهروي محدثاً سافر كثيراً، حدث
ببغداد عن محمد بن عبد الله بن خميرويه، ثم أقام بمكة وكان ديناً فاضلاً،
توفي سنة ٤٣٤هـ/١٠٤٢م ، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١١ / ١٤١ .

(٣) ابن بشكوال، الصلة، ص ٦٤٢ .

(٤) هو أويس بن عامر بن جزء بن مالك بن قرن المرادي القرني سكن الكوفة
وحدث بها، واشتهر بالزهد، واشترك بصفين مع الإمام علي بن أبي طالب(ع)،
ابن سعد، الطبقات، ٦/٢٠٥ - ٢٠٧ .

(٥) إبراهيم بن ماهان بن بهمن، أبو إسحاق المعروف بالموصللي، وأصله من
الفرس، وإنما سمي الموصللي لأنه صحب بالكوفة فتياناً في طلب الغناء
فاشده عليه أخواله في ذلك فخرج من الكوفة إلى الموصل ثم عاد إلى الكوفة،
فقال له أخواله : مرحباً بالصبي الموصللي، فبقي ذلك عليه، وكان ماهان
أبوه خرج من أرجان بأم إبراهيم وهي حامل، فقدم الكوفة فولد إبراهيم بها،
ونظر في الأدب وقال الشعر، وطلب عربي الغناء وعجميه، وسافر فيه إلى =

خلا قلبه من غرام ، وما أزال يده من غلام ، ومن شعره:
لا عذر أوضحُ من أسيل واضح
صقل الشباب أديمه المشبوبا
لما نظرت إلى الفرند بصفحه
أبصرته بدم القلوب خضيبا
ورمى عن اللحظ العليل إلى الحشا
سهم المنون فكان فيه مُصيبا
هلا سألت لحاظه يوم النوى
هل غادرت لك في الحياة نصيبا^(١)

=البلاد حتى برع في العلم به، واتصل بالخلفاء والملوك، ولم يزل ببغداد إلى
حين وفاته سنة ٢١٣هـ/٨٢٨م، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٦/١٧٣ - ١٧٥.
١ (المغرب في حلى المغرب، ٢/٣٤٣ - ٣٤٤.

مدينة وادي الحجارة Guadalajara

(مدينة الفرّج) الأندلسية

(٩٤ - ٤٧٨هـ / ٧١٢ - ١٠٨٥م)

أولاً: الجغرافية التاريخية لمدينة وادي الحجارة "Guadalajara"؛
يبدو أن لموقع المدينة علاقة كبيرة باسمها ، فهي تبعد مسافة ٥٧ كم عن مدينة مدريد Magerit (مجریط)^(١) ، وأهم ظاهرتين طبيعيتين حددت اسمها هما الجبال والأنهار ، فالمدينة تقع ضمن المنظومة الوسطى من الجبال والتي يطلق عليها اسم كورديرا كريتانا Cordillera Carpetana وتتألف من سلسلة جبال تتجه من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي ويصل ارتفاعها إلى أكثر من ٢٠٠٠ متر ثم تتصل بسلسلة جبال وادي رامنة (الرملة) Sierra Morena - إلى Guadarrama - وهو جبل الشارات - إلى الشمال الغربي من مدينة مدريد ، وتتخلل هذه السلاسل الجبلية ممرات منها ممر سوموسيرا Somosierra بين مدريد وبرغش Burgos ، ووادي عميق Navacerrada بين مدريد وشقوبية Segovia ، ووادي رامه بين مدريد وبلد الوليد Valladolid^(٢) ، وفي قلب هذه المنطقة تقع مدينة وادي الحجارة ، وقد وصف الزهري هذه المنطقة الجبلية بقوله ((...جبل أطربجرش المتقدم ذكره الذي يفصل بين بلاد الأندلس وبلاد الأفرنج ، وهو يقطع من الجنوب إلى الشمال من ساحل البحر الرومي إلى الموضع المعروف برت جيقي...))

(١) أرسلان، التحلل السندسية، ٧٣/٢ ؛ شهود، مدينة وادي الحجارة الأندلسية، آثار وعمارة، مقالة على الموقع الإلكتروني : <http://almothaqaf.com>.

(٢) حتاملة، ايبيريا، ص ٢٩ - ٣٢.

ثم ينتقل هذا الجبل إلى ناحية المغرب على الثغر الأعلى المعروف بثغر المنار ، ومنه يدخل إلى أرض قشتالة ، وفي هذا الموضع البرت المسمى ببرت ياقة بإزاء مدينة برشلونة ..ثم يهبط هذا الجبل على ثغر وادي الحجارة ومدينة طلمنكة والى الجزيرة المعروفة بجزيرة طليطلة والى الفج المسمى بالشارت ويعرف هذا الجبل في هذا الموضع بالشارت حتى إلى البرت المعروف ببرت قال ، ثم يهبط حتى يرتكن في البحر المحيط))^(١).

أما الظاهرة الثانية فهي الأنهار ، إذ تقع المدينة عند منابع نهر تاجه Rio Tajo وهو أطول أنهار شبه الجزيرة الأيبيرية Iberia ، فهو ينبع من جبل سان فيليب San Felipe بين مدينتي طويريل Teruel وقونقة Cuenca ثم يعبر وادي الحجارة ثم يخترق طليطلة Toledo وطلبييرة Talavera ثم يتابع سيره نحو شتترين Santarem ثم خليج لشبونة Lisboa^(٢) ، ومدينة وادي الحجارة تقع على غربي نهر يعرف باسمها^(٣) (أي نهر وادي الحجارة) ، وقال عنه الإدريسي: وهذا النهر يجري إلى جهة الجنوب فيقع في نهر تاجه الأكبر فيمده^(٤) ، وقد وصف الجغرافيون نهر تاجه بالقول: إنه يشق بلاد الأندلس من شرقها إلى غربها ومنابعه بالقرب من مدينة تطيلة Tudela ثم ينحدر نحو الجنوب

١ (كتاب الجغرافية، ص ١٠٤ .

٢ (حتاملة، ايبيريا، ص ٨٥ - ٨٦ .

٣ (ابن سعيد، الجغرافيا، ١٧٩ .

٤ (نزهة المشتاق، ٥٥٣/٢ .

الغربي ماراً بمدن وادي الحجارة ومجريط وطليلة ثم طلبيرة وشترين
ولشونة حيث يصب في البحر المحيط^(١).

وعلى سفوح تلك الجبال الوعرة التي تتخللها وديان الأنهار
العميقة ذات المياه السريعة الجريان التي شقت لنفسها مجاري بين
الصخور وهي الفاصلة بين شقي شبه الجزيرة الشمالي والجنوبي
شيّدت العديد من المدن ومنها مدينة وادي الحجارة والتي جاءت
تسميتها من طبيعة سطح المنطقة التي قامت عليها ، ويذكر
المؤرخون الأسباب بأن معنى وادي الحجارة هو وادي القلاع. كما أن
هناك ٣٠ موقعاً أثرياً في المدينة معظمها تتكون من الحصون والقلاع^(٢).
ويمكن التعرف على مدلولات اسمها في المصادر العربية من خلال
روايات ياقوت عنها ، فقد ورد اسمها عند ياقوت بثلاثة صيغ في ثلاثة
مواضع ، في الأولى قال: الحجارة ، جمع حجر: كورة بالأندلس يقال لها
وادي الحجارة^(٣) ، وفي الثانية قال: فرج ، مدينة بالأندلس تعرف بوادي
الحجارة^(٤) ، وفي الثالثة قال: وادي الحجارة ، بلد بالأندلس^(٥).

١ (مؤلف مجهول، حدود العالم، ص٦٧ ؛ البكري، المسالك والممالك،
٢٣٩/١ - ٢٤٠؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٣/٢؛ المراكشي، المعجب، ص٢٦٩؛
الحميري، الروض المعطار، ص١٢٧ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص٤٨.
٢ (شمهود، مدينة وادي الحجارة الأندلسية، آثار وعمارة، مقالة على الموقع
الإلكتروني: <http://almothaqaf.com>.

٣ (الأندلس من معجم البلدان، ص١١٧.

٤ (الأندلس من معجم البلدان، ص٢٠٢.

٥ (الأندلس من معجم البلدان، ص٢٩١.

إن الملاحظة الجديرة بالاهتمام من رواية ياقوت هو التعبيرات الجغرافية المختلفة عن مدينة وادي الحجارة ، فهو أولاً أطلق عليها كورة ثم مدينة ثم بلد ، فضلاً تسميتها ، اسمها أولاً الحجارة وثانياً فرج وثالثاً وادي الحجارة.

أما ما يخص المدلول الجغرافي (كورة) فإن معظم الجغرافيين الذين أشاروا إليها ذكروا أنها مدينة^(١) ، والكورة تعبير تمدني استخدمه الجغرافيون المسلمون للدلالة على مناطق أوسع من المدينة ، فقد أشار ياقوت إلى أن الكورة هي ((كل صقع يشتمل على عدة قرى ولا بد لتلك القرى من قصبه أو مدينة أو نهر يجمع اسمها))^(٢) ، ويشير مؤنس إلى أن الأندلس لم تعرف نظام الكور إلا في عهد متأخر وجاء مضطرباً عند الجغرافيين وذلك لأن التقسيم الإداري في الأندلس منذ حقبة قبل الإسلام (أي التقسيم الروماني والقوطي) كان قائماً على نظام المدن ذات الحوز ، لذلك فإن مصطلح الكورة ظهر على سبيل التجوز لا على أنه مصطلح إداري^(٣).

وهذا ما جعل بعض الجغرافيين المسلمين يقعون ببعض الخلط عند

١ (اليعقوبي، البلدان، ص ١٩٤؛ الاصطخري، المسالك والممالك، ص ٣٦؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١١٧؛ مؤلف مجهول، حدود العالم، ص ١٨٢؛ البكري، المسالك والممالك، ٨٩٢/٢؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٣/٢؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص ١٧٩؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٦٠٦؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٢٠/٥؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ١٠٨.

٢ (معجم البلدان، ٣٦/١ - ٣٧.

٣ (فجر الأندلس، ص ٥٩٠.

استخدام مصطلحي الكورة والمدينة في الأندلس ، فمثلاً عندما تكلم المقدسي عن الأندلس قال: ((والأندلس يفصل بينهما بحر الروم غير إنّنا نعجز عن تكوير الأندلس فتركناها على الجملة ووصفنا كورة قرطبة لما كثر المخبرون عنها وتّضح عندنا أمرها ، وعرضت كتابي على شيخ من مشايخهم فقال: على هذا القياس يجب أن تكون الأندلس ثماني عشرة كورة فعدّ بجانة مالقة بنسبة تدمير سرقوسة يابسة وادي الحجارة تطيلة وشقة مدينة سالم طليطلة إشبيلية بطليوث باجة قرطبة شذونة الجزيرة الخضراء ، وسالت آخر فقال: صدق وزاد لبيبة خشنبه ، ويجوز أن يكون بعض هذه البلدان نواحي قياساً على إيلاق وكشّ والصغانيان والله أعلم بالصواب))^(١).

وكان ياقوت (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) الذي جاء متأخراً أكثر إدراكاً لخصوصية المصطلحات الجغرافية الأندلسية ، فعندما عرف (الإقليم) ودلالاته في المشرق قال: ((لأهل الأندلس خاصّة ، فإنهم يسمّون كل قرية كبيرة جامعة إقليماً ، وربما لا يعرف هذا الاصطلاح إلاّ خواصّهم ، وهذا قريب مما قدّمنا حكايته عن حمزة الأصفهاني^(٢) ، فإذا قال الأندلسي: أنا من إقليم كذا ، فإنه يعني بلدة ، أو رستاقياً بعينه))^(٣) ، وقال: إن (شنت) بالأندلس تعني ((البلدة أو الناحية لأنها

١ (أحسن التقاسيم، ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .

٢ (حمزة بن الحسن الأصفهاني من أهل أصفهان، مؤرخ وأديب، له عدة مصنفات منها تاريخ أصفهان والأمثال على أفعال وسني ملوك الأرض، تويج سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م، ابن النديم، الفهرست، ص ١٩٢؛ الزركلي، الأعلام، ٢/ ٢٧٧ .

٣ (معجم البلدان، ١/ ٢٦ .

تضاف إلى عدة أسماء^(١)، ومن المصطلحات الجغرافية الخاصة بالأندلس ما ذكره ياقوت عن الفحص ، قال: إن بأرض ((الأندلس مواضع عدة تسمى الفحص ، وسألت بعض أهل الأندلس: ما تعنون به؟ فقال كل موضع يسكن سهلاً كان أو جبلاً بشرط أن يُزرع نسميه فحصاً ثم صار علماً لعدة مواضع^(٢))) ، كما أن كلمة(منت) تعني عند أهل الأندلس جبل كما تقول جبل كذا وكذا^(٣).

ويخلص مؤنس إلى القول إن هناك أقساماً إدارية تسمى مدناً ولها أحواز فسيحة فيها مدن كبيرة وقرى وحصون ، وهذا شيء لا شبه له في المشرق ، فالمدينة هناك مدينة ولا زيادة وهي تتبع الكورة ، وهذا النوع من المدن يظهر بصورة واضحة في الثغور الشمالية والغربية من الأندلس في حوض نهر ابره **Rio Ebro** ، وما بين ابره وتاجه ، وفي حوض نهر تاجه ، أي السياج الثغري الذي يبدأ بطرطوشة **Tortosa** ماراً بوشقة **Huesca** وتطيلة فسرقسطة **Seragosa** ثم مدينة سالم **Medinaceli** ثم ينحدر جنوباً نحو طليطلة ثم غرباً إلى لشبونة على البحر المحيط^(٤).

ومن هناك يمكن أن نفهم ما ورد من اختلاف في المصطلحات الجغرافية عن مدينة وادي الحجارة ، فهي تشبه الكورة كاصطلاح

١ (ياقوت، معجم البلدان، ٣/٣٦٦.

٢ (معجم البلدان، ٤/٢٣٦.

٣ (معجم البلدان، ٥/٢٠٧.

٤ (فجر الأندلس، ص٥٨٢.

مشرقي لأنها تضم العديد من المدن والنواحي والقرى والحصون ، فعندما تحدث مؤلف مجهول عن وادي الحجارة قال: ((وبها مدن وحصون منها مدينة مجريط ومدينة ظلمنكة ومدينة مكادة ومدينة أنيشة ومدينة بوجة... وحدها ينتهي على حد بطليوس...))^(١) ، وقال ياقوت: إن أستوريس Asturias حصن من أعمال وادي الحجارة^(٢). أما وادي الحجارة كمدينة والذي ورد عند معظم الجغرافيين المسلمين ، فهي تعني المدينة الأم بخطتها وأرباضها وأسوارها دون أقسامها الإدارية الأخرى ، فالاصطخري قال عنها : ووادي الحجارة مدينة هي وما حولها من المدن^(٣) ، ووصفها ابن حوقل بالقول: ((وادي الحجارة مدينة كبيرة وثغر مشهور الحال مسورٌ بحجارة ذات أسواق وفنادق وحمّامات وحاكم ومخلف وبها يسكن ولاية الثغور...))^(٤) ، فالوصف هنا للمدينة ذاتها ، وكذلك تكلم الإدريسي عن مدينة وادي الحجارة قائلاً: ((ومدينة وادي الحجارة حصينة حسنة كثيرة الأرزاق والخيرات جامعة لأسباب المنافع والغلات وهي مدينة ذات أسوار حصينة ومياه معينة ويجري منها بجهة غربها نهر صغير لها...))^(٥) ، وردد الحميري ما جاء عند الإدريسي فقال: ((مدينة حسنة كثيرة الأرزاق جامعة لأشتات المنافع والغلات ، ولها

١ (تاريخ الأندلس، ص١٠٨ - ١٠٩ .

٢ (الأندلس من معجم البلدان، ص٢٩ .

٣ (المسالك والممالك، ص٣٦ .

٤ (صورة الأرض، ص١١٧ .

٥ (نزهة المشتاق، ٢/٥٥٣ .

أسوار حصينة ومياه معينة وبغريها نهر صغير لها...^(١).
أما تسميتها بأنها بلد ، فإن البلد تعبير أراد به الجغرافيون الموضع
الذي يمثل حلقة الوصل بن المدينة والقربة^(٢) ، وهو اسم يطلق على
الكورة^(٣) ، والمقدسي يقول: المصر كل بلد حلّه السلطان^(٤) ، وعليه
فإن البلد هو المدينة وما يحيطها من مزارع وقرى وأراضي تابعة لها ،
وهذه التسمية تنطبق أيضاً على مدينة وادي الحجارة لأنها تشمل
المنطقة الممتدة من طليطلة حتى مدينة سالم^(٥).
أما عن تسميتها بالحجارة كما ذكر ياقوت^(٦) ، فيبدو أنه مشتق من
طبيعة أرض المنطقة الجبلية الوعرة ، وأشار الاضطخري إلى مدن الثغر
الأوسط الأندلسي ومنها وادي الحجارة أثر أبنيتها من الحجارة^(٧) ، وقد
علق ابن حوقل على ذلك بقوله: ((وادي الحجارة مدينة كبيرة وثغر
مشهور الحال مسورّ بحجارة))^(٨) ، ولما كانت تسميتها بوادي الحجارة
مستحدثة من قبل المسلمين فجاءت مطابقة لطبيعة أرضها.
وجاءت تسميتها بالفرج أو مدينة الفرّج^(٩) نسبة إلى بني الفرّج

١ (الروض المعطار، ص٦٠٦.

٢ (ناجي، دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية، ص٦٦.

٣ (الفراهيدي، العين، ٤٢/٨ (مادة بلد).

٤ (أحسن التقاسيم، ص٤٧.

٥ (الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٣/٢.

٦ (الأندلس من معجم البلدان، ص١١٧.

٧ (المسالك والممالك، ص٣٥.

٨ (صورة الأرض، ص١١٧.

٩ (ابن سعيد، الجغرافيا، ص١٧٩؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص٢٠٢=

ابن سالم أول من نزل المنطقة—كما سيأتي بيانه- ، أما وادي الحجارة فذهبت بعض المصادر أنها جاءت من اسم النهر الذي تقع عليه المدينة والذي أطلق عليه المسلمون نهر وادي الحجارة^(١).

تقع مدينة وادي الحجارة تحت جبل الشارات في منطقة الثغر الأوسط الأندلسي ، ذلك أن جبل الشارات يبدأ من المغرب ويذهب مشرقاً مع آخر الجزء من شماليه فينتهي إلى مدينة سالم فيما بعد التّصف منه وتحت هذا الجبل طلبيرة في الشّرق ثمّ طليطلة ثمّ وادي الحجارة ثمّ مدينة سالم^(٢) ، وهي من طليطلة على مسافة خمسين ميلاً وإلى شرقها أيضاً مدينة سالم خمسين ميلاً^(٣) ، وعلى الرغم من طبيعة أرضها الجبلية إلا أن وفرة المياه فيها أدى إلى قيام زراعة فيها لاسيما الأشجار مثل الكروم والزعفران ، وقد أشار الإدريسي إلى ذلك بقوله: ((...كثيرة الأرزاق والخيرات جامعة لأسباب المنافع والغلات وهي مدينة ذات أسوار حصينة ومياه معينة ويجري منها بجهة غربيها نهر صغير لها عليه بساتين وجنات وكروم وزراعات وبها من غلات الزعفران الشيء الكثير يتجهز به منها ويحمل إلى سائر العمالات والجهات...))^(٤).

=الحميري، الروض المعطار، ص ٦٠٦؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٣٢٢ وأسامها
الهرج وهو تصحيف عن الفرج؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ١٠٨.
١ (ابن سعيد، الجغرافيا، ص ١٧٩؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٣٢٢.
٢ (ابن خلدون، العبر، ١/٨٤.
٣ (الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٣/٢؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ١٠٨
- ١٠٩ وقال إن بينهما ستون ميلاً.
٤ (نزهة المشتاق، ٥٥٣/٢؛ ينظر أيضاً: الحميري، الروض المعطار، ص ٦٠٦.

ثانياً: التاريخ السياسي لمدينة وادي الحجارة:

مدينة وادي الحجارة إسلامية النشأة والتسمية ، إلا أنه يُعتقد أنها قامت على آثار مدينة رومانية قديمة ، وحسب المصادر الأسبانية فإن المنطقة القريبة من الجسر العربي القديم كانت تسمى Alcalleria وتكتب أحياناً Alcarria أي القرية أو (الكرائية) ، وفي هذا المكان انشأ المسلمون المدينة^(١) ، وذكر مؤلف مجهول أن ترجاله Trujilla^(٢) ووادي الحجارة هما أقدم موضع في البلاد^(٣) ، فعليه يشير إلى تلك الآثار.

أما متى فتح المسلمون المنطقة ، فيبدو أن هناك بعض الاختلاف في تحديد تاريخ ذلك ، فابن عبد الحكم قال: إن طارقاً لما فتح طليطلة طلب مائدة سليمان فقبل له أنها بقلعة يقال لها قلعة فراس مسيرة يومين من قرطبة Cordoba فعندما غنمها رجع إلى طليطلة حتى وافاه موسى^(٤) ، أما ابن القوطية فذكر أن طارقاً بعد فتحه طليطلة تقدم إلى الفج المعروف بفج طارق الذي منه دخل جليقية ، فحرق

١ (شمهود، مدينة وادي الحجارة الأندلسية، آثار و عمارة، مقالة على الموقع الإلكتروني : <http://almothaqaf.com> .

٢ (ترجالة وتلفظ ترجيلة وهي من أعمال ماردة بينها وبين قرطبة ستة أيام غرباً وبينها وبين سمورة ستة أيام، استولى عليها النصارى سنة ٥٦٠هـ/١١٦٤م، ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٠٣ .

٣ (حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ص ١٨٢ .

٤ (فتوح مصر والمغرب، ص ٢٣٤ .

جليقية Galicia حتى انتهى إلى استرقة Astorga ووفاه موسى فيها^(١) ، فيما أشار مؤلف مجهول في كتابة أخبار مجموعة أن طارفاً بعد فتحه مدينة طليطلة سلك طريق وادي الحجارة ثم قطع الجبل وبلغ خلف الجبل مدينة تسمى مدينة المائدة ثم مضى إلى أمايا Amaya فأصاب بها حلياً ومالاً ثم رجع إلى طليطلة سنة ٩٣هـ/٧١١م^(٢) ، ووافقت رواية ابن عذاري رواية ابن عبد الحكم بالقول إن طارفاً لما فتح مدينة المائدة وغنمها رجع إلى طليطلة وأقام بها حتى وافاه موسى قال: ((هكذا أثر الناس هذا كله))^(٣).

وجمع ابن حيان الرويتين أعلاه ، فأشار المقرئ عن ابن حيان قوله: ((وانتهى طارق إلى طليطلة دار مملكة القوط ، فألفاها خالية قد فر أهلها عنها ولجأوا إلى مدينة بها خلف الجبل ، فضم اليهود إلى طليطلة ، وخلف بها رجالاً من أصحابه ، ومضى خلف من فر من أهل طليطلة فسلك إلى وادي الحجارة ، ثم استقبل الجبل فقطعه من فج سمي به بعد ، فبلغ مدينة المائدة خلف الجبل... فأحرزها عنده ، ثم مضى إلى المدينة التي تحصنوا بها خلف الجبل ، فأصاب بها حلياً ومالاً ، ورجع ولم يتجاوزها إلى طليطلة سنة ثلاث وتسعين ، وقيل: إنه لم يرجع ، بل اقتحم أرض جليقية وخرقتها حتى انتهى إلى مدينة استرقة ، فدوخ

١ (تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٣٥، ٣٦ ؛ ينظر أيضاً : مؤلف مجهول، فتح

الأندلس، ص ٢٣ - ٢٤ .

٢ (ص ٢٣، ٢٤ ؛ ينظر أيضاً: ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٤٤ .

٣ (البيان المغرب، ١٢/٢ ؛ ينظر أيضاً: الحميري، الروض المعطار، ص ٥٣٠ .

الجهة ، وانصرف إلى طليطلة))^(١).

نحن أمام روايتين ، الأولى أشارت إلى أن طارقاً بعد أن فتح مدينة المائدة استمر في التقدم شمالاً حتى استرقة ، والثانية ذهبت إلى أنه عندما فتح مدينة المائدة رجع إلى طليطلة ، وترجع معظم المراجع الحديثة إلى أن طارقاً قبل لقائه بموسى لم يتجاوز مدينة المائدة وأن رجوعه إلى طليطلة كان في سنة ٩٣هـ/٧١١م^(٢) ، وعلق مؤنس على ذلك بقوله: ((ويستبعد أن يكون طارق قد سار إلى أمايا واسترقه في ذلك الحين كما يزعم بعض المؤرخين ، لأن الشتاء كان قد اقترب ، وكان الإجهاد قد نال من المسلمين وثقلوا بالغنائم))^(٣) ، ونحن نرجح ذلك لأن استرقه (ولفظت أيضاً اشترقه) عدها الإدريسي ضمن بلاد جليقية^(٤) ، وهي من المناطق التي حاول موسى فتحها إلا أن استدعاء الخلافة له حال دون استكمال ذلك^(٥).

ومدينة المائدة التي فتحها طارق هي نفسها قلعة هنارس Henares الواقعة على نهر هنارس الذي اسماه المسلمون نهر

١) نفع الطيب، ٢٦٤/١ - ٢٦٥.

٢) ينظر عن ذلك : الحجى، التاريخ الأندلسي، ص ٦٦ ؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٣٣ - ٣٤ ؛ العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص ٢٨٠ ؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص ٨٣ - ٨٤ ؛ العتبي والعامري، تاريخ المغرب والأندلس في العصر الإسلامي، ص ٢٥١ ؛ أبو عبيدة، موجز عن الفتوحات الإسلامية، ص ١٠٠.

٣) فجر الأندلس، ص ١٤٠ - ١٤١.

٤) نزهة المشتاق، ٧٣١/٢ ؛ ينظر أيضاً : المقري، نفع الطيب، ٣٣٨/١.

٥) المقري، نفع الطيب، ٢٧٥/١ - ٢٧٦ ؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص ١٦٦.

وادي الحجارة^(١)، والتي تقع إلى الجنوب من موقع مدينة وادي الحجارة^(٢)، وهذا يعني أن طارقاً لم يصل مدينة وادي الحجارة سنة ٧١١/٥٩٣م، وإنما كان فتحها في بداية سنة ٧١٢/٥٩٤م، ففي طليطلة تدارس القائدان خطة الفتح حيث قررا أن يسير طارق بقواته شمالاً تاركاً موسى بن نصير إكمال فتح المناطق الأخرى، وقد سلك طارق الطريق الروماني القديم الذي يربط طليطلة بسرقسطة حيث تكمن من فتح جميع المدن الواقعة على هذا الطريق ومن ضمنها منطقة مدينة وادي الحجارة^(٣).

أما القبائل التي استوطنتها، فإن حوض نهر تاجه والمنطقة الممتدة على روافده شمال طليطلة من أوسع مناطق استيطان القبائل البربرية في الأندلس، ويأتي نزولهم في هذه المناطق الجبلية بمحض إرادتهم إذ أنهم فضلوا الاستيطان في الأماكن التي تشابه أماكن استيطانهم الأصلية في شمال إفريقيا^(٤)، وفي ذلك يقول المقرئ إن: ((العرب والبربر كلما مرّ قوم منهم بموضع استحسونه وحطوا به ونزلوا قاطنين))^(٥)، كانت خطة طارق بن زياد عند فتحه للمناطق التي يمر عليها أن يضع في كل بلد بعض من حرسه

١ (الحجي، التاريخ الأندلسي، ص ٦٤؛ أرسلان، الحلل السندسية، ٦٩/٢

٢ (ينظر الخريطة.

٣ (السامرائي، الثغر الأعلى الأندلسي، ص ٧٠-٧١؛ أبو عبيدة، موجز عن

الفتوحات الإسلامية، ص ١٠١.

٤ (طه، الفتح والاستقرار، ص ٢٦٠.

٥ (م. ن، ١/٢٢٠.

وحميته فضلاً عن بعض اليهود الذين أعانوا المسلمين في أول الفتح ، وقد صار ذلك كما يقول الرازي (سنة متبعة في كل بلد يفتحونه)^(١) ، فنزل أحد رجالات البربر وهو سالم بن ورعمال بن وكذات بن أكلله بن مقر بن أكلل بن مسالة بن ناكور بن يوطافان بن مسقاط بن مصاد بن مصمودة^(٢) ، في أطلال المدينة الرومانية القديمة التي كانت تدعى اوسيلس (Ocilis)^(٣) ، حيث عمل على ترميمها واسكنها أسرته ، وسيطر بنو سالم على المنطقة المحصورة بين مدينة سالم وأصبحوا أمراء فيها ، وفي ذلك يقول اليعقوبي: إنه ((من طليطلة لمن أخذ مشرقاً إلى مدينة يقال لها وادي الحجارة ، كان عليها رجل من البربر ، يقال له مبتل بن فرج الصنهاجي يتولاها يدعو لبني أمية ، ثم صار ولده وذريته بعده إلى هذه الغاية))^(٤) ، وأضاف الاضطخري أن ((وادي الحجارة مدينة وما حولها من المدن تعرف بمدن بني سالم))^(٥) ، ثم جاءت رواية ابن حزم لتزيد الأمر وضوحاً إذ قال: ((وينو سالم ، الذين تنسب إليهم مدينة سالم ، وتنسب مدينة الفرّج إلى ابنه الفرّج بن سالم))^(٦) ، قال:

١ (مؤنس، فجر الأندلس، ص ٨٣ (عن الرازي).

٢ (ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص ٥٠١

٣ (العبادي، في التاريخ العباسي الأندلسي، ص ٤١٨. العتبي والعامري. تاريخ المغرب والأندلس، ص ٣٧٩.

٤ (البلدان، ص ١١١.

٥ (المسالك والمملك، ص ٣٦.

٦ (جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠١.

وهؤلاء كانوا الأمراء بالثغر^(١).

إن الروايات أعلاه تقودنا إلى البحث عن تاريخ نزول بني الفرج بن سالم منطقة مدينة وادي الحجارة ، لأن ذلك له علاقة أيضاً بتاريخ تأسيس المدينة في العهد الإسلامي.

رواية ابن حزم أعلاه أشارت إلى أن سالم بن ورعمال المصمودي هو من نزل مدينة سالم فُنسبت إليهم ، قال وتُنسب مدينة الفرج إلى ابنه الفرج بن سالم^(٢) ، ولم تذكر الرواية متى نزل سالم بن ورعمال ، المعروف أن غالبية الجيش الذي دخل شبه الجزيرة الأيبيرية مع طارق بن زياد كان من البربر^(٣) ، إلا أن تيار هجرة البربر إلى الأندلس استمر بحكم القرب الجغرافي ، وفي ذلك قال المقري: ((وتسامع الناس من أهل برّ العدو بالفتح على طارق بالأندلس وسعة المغنم فيها ، فأقبلوا نحوه من كل وجه ، وخرقوا البحر على كل ما قدروا عليه من مركب وقشر ، فلحقوا بطارق ، وارتفع أهل الأندلس عند ذلك إلى الحصون والقلاع ، وتهاربوا من السهل ولحقوا بالجبال))^(٤) فغلب البربر على مناطق واسعة من البلاد ، إلا أن أوسعها انتشاراً كان الخط الذي يبدأ من نواحي جبال البرت Pyrenees عند لاردة Leride ووشقة ثم ينحدر إلى

١ (جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩٩.

٢ (جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠١.

٣ (ابن عذاري، البيان المغرب، ٦/٢ ؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص ١٣٠.

٤ (نصح الطيب، ٢٥٩/١.

مدينة سالم ثم دائرة المدن الحيطه بها والتي تمتد إلى أحواز طليطلة^(١) ، ومعظم من نزل هذه المناطق كانوا أمراء في مناطقهم^(٢) .

وعلى الرغم من أن تيار الهجرة البربرية إلى للأندلس لم ينقطع على مدى حقب التاريخ الأندلسي ، إلا أن ذلك التدفق الكبير الذي أعقب الفتح أخذ يخف في أعقاب الفتنة التي قامت في الأندلس في نهاية عصر الولاة وقيام الحرب الأهلية بين العرب أنفسهم (القيسية واليمينية) ثم وبينهم وبين البربر ، وما زاد في اضطراب الأمور ظهور المجاعة ، وما أعقب ذلك من نزوح أعداد كبيرة من البربر من ثغور الأندلس في هجرة عكسية أعادة انتشارهم مرة أخرى في مناطق الأندلس ، وفضل بعضهم العبور إلى إفريقية ، وقد علق مؤلف مجهول على ذلك بقوله: إن موقعة شقنדה التي حدثت سنة ١٣٠هـ / ٧٤٧م كانت قاطعة الأرحام أعقب الله أهل الأندلس بعدها بالجوع والقحط فأخرج النصارى المسلمين من جليقية كلها ((وتنصر كل مذبذب عن دينه ، وضعف عن الخراج ، وقتل من قتل ، وصار فلهم إلى خلف الجبل إلى أسترقة وغيرها ، وانضم الناس إلى ما رواء الدرب الآخر وإلى قورية وماردة سنة ست وثلاثين ، واشتد الجوع ، فخرج أهل الأندلس إلى طنجة وأصيلا... فكانت إجازتهم من وادي بكورة شذونة يقال له: وادي برباط ، فتلك السنون تسمى: سني برباط))^(٣) .

١ (مؤنس، فجر الأندلس، ص٤٢٥ - ٤٢٦ .

٢ (ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٩٩ .

٣ (أخبار مجموعة، صص٦١ - ٦٢ ؛ وينظر التفاصيل : مؤنس، فجر الأندلس، ص٢٨٠ - ٢٩٧ .

يمكننا أن نرجح أن نزول بني سالم بن ورعمال المصمودي في مدينة سالم والمنطقة المحيطة بها وبسط سيادتهم عليها (أي أمراء فيها) في المدة بين فتح المنطقة من قبل طارق في سنة ٧١٢هـ/٧١٢م إلى قبيل أحداث الفتنة سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م ، ولعل سالم بن ورعمال كان من رجال طارق ثم لحق به قومه.

أما الفرّج الذي نُسبت إليه مدينة الفرّج (وادي الحجارة) ، فقد ذكر ابن حزم أنه ابن سالم^(١) ، ولا خلاف حول الفرّج هذا ، فابن الخطيب عندما تكلم عن أحد أحفاده قال: مالك بن عبد الرحمن بن علي بن الفرّج بن أرزق بن سعد بن سالم بن الفرّج المنزل بوادي الحجارة بمدينة الفرّج المنسوبة إليه الآن^(٢) ، وفي رواية لابن حيان ذكر فيها أحد ولاية الثغر وهو الفرّج بن مسرة بن سالم توفي سنة ٢١٧هـ/٨٣٢م^(٣) ، ولكن هل أن الفرّج بن سالم الذي ذكره ابن حزم هو نفسه الفرّج بن مسرة بن سالم الذي أشار إليه ابن حيان وأن اسم الأب تركه ابن حزم واكتفى بذكر الجد ، هذا ما نرجحه لأنه يبعد أن يكون الفرّج بن مسرة بن سالم المتوفى سنة ٢١٧هـ/٨٣٢م هو نفسه الفرّج بن سالم الذي ذكره ابن حزم والذي دخل الأندلس أثناء الفتح ، والراجح أن يكون اسم (مسرة) هو الذي أسقطه ابن حزم وذلك بنسبة الحفيد إلى الجد لشهرة الأخير لكونه المؤسس لمدينة الفرّج (وادي الحجارة).

١ (جمهرة انساب العرب، ص ٥٠١.

٢ (الإحاطة، ٢/٢٣١.

٣ (المقتبس، للحقبة (٢٣٢- ٢٦٧هـ / ٨٤٦- ٨٨٠م) ص ٧٩.

يبقى أن نوضح متى قام الفرّج بن مسرة بن سالم ببناء المدينة ، إن المصادر التي بين أيدينا لم توضح ذلك ، ولكن الراجح أن نزولهم مدينة سالم كان السابق ، ثم إنهم لما ازداد عددهم وربما هاجر إليهم العديد من أبناء جلدتهم لكونهم أصبحوا أمراء تلك المناطق ، تفرق أبناء وأحفاد سالم في المدن والقرى القريبة من مدينة سالم وفرضوا هيمنتهم عليها حتى عرفت تلك المناطق بمدن بني سالم^(١).

والراجح أن بناء مدينة الفرّج (وادي الحجارة) كان قبل سنة ١٩٤هـ/٨٠٩م ، لأن المصادر أشارت إلى أنه في هذه السنة كان الشاعر عباس بن ناصح^(٢) في مدينة الفرّج^(٣) ورفع إلى الأمير الحكم بن هشام (١٨٠-٢٠٦هـ / ٧٩٦-٨٢١م) استغاثة امرأة بالأمير لما أصابهم من هجمات النصارى بسبب انشغال الأمير الحكم بعصيان أهل ماردة Merida^(٤) ، فصنع قصيدة جاء في أولها:

١ (الاصطخري، المسالك والممالك، ص٣٦.

٢ (هو عباس بن ناصح الثقفى من أهل الجزيرة الخضراء رحل صغيراً إلى المشرق وأخذ من علماء البصرة والكوفة من علوم اللغة، واشتهر بالشعر ومدح الأمير الحكم بن هشام، توفى بعد سنة ٢٣٠هـ / ٨٤٤م ، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٢٣٨؛ ابن حيان، المقتبس، للحقبة (١٨٠- ٢٣٢ هـ / ٧٩٦- ٨٤٦م) ص ٢٣٤- ٢٣٨؛ القفطي، أنباه الرواة ٢ / ٣٦٥ - ٣٦٧؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٣/٣٦٨- ٣٦٩؛ السيوطي، بغية الوعاة، ٢/٢٨٠. ٣ (ابن حيان، المقتبس، للحقبة (١٨٠- ٢٣٢ هـ / ٧٩٦- ٨٤٦م) ص ٢٣١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٧٣؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ١/٢٧١. ٤ (ينظر عن أحداث ماردة في أيام الأمير الحكم: ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص١٤٤، ١٤٤.

تلملت في وادي الحجارة مسهراً
أراعي نجوماً ما يردن تغوراً
إليك أبا العاصي نضيت مطيّي
تسير بهم سارياً ومهجّرا
تدارك نساء العالمين بنصرة
فإئك أحرى أن تغيث وتنصرا^(١)

وقد علق ابن عذاري على ذلك بقوله: ((وفي سنة ١٩٤ ، غزا الحكم إلى أرض الشرك ، وكان السبب في هذه الغزاة أن عباس بن ناصح الشاعر كان بمدينة الفرج (وهي وادي الحجارة) ، وكان العدو ، بسبب اشتغال الحكم باردة وتوجيه الصوائف إليها مدة من سبعة أعوام ، قد عظمت شوكته ، وقى أمره ، فشن الغارات في أطراف الثغور ، يسبي ويقتل ، وسمع عباس بن ناصح امرأة في ناحية وادي الحجارة ، وهي تقول: (واغوثاه يا حكم! قد ضيعتنا وأسلمتنا واشتغلت عنا ، حتى استأسد العدو علينا) فلما وفد عباس على الحكم ، رفع إليه شعرا يستصرخه فيه ، ويذكر قول المرأة واستصراخها به ، وأنهى إليه عباس ما هو عليه الثغر من الوهن والتيث الحال ، فرثى الحكم للمسلمين ، وحمى لنصر الدين ، وأمر بالاستعداد للجهاد ، وخرج غازياً إلى أرض الشرك ، فأوغل في بلادهم ، وافتتح الحصون ، وهدم المنازل ، وقتل كثيراً ، وأسر

(١) مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ١٧٩ ؛ المقرئ، نضح الطيب، ١/٣٤٣.

كذلك ، وقفل على الناحية التي كانت فيها المرأة ، وأمر لأهل تلك الناحية بمال من الغنائم ، يصلحون به أحوالهم ويفدون سباياهم ، وخص المرأة وأثرها ، وأعظامهم عدداً من الأسرى عوناً ، وأمر بضرب رقاب باقيهم ، وقال لأهل تلك الناحية وللمرأة: (هل أغاثكم الحكم؟) قالوا: (شفا والله الصدور ، ونكى في العدو ، وما غفل عنا إذ بلغه أمرنا! فأعائنه الله وأعز نصره))^(١) .

وعلى الرغم من عدم وجود إشارة صريحة في المصادر إلى اسم والي مدينة الفرج (وادي الحجارة) آنذاك إلا أننا نرجح أنه كان الفرّج بن مسرة بن سالم ، وذلك من خلال رواية ابن حيان التي ذكر فيها أن الأمير الحكم عندما سمع بالمرأة المستصرخة ((...وثب مشمراً ، فأعد للغزو بسرعة وخرج مبادراً فرج مدينة الفرج ، فدخل إلى بلد العدو من تلقائها ، ...))^(٢) ، وأشار في أحداث سنة ٢١٠هـ / ٨٢٥م قال: ((وفيها غزا فرج بن مسرة أرض العدو ، فافتتح حصن القليعة))^(٣) ، فالراجح أن فرج الذي بادره الأمير في مدينة الفرج هو والي المدينة الذي غزا في هذه السنة.

١ (البيان المغرب، ٧٣/٢ ؛ ينظر أيضاً : ابن حيان، المقتبس، للحقبة (١٨٠ - ٢٣٢ هـ / ٧٩٦ - ٨٤٦م) ص ٢٣١ - ٢٣٢ ؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٤٤ - ١٤٥ ، إلا أنه جعل هذه الغزوة سنة ١٩٦هـ / ٨١١ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٣/٢١٦ ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ١/٢٧١ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ١٧٩ - ١٨٠ .

٢ (المقتبس، للحقبة (١٨٠ - ٢٣٢ هـ / ٧٩٦ - ٨٤٦م) ص ٢٣٢ .

٣ (المقتبس، للحقبة (١٨٠ - ٢٣٢ هـ / ٧٩٦ - ٨٤٦م) ص ٤٢١ ؛ ينظر أيضاً: ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٢/٢ واسماها حصن القلعة.

وأشار ابن عذاري إلى أن مسرة والد الفرّج كان عاملاً على مدينة جيان Jaen^(١) ، أما ابن حيان فاكتفى بالقول إن الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ / ٨٢١-٨٥٢م) أمر ببناء المسجد الجامع بمدينة جيان وكتب بذلك إلى مسرة عامله^(٢) ، ولا يستبعد ذلك لأن بني سالم كانوا من الولاة المخلصين لبني أمية في الأندلس واستمروا في ذلك - كما سنرى- ولكن اللافت للنظر هو كيف يولي الأمير عبد الرحمن الأوسط أميراً من البربر على منطقة غالبية سكانها من العرب^(٣) ، ولعل ذلك عقوبة لهم بسبب ما أحدثوه من فتنة ، إذ علق ابن عذاري على ذلك بقوله: ((ومنها ثارت الفتنة أولاً...))^(٤).

توفي الفرّج بن مسرة بن سالم سنة ٢١٧هـ/٨٣٢م ، وجعل ابن حيان ذلك تحت عنوان (الوفاة لأولي النباهة في دولة الأمير عبد الرحمن بن الحكم)^(٥) ، مما يعكس مكانته عند حكومة قرطبة ، ولم تشر المصادر التي بين أيدينا إلى من تولى مدينة الفرّج (وادي الحجارة) بعده حتى سنة ٢٤٨هـ/٨٦٢م ، إذ أشارت المصادر إلى أن على وادي الحجارة وال من بني الفرّج بن سالم يدعى أزراق بن

١ (البيان المغرب، ٢/٨٢.

٢ (المقتبس، للحقبة(١٨٠- ٢٣٢ هـ/ ٧٩٦- ٨٤٦ م) ص ٤٢٠ ؛ ينظر أيضاً : الحميري، الروض المعطار، ص ١٨٣.

٣ (ينظر عن استقرار القبائل العربية في جيان: طه ، الفتح والاستقرار، ص ٢٤٢- ٢٤٩.

٤ (البيان المغرب، ٢/٨٢.

٥ (المقتبس، للحقبة(٢٣٢- ٢٦٧ هـ / ٨٤٦- ٨٨٠ م) ص ٧٩.

منتيل بن سالم حسب رواية ابن حيان والعذري^(١) ، أما يعقوبي فذكر أن على وادي الحجارة ((رجل من البربر ، يقال له مبتل بن فرج الصنهاجي ، يتولاها يدعو لبني أمية ، ثم صار ولده وذريته بعده إلى هذه الغاية في البلد))^(٢).

وواضح أن مبتل عند يعقوبي يقابل منتيل بن سالم عند ابن حيان والعذري والاختلاف بسبب التصحيف ، ولكن نص يعقوبي على قد من الأهمية ، إذ أشار النص إلى أن ولاية وادي الحجارة في أيامه هم ذرية مبتل (منتيل) ، ولما كان يعقوبي انتهى من تأليف كتابه البلدان في حدود سنة ٢٧٨هـ/٨٩١م^(٣) ، وعليه فالراجح أن مبتل (منتيل) هو ابن للفرج بن مسرة بن سالم وتولى مدينة الحجارة بعد وفاة والده ، وبعد وفاته (التي لم تحدد لنا المصادر ذلك) تولى ابنه أزراق بن منتيل.

كان بنو سالم من الولاة المخلصين لبني أمية في قرطبة ، يتضح ذلك من الاستقرار الذي حظيت به المنطقة على أيديهم ، وشاركوا في صد هجمات النصارى على المنطقة كما مرّ بنا في أحداث سنة ٢١٠هـ/٨٢٥م ، وقد وصف ابن حيان بنو الفرّج بن سالم ولاية مدينة الفرّج (وادي الحجارة) بالقول: وكانوا ((على طاعة للخلفاء موروثه))^(٤).

وفي أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-

١) المقتبس، للحقبة (٢٦٧، ٢٣٢هـ / ٨٤٦ - ٨٨٠م) ص ٣١٥؛ ترصيع الأخبار، ص ٣٠.

٢) البلدان، ص ١١١.

٣) كراتشوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي، ق ١، ص ١٥٩.

٤) المقتبس، للحقبة (٢٣٢ - ٢٦٧هـ / ٨٤٦ - ٨٨٠م) ص ٣١٥.

٨٨٦م) تعاضم أمر موسى بن موسى القسوي^(١) وغلب على أكثر الثغر الأعلى مستغلاً انشغال الأمير محمد بثورة أهل طليطلة ، إلا أن الذي أفرغ الأمير محمد هو حدوث تقارب بين موسى بن موسى القسوي وأزراق بن منتيل بن سالم صاحب مدينة الفرج (وادي الحجارة) ، إذ صاهر موسى بن موسى أزراق وذلك محاولة منه في استمالته إلى جانبه ضد حكومة قرطبة ، وكان موسى بن موسى يدرك قوة بني الفرج بن سالم وهيمنتهم على المنطقة بين مدينة سالم وطليطلة ، كما أنهم كانوا من أقوى حلفاء بني أمية في المنطقة ، إلا أن محاولته هذه باءت بالفشل ، وقد أشار ابن القوطية إلى هذه الأحداث بقوله: إن ((موسى بن موسى حشد فأتى إزراق بن منتيل ، صاحب وادي الحجارة وثغرها ، وكان على طاعة موروثه للخلفاء ، وكان من أجمل الناس ، فلما نازله موسى بن موسى وتحرك إليه إزراق لمحاربه ، قال له

(١) موسى بن موسى بن فرتون بن قسي من أسرة من المولدين في منطقة الثغر الأعلى وأحد الأمراء المتغلبين فيها، وكان متقلب الولاء بحكم علاقته مع النصارى مصاهرته لهم تمكن في أيام الأمير عبد الرحمن الأوسط من بسط نفوذه على مناطق واسعة تطيلة ووشقة وسرقسطة إلا أن الأخير تمكن من هزيمة وأرغمه على تقديم الولاء والطاعة عن طرق الحملات المتتالية على مناطق الثغر الأعلى، فلما كان في أيام الأمير محمد نكث موسى بن موسى القسوي الطاعة وتحالف مع النصارى ضد حكومة قرطبة وزحف على مدينة وادي الحجارة إلا أنه فشل في دخولها وجرح ثم توفي بسبب جراحه سنة ٢٤٨هـ/ ٨٦٢، ينظر: ابن حيان، المقتبس، للحقبة(٢٣٢- ٢٦٧هـ / ٨٤٦- ٨٨٠م) ص ٣١٥ - ٣١٨؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص ٢٩- ٣١.

موسى مشافهة: يا إزراق ، لم أت لِحارتك ، إنما أتيت لمصاهرتك ، نشأت لي ابنة جميلة ليس بأندلس أجمل منها ، فأردت ألا أنكحها إلا من أجمل أحداث الأندلس ، وأنت هو ، فأجابه إزراق إلى ذلك ، وعقد النكاح ، وتوجه موسى بن موسى راجعاً إلى ثغره ، وبعث إليه بزوجته ، فلما بلغ الخبر محمداً أقامه وأقعدته ، وعلم أنه سيخسر الثغر الأدنى كما خسر الثغر الأقصى ، فوجه إليه أميناً يمتحن طاعته وما هو عليه ، فصرف الأمين وقال: سيظهر ما أنا عليه من الطاعة أو معصية ، فلما تشفى من زوجته خرج في نفر يسير من أتباعه ، فلم يسلك محجة ، ولا وقعت عليه أعين أحد يعرفه ، حتى وقف على باب الجنان ، فقامت في القصر ضجة ، وتبادر الفتيان إلى محمد يبشرونه ، فأمر بإيصاله وعنّفه على مصاهرة عدوه ، فأعلمه إزراق بالأمر كيف كان ، ثم قال له: ما يضرك أن يكون وليك يثاً ابنة عدوك ، إن أمكنني أن أستألفه بهذه المصاهرة إلى الطاعة فعلت ، وإلا أنا في جملة من يقاتله في طاعتك ، فاستندمه أياماً ثم حباه وكساه وصرفه ، فلما بلغ موسى بن موسى حشد إليه وحصره بوادي الحجارة فإن إزراق راقد في القصبّة المظلة على نهر وادي الحجارة ، ورأسه في حجر زوجته ، وقد انتشر أهل وادي الحجارة إلى كرومهم وبساتينهم ، فدفع عليهم موسى بن موسى بمن معه ، فألقاهم في الوادي ، فسرت الجارية بوالدها ، فنبتت إزراق وقالت له: انظر ذلك السبع ما يعمل ، فقال لها: وكأنك تفخرين عليّ بأبيك ، أو هو أشجع مني ، أولاً كرامة له ، ثم أخذ درعه فألقاها على نفسه ثم خرج ، فتلاحق بموسى ، وكان إزراق

من أرمى الناس برمح ، فانتزعه بزرقة لم تحد قدمه ، فأحس منها ما أحس ، فعاد راجعاً ، فمات قبل أن يبلغ تطيلة^(١) .

وهكذا أثبت أزراق بن منتيل صاحب وادي الحجارة ولاءه للدولة في قرطبة ولم يبال في سبيل ذلك قتال صهره ، ولم تشر المصادر التي بين أيدينا مدة حكم أزراق بعد هذه الحادثة ، وفي إشارة إلى استمرار ولائهم وطاعتهم ، أشار ابن حيان في حوادث ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م إلى أن أهل طليطلة فارقوا الطاعة ، واختلفت أهواءهم ووثبوا على عاملهم فقتلوه ونفوا مسونة^(٢) إلى مجريط فقتله عاملها عبيد الله بن سالم وأرسل برأسه إلى الأمير محمد بقرطبة^(٣) ، وهذا الوالي هو سليل أسرة بني الفرج بن سالم الذين توارثوا حكم الثغر الأوسط^(٤) .

ويبدو أن عهد الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن (٢٧٥- ٣٠٠هـ/ ٨٨٨-٩١٢م) شهد نفور بين ولاة وادي الحجارة من بني سالم وبين الأمير عبد الله ، ولعل ذلك راجع إلى اضطراب الأمور في عهده ، فانضموا إلى أحد الداعين بالأمر من بني أمية المعروف بابن القط أبو

(١) تاريخ افتتاح الأندلس، ص ١١١ - ١١٢؛ ينظر أيضاً: ابن حيان، المقتبس، للحقبة (٢٣٢ - ٢٦٧هـ / ٨٤٦ - ٨٨٠م) ص ٣١٥ - ٣١٨؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص ٣٠ - ٣١؛ وورد اسم إزراق عند القوطية بالكسر، فيما ذكره ابن حيان والعذري أزراق بالفتح؛ وذكر ابن عذاري الرواية مختصرة، البيان المغربي، ٩٧/٢ .

(٢) عند ابن عذاري ماسوية، البيان المغربي، ١٠١/٢ .

(٣) المقتبس (للحقبة ٢٣٢ - ٢٦٧هـ / ٨٤٦ - ٨٨٠م) ص ٣٢٦ - ٣٢٧ .

(٤) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٢٣٢ - ٢٦٧هـ / ٨٤٦ - ٨٨٠م) ص ٦١١ هامش (٥٣٧) .

القاسم أحمد بن معاوية بن هشام بن معاوية بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ، قيل إنه كان من أهل العناية بالعلم والنجوم ، خرج في سنة ٢٨٨هـ/٩٠٠م يطلب الدولة ويظهر الحسبة والرغبة في الجهاد ، منتزياً على الأمير عبد الله بالعجز عما قلده الله عن الجهاد ، داعياً إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فصار بأرض الجوف ، وتجول بين قبائل البربر يدعوهم إلى جهاد الكفرة فاجتمع إليه خلق كثير قيل إنه بلغ ستين ألفاً ، وكان من بينهم أهل وادي الحجارة ، فاقتحم أرض جليقية وقصد مدينة سمورة Zamora^(١) فنازله فيها الملك أذفنش بن أرذون ، فهزمهم أول الأمر ، ثم خذله بعض رؤساء البربر فانهزموا ، فدارت الدائرة عليه وقتل^(٢) .

وفي أوائل عهد الأمير عبدالرحمن الثالث (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) استغل النصارى انشغاله بالفتن الداخلية ولاسيما حركة ابن حفصون^(٣) ، فهاجموا منطقة الثغر الأوسط ومنها بسائط مدينة الفرج (وادي الحجارة) وذلك سنة ٣٠٨هـ/٩٢٠م ، فتصدى لهم حاكمها

١) وهي إحدى قواعد بلاد الجلائقة بينها وبين البحر المحيط ستون ميلاً.
الحميري، الروض المعطار، ص ٣٢٤.

٢) ابن حيان، المقتبس (لحقبة ٢٧٥ - ٣٠٠هـ/٨٨٨ - ٩١٢م) ص ١٥٥ - ١٦١ ؛
ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢/٢٦٨ - ٢٧٠.

٣) نسبة إلى عمر بن حفصون أحد المولدين الثائرين في قلعة بيشتر منذ أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن واستمرت ثورته حتى عهد عبد الرحمن الثالث، ابن حيان، المقتبس (الحقبة ٢٧٥ - ٣٠٠هـ/٨٨٨ - ٩١٢م) ص ٧٢ - ١١٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/ ١٣١ - ١٣٣.

من بني الفرّج بن سالم واستطاع هزيمتهم وأرسل بشرى النصر إلى الأمير عبد الرحمن ، وكان الأمير آنذاك قد أعدّ حملة لكبح اعتداءات النصارى ، قال ابن حيان: فلما كان في اليوم الرابع من فضوله عن قرطبة ورد عليه ((كتاب الفتح من عامل مدينة الفرّج ، المعروفة بوادي الحجارة ، يذكر فيها أن أعداء الله المشركين من أهل جليقية ، دمرها الله ، أتوهم في جمع كثير ، فأغاروا على ما ألفوه من بسيطهم من الدواب والسوائم ، ثم أتوا حصناً لهم بقربهم يعرف بالقلّيعَة ، فأحدقوا به طامعين في التغلب عليهم ، فانحشد إليهم جميع أهل البلد فارسهم وراجلهم وواضعوهم القتال ، فأثبتوا بصائرهم ، فمنحهم الله أكتافهم وأطال أيديهم عليهم ، فقتلوا وأسروا كثيراً منهم وأتبعوهم في أول النهار إلى آخره ، والسيف يعمل فيهم ، وبعثوا بجملة من رؤوس أكابريهم ، فاستبشر الناصر لدين الله بما ورد عليه من ذلك))^(١).

ثم واصل الأمير عند الرحمن سيره فمرّ بمدينة طليطلة ثم عرج إلى مدينة الفرّج(وادي الحجارة) بعساكره ، قال ابن حيان: ((وأهلها منقادون للطاعة ، فنظر في شأنهم وتحرى مصالحهم ، فعزل بني سالم عنهم ، إذ شكوا إليه بهم ، واستعمل عليهم مكانهم سعيد بن المنذر القرشي القائد ثقته ، وقدمه في محلته هذه إلى خطة الوزارة... فاستخلف سعيد الوزير مكانه على وادي الحجارة ابن غزلان

١) المقتبس (للحقبَة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/٩١٢ - ٩٤١م) ص ١٦١ - ١٦٢؛ ينظر أيضاً:

ابن عذارى، البيان المغرب، ١٧٦/٢.

القرشي صهره ، واستقصى الناصر لدين الله على وادي الحجارة ،
الفقيه محمد بن ميسور ، فصلحت أحوالهم ، وعمّ الرضا
جميعهم ، وخرج للجهاد أكثرهم))^(١).

نلاحظ هنا أنه على الرغم من أن بني سالم كانوا منقادين
للطاعة ، وأبلوا بلاءً حسناً في الدفاع عن مدينتهم ضد هجمات
النصارى وأرسلوا بشائر النصر إلى الأمير عبد الرحمن إلا أنه مع
ذلك عندما وصل إلى مدينة الفرج (وادي الحجارة) عزلهم وعين من
خاصته عليها ، وقد علل ابن حيان تصرف الأمير هذا بأن أهالي
المدينة شكوا إليه بني الفرج بن سالم ، وربما حدث نوع من التذمر
لاستبدادهم بالأمر بعد حكم طويل ، ولهذا عمل القاضي على
إصلاح شأنهم ، ولكن هذا وحده لا يكفي لأن ينتزع منهم الحكم ،
وهم أول من عمّر المدينة قبل حوالي قرنين ، وما هو معروف عنهم
بالطاعة لبني أمية طيلة تلك المدة ، فضلاً عن أن إرسالهم بكتاب
الفتح للأمير عبد الرحمن عند تصديهم للنصارى هو تعبير عن
الطاعة ، ولهذا نرى أن العامل المهم في عزلهم هو وقوفهم إلى جانب
ابن القط الذي خرج على جده الأمير عبد الله ، وكان عبد
الرحمن آنذاك فتى مقرباً من جده إذ تولى تربيته^(٢).

ألا أن ما يثير الاستغراب هو أن ابن حيان أشار إلى أن والي

١) المقتبس (للحقبة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/٩١٢ - ٩٤١م) ص ١٦٢؛ ينظر أيضاً: ابن

عذارى، البيان المغرب، ١٧٦/٢ .

٢) ابن عذارى، البيان المغرب، ١٥٧/٢ .

مدينة الفرج (وادي الحجارة) سنة ٣١٧هـ/ ٩٢٩م هو أرزاق بن ميسرة وعلى مدينة مجريط عبد الله بن محمد بن عبد الله^(١) ، ويرجح محمود علي مكي أن والي مدينة مجريط هذا هو حفيد عبيد بن سالم الذي تولى المدينة أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن^(٢) ، ولم يوضح ابن حيان من هو أرزاق بن ميسرة هل هو من بني الفرج بن سالم أم لا ، وهذا الاسم هو من الأسماء التي كانت سائدة عند بني الفرج بن سالم في مدينة الفرج (وادي الحجارة) وهو أيضاً يذكرنا بأحد ولاة المدينة أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن أرزاق بن منتيل بن سالم ، والراجح هو أن الأخير هو من بني الفرج بن سالم وأن الخليفة الناصر استعان بهم مرة أخرى إدارة شؤون مدينة الفرج (وادي الحجارة) كما هو الحال في مدينة مجريط ، إلا أن بني الفرج بن سالم لم نعد نجد لهم صدى في المصادر التي بين أيدينا في بقية عهد الناصر ، إذ أشار ابن حيان إلى ولاة على مدينة الفرج (وادي الحجارة) لا نعرف عنهم سوى أسماءهم.

ويبدو أن سياسة الناصر لدين الله الإدارية كانت قائمة على التغييرات السريعة في مناصب الولاة على المدن والنواحي في الأندلس ، يلحظ ذلك من قوائم العمال على المدن التي ذيلها ابن حيان نهاية كل سنة من سنوات حكم الناصر ، وقد استثنى الناصر من هذه التغييرات منطقة الثغر الأعلى التي اعتمد في

١) المقتبس (للحقبية ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/ ٩١٢ - ٩٤١م) ص ٢٥٤.

٢) ابن حيان، المقتبس (للحقبية ٢٣٢ - ٢٦٧هـ/ ٨٤٦ - ٨٨٠م) ص ٦١١ هامش (٥٣٧).

إدارتها على الأسر المتنفذة فكان يزودهم بالعدد والسلاح ، ويغدق عليهم الصلات والهدايا من أجل الاستمرار في مدافعة النصارى^(١) ، النصارى^(١) ، أما منطقة الثغر الأوسط فكان يوكلها إلى الثقات من أتباعه دون أن يمكنهم البقاء فيها لمدة طويلة ربما خوفاً من استبدادهم بالأمر ، فضلاً عن خطورة المنطقة بالنسبة لأمن الدولة كونها منطقة عبور واستراحة وإمداد للقوات المتجهة شمالاً.

ولذلك نرى تغييرات عدة في ولاية مدينة الفرج (وادي الحجارة) خلال عهد الخليفة الناصر ، وأغلب وردت أسماءهم هم مجهولين بالنسبة لنا لكون المصادر التي بين أيدينا لم تذكر عنهم شيئاً ، ففي سنة ٣٢١هـ/ ٩٣٣م عزل عنها محمد بن إسحاق وولى سعيد بن وارث^(٢) ، وفي سنة ٣٢٣هـ/ ٩٣٤م عزل سعيد بن وارث بعثمان بن عبيد الله^(٣).

وفي سنة ٣٢٥هـ/ ٩٣٦م عمل الخليفة الناصر على إعادة بناء وتأهيل حصون مدينة طليطلة في منطقة الثغر الأوسط وذلك بسبب ازدياد خطر النصارى عليها ، فعند عودته من غزوة سرقسطة حلّ في مدينة الفرج (وادي الحجارة) ، قال ابن حيان: ((فتلوم بمدينة الفرج ، راتقاً فتوقها ، مُسكناً حال أهلها ، وأبقى درياً ، مولاه ، في الجيش الذي كان ضمه إليه قائداً بالثغر الأوسط ، مُصحراً ببقاعه ، متجولاً على دروب

١ (السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٣٧٧.

٢ (ابن حيان، المقتبس (للحقبية ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/ ٩١٢ - ٩٤١م) ص ٣٣١.

٣ (ابن حيان، المقتبس (للحقبية ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/ ٩١٢ - ٩٤١م) ص ٣٧٧.

المسلمين ما بين حصن أنتيشة إلى مدينة طلييرة ، بعد أن نظم ما بينها بالرجال وأحكم ما وهى من حصونها وأبراجها ، وضعف من معاقلها مراقبها بمحكم البنيان ووافر الأزواد وأوسع العدد والأسلحة ، فضم المسلمون فيها غلاتهم ، واستيأس منهم عدوهم^(١) .

ويفهم من هذه الرواية أن الخليفة الناصر قد أعاد بناء وتحصين مدينة وادي الحجارة ومدن الثغر الأوسط الأخرى وجعل مركز قيادة قائد الثغر الأوسط فيها ، ثم عزل واليها سعيد بن وارث بعبد الرحمن بن دري مولاه^(٢) .

وفي سنة ٣٢٧هـ/٩٣٨م منيت قوات الخليفة الناصر بهزيمة كبيرة أمام القوات النصرانية في موقعة الخندق Alhandiga ، وفي رواية لابن حيان أن الناصر أراد التقدم على نهر دويرة Rio El Duero إلى شنت اشتبين San Esteban لقلعة الزروع والتعلف عنده ، إلا أن أهل مدينة الفرج رفعوا إليه يشكون ما يلقونه من نصارى وادي أسة^(٣) ومعاقلها ، وتضرعوا إليه أن يجعل ممر الجيش على حصونهم وعمارتهم لأن ذلك أنفع لهم ولأهل الثغور عندها صرف جيشه نحو وادي أسة وهدم حصونه وقراه ، فلما جاوزه أشرف على خنادق وعرة وكمن له فيها النصارى وأوقعوا به الهزيمة ، وانسحب هو

-
- ١ (ابن حيان، المقتبس (للقبلة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/ ٩١٢ - ٩٤١م) ص ٣٩٥؛ ينظر أيضاً: العذري، ترصيع الأخبار، ص ٥٠ وجعل ذلك سنة ٣٢٢هـ/ ٩٣٣م.
٢ (ابن حيان، المقتبس (للقبلة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/ ٩١٢ - ٩٤١م) ص ٤٢٢.
٣ (ابن حيان، المقتبس (للقبلة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/ ٩١٢ - ٩٤١م) ص ٤٤٢.

ببعض جنده نحو مدينة الفرج (وادي الحجارة) وبعد استراحة قصيرة غادرها إلى قرطبة^(١)، ثم عمل على عزل عاملها محمد بن يزيد وولى مكانه مطرف بن موسى^(٢)، الذي لم نعرف عنهما شيئاً في المصادر المتوفرة لدينا، وكان لضياح أجزاء عديدة من كتاب المقتبس لابن حيان خسارة كبيرة للتاريخ الأندلسي لاسيما بالجانب الإداري إذ كان يحتتم أحداث كل سنة بمن تولى الأندلس من العمال والولاة. وفي عهد الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م) أشار ابن حيان إلى أن أهالي مدينة الفرج (وادي الحجارة) رفعوا شكوى ضد قائدهم رشيق بن عبد الرحمن، فأرسل الخليفة الحكم القاضي عبد الملك بن المنذر بن سعيد^(٣) والخازن أحمد بن محمد الكلبي ليتعرفا على حقيقة ما رفعه أهلها على قائدهم فينصفانهم منه وذلك سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م^(٤)، وعلى الرغم من أنه لم يوضح نتيجة التحقيق بالأمر إلا أن ذلك يعكس اهتمام الخليفة الحكم المستنصر بأمر

١) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/٩١٢ - ٩٤١م) ص ٤٤٢ - ٤٤٤.

٢) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/٩١٢ - ٩٤١م) ص ٤٦٣.

٣) عبد الملك بن منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم ابن عبد الله بن نُجَيع البلوطي من أهل قرطبة يُكنى: أبا مروان سمع من أبيه ومن غيره ووُثِّي خُطَّة الرد، اتهم أنه تأمر مع عبد الله بن عبد الرحمن الناصر ضد الخليفة هشام المؤيد فُصِّلب على باب سُدَّة السُّلطان يوم الخُميس لتلّصف من جمادي الآخرة سنة ٣٦٨هـ / ٩٧٨م، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٢٢٤؛ ابن حزم، طوق الحمامة، ص ١٥٧.

٤) المقتبس (للحقبة ٣٦٠ - ٣٦٤هـ/٩٧٠ - ٩٧٤م) ص ١٠٤.

الرعية ويستمتع إلى شكواهم على العمال والولادة.
وفي سنة ٣٦٤هـ/ ٩٧٤م كان وفد من أهل مدينة الفرج (وادي
الحجارة) قد شاركوا في احتفال كبير أقامه الخليفة الحكم المستنصر
بمناسبة قدوم قائده غالب بن عبد الرحمن^(١) من العدو المغربية
منتصراً^(٢).

وفي أيام المنصور بن أبي عامر (٣٦٦-٣٩٢هـ / ٩٧٦-١٠١١م) وابنه
عبد الملك المظفر (٣٩٢-٣٩٩هـ/ ١٠١١-١٠٠٨م) ازدادت أهمية منطقة
الثغر الأوسط الأندلسي ، فقد قاد المنصور بن أبي عامر خلال مدة
حجابه للخليفة هشام المؤيد بن الحكم أكثر من خمسين غزوة^(٣) ،
فيما بلغت غزوات ابنه عبد الملك ثمان غزوات^(٤) ، وكانت هذه
الحملة العسكرية تسلك في معظمها الطريق التقليدي الذي يبدأ
بقرطبة ثم قلعة رباح فظليطلة فمجريط فوادي الحجارة فمدينة
سالم ، ومن هذه الثغور تتجه القوات إما غرباً باتجاه جليقية أو

١) غالب بن عبد الرحمن مولى الخليفة الناصر وأحد القادة المشهورين في
حرب الثغور في عصر الخلافة فضلاً عن أنه كان شاعراً أديباً قتل في مواجهة
له مع ابن أبي عامر سنة ٣٧١هـ/ ٩٨١م، الضبي، بغية الملتمس، ص ٢٣٥ ؛ ابن
الأبّار، الحلة السُّبْرَاء، ١/ ٢٥٧ - ٢٦٨ ؛ ابن سعيد، المغرب، ١/ ٢٠١ - ٢٠٢ ؛ ابن
عذارى، البيان المغرب، ٢/ ٢٧٨ - ٢٩٨ .

٢) ابن حيان، المقتبس (للحقبية ٣٦٠ - ٣٦٤هـ / ٩٧٠ - ٩٧٤م) ص ٢٠٢ .

٣) ينظر عن غزوات المنصور بن أبي عامر: العذري، ترصيع الأخبار، ص ٧٤ -

٨٠؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٢٢٦ - ٢٣٥ .

٤) مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٢٣٦ .

شمالاً باتجاه نافار Navarra وبلاد البشكنس Bascons أو نحو الشمال الشرقي باتجاه برشلونة Barcelona وأراغون Aragon ، وعلى الرغم من عدم ذكر المصادر تفاصيل خطط سير القوات ، إلا أن معظم الهجمات التي كانت تتجه نحو قشتالة Castilla وليون Leon لا بد لها أن تمر بهذه المناطق.

ففي غزوة سنة ٣٧٩هـ/٩٨٩م نزل المنصور بن أبي عامر في مدينة وادي الحجارة وتجمعت فيها الجيوش وقبض فيها على عبد الرحمن بن مطرف التجيبي الذي تأمر مع عبد الله بن المنصور بن أبي عامر وعبد الله بن عبد العزيز المرواني^(١) ، وبعد أن تمكن من المتأمرين غزا

١) عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن أمية بن الحكم الرضي المرواني الملقب بالبحر لبأسه وشجاعته، اتهمه المنصور بن أبي عامر بالاشتراف مع ابنه عبد الله بن المنصور بن أبي عامر بالتأمر بسبب تقديمه أخوه عبد الملك عليه وانضم إليهما بعض أكابر الجند ورجال الدولة، واكتشف المنصور المؤامرة وقتل عدد من المشركين فيها، إلا أن عبد الله بن عبد العزيز المرواني فر إلى برمودو الثاني Bermudo II ملك ليون Leon فيما هرب وعبد الله بن المنصور إلى ملك قشتالة Castilla ، فأرسل المنصور إليه أن يسلمه إليه ولده وإلا قاتله، فوقع بينهما الحرب ولحقت القشتاليين الهزائم العديدة حتى أذعن ملكهم إلى الصلح وسلم عبد الله بن المنصور فضرب عنقه وذلك سنة ٣٨٠هـ / ٩٩٠م ، ثم قرر المنصور ابن أبي عامر معاقبة ملك ليون على حمايته لعبد الله بن عبد العزيز المرواني فنشبت الحرب بينهما وأرغم ملك ليون على تسليم المرواني إليه، فقام المنصور بسجنه وبقي في السجن إلى أن مات المنصور فأطلقه ابنه عبد الملك المظفر وخلع عليه واستمر في خدمته حتى توفي غازیاً معه غزوته الأولى في مدينة ماردة سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢م، ينظر: ابن الأبار، الحلة السرياء، ١/ ٢١٨ - ٢٢٠ ؛ التكملة، ٢/ ٢٣٥ ؛ ابن سعيد، المغرب، ٢/ ١٠ ؛ ابن عذارى، البيان المغرب، =

قشتالة وأرض البشكنس^(١).

وبعد سقوط الدولة العامرية قامت في بلاد الأندلس ما يعرف عند مؤرخيها بأيام الفتنة والتي امتدت من سنة (٣٩٩ - ٤٢٢هـ / ١٠٠٨ - ١٠٣٠م)^(٢)، وعلى إثرها استغل النصارى هذه الأوضاع للتوسع على حساب أراضي المسلمين، ومن جانبهم فقد التجأ معظم أمراء وحكام المسلمين آنذاك إلى النصارى لمحاربة بعضهم البعض، فمنذ الأيام الأولى من الفتنة غدت منطقة الثغر الأوسط مسرحاً لحروب مدمرة بين المتصارعين على السلطة محمد بن هشام المهدي (٣٩٩-٤٠٠هـ / ١٠٠٨-١٠٠٩م) وسليمان بن الحكم المستعين (٤٠٠-٤٠٦هـ / ١٠١٥-١٠٠٩م) وتنافس الطرفان في استدعاء النصارى، ودار جند الثغر وقائدهم واضح الفتى ظهرهم نحو قرطبة وأعانوا محمد المهدي على سليمان المستعين وأنصاره من البربر، وأصبح جند الثغر بدل من أن يحمي الثغور من النصارى يقاتل بعضه بعضاً على أرضهم، واستغل النصارى ذلك أعظم استغلال، واستولوا على العديد من الحصون لقاء تقديم العون.

ومن الأحداث التي مرّت بها مدينة الفرج (وادي الحجارة) أثناء الفتنة هو أن سليمان المستعين ومعه البربر بعد هزيمتهم من قرطبة توجه

٢٨٤/٢ - ٢٨٥ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، ق، ٢، ٥٥٢.

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٢٨٣ - ٢٨٤.

(٢) ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ١/٣٦؛ ابن سعيد، المغرب، ٢/٩٤؛ ابن عذاري،

البيان المغرب، ٣/٢٧، ١٠٣، ١٥٣.

نحو الثغر ، وكانت مدن الثغر آنذاك في طاعة واضح الصقلبي والخليفة محمد المهدي ، فدعا سليمان المستعين أهل وادي الحجارة الدخول في طاعته فرفضوا ذلك ، إلا أنه هاجم المدينة وتمكن من اقتحامها وانتهبها جنده البربر واستباحوا أهلها بسبب طاعتهم محمد المهدي ، وكان واضح الصقلبي في مدينة سالم فزحف إليه سليمان المستعين والبربر ووقعت الحرب بينهم ، وتمكن واضح من محاصرة البربر ، وصمد كل فريق أمام صاحبه ، ثم استعانوا بالنصارى كل يطلب النصر على الآخر ، ومن طريف ذلك ما ذكره ابن عذاري ، قال: ((ونادى منادي واضح في سائر الثغور من حمل شيئاً من الطعام إلى محلة البربر فقد حلّ ماله ودمه فقاموا خمسة عشر يوماً يعيشون بحشيش الأرض فلما اشتد ذلك عليهم أرسلوا إلى ابن مامه النصراني يقولون له قد علمت ما بيننا وبين واضح وابن عبد الجبار فإن أنت رغبت في صلحنا ومسلمتنا فنحن معك عليهما فمضت رسلهم إلى ابن مامه دونه فوجدوا عنده رسل ابن عبد الجبار ورسل واضح يسألانه الصلح معهما على أن يعطياه ما أحب من مدائن الثغر... فأجاب ابن مامه دونه للبربر على أن يعطيه البربر إذا ظفروا ما أحب من مدائن الثغر فقبلوا ذلك منه...))^(١) ، وكان من أهم نتائج ذلك الصراع أن أتت الحروب على العديد من مدن الثغر بالخراب ومنها مدينة وادي الحجارة ، وقد علق ابن عذاري على ذلك بقوله: ((وكان البربر أيضاً لما طردوا من قرطبة

(١) البيان المغرب، ٣ / ٨٦.

وَقُتِلُوا بِهَا قَدْ خَرِبُوا مَدَنًا كَثِيرَةً وَقَتَلُوا أَكْثَرَ أَهْلِهَا وَلَمْ يَسْلَمْ مِنْهَا إِلَّا طَلِيظَلَةٌ وَمَدِينَةٌ سَالِمٌ وَبَلَغَتْ خَيْلُهُمْ أَقْطَارَهُمَا وَمَا وَرَاءَهُمَا حَتَّى أَنْ الرَّكَّابِ يَمْشِي شَهْرًا لَا يَرَى أَحَدًا فِي طَرِيقٍ وَلَا قَرْيَةً ، وَسَمِعَ اللَّعِينُ ابْنَ شَانِجَةَ بِمَا سَلَّمَ اللَّعِينُ ابْنَ مَامَةَ دُونَهُ مِنَ الْحِصُونِ فَكَاتَبَ يَطْلُبُ حِصُونًا آخَرَ وَتَوَعَّدُ وَتَهْدُدُ فَأُجِيبَ إِلَى مَا سَأَلَ مِنْ ذَلِكَ وَكُتِبَ بِتَسْلِيمِهَا إِلَيْهِ...^(١) .

وخلال النصف الأول من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي غدت معظم مدن ثغور طليظلة التي بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن ومنها مدينة الفرج (وادي الحجارة) قد ضعفت وأصبحت مهددة من قبل النصارى ، ولم ينقذها آنذاك إلا انشغال أسبانية النصرانية بحروبها الداخلية في النصف الأول من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي^(٢) .

أصبحت طليظلة وأعمالها (ومنها وادي الحجارة) في عهد الطوائف Los Taifas تحكم من قبل بني ذي النون (٤٢٧-٤٧٨هـ / ١٠٣٥-١٠٨٥م) إلا أنهم ودخلوا في خصومات مع جيرانهم من دويلات الطوائف ، فوقع نزاع بين المأمون بن ذي النون (٤٣٥-٤٦٧هـ / ١٠٤٣-١٠٧٤م) وبين سليمان بن هود (٤٣١-٤٣٨هـ / ١٠٣٩-١٠٤٦م) صاحب سرقسطة حول سلسلة المدن والقلاع الواقعة بين الدولتين ولاسيما مدينة وادي

١ (البيان المغرب، ٣/١٠٣ - ١٠٤ .

٢ (ينظر عن أوضاع الممالك النصرانية الأسبانية في النصف الأول من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي: عنان، دول الطوائف، ص ٣٧٨ - ٣٨٢ .

الحجارة ، وعلى الرغم من أنها من أعمال مدينة طليطلة إلا أن ابن هود أرسل قواته إليها وانتزعها وهزم قوات بني ذي النون ثم طارده حتى طليطلة ، وللانتقام من ابن هود راسل ابن ذي النون ملك قشتالة فرناندو الأول Fernando I (٤٢٦-٤٥٨هـ / ١٠٣٤-١٠٦٥م) وأقر بسيادته ودفع له الجزية مقابل أن يهاجم أراضي ابن هود ، وفعلاً قام الأخير بمهاجمة أراضي مدينة سرقسطة في وقت الحصاد وانتسف زروعها وخرّب أراضيها ، من جانبه سعى ابن هود إلى فرناندو الأول ودفع له أموالاً طائلة على أن يغير على أراضي ابن ذي النون فاستجاب إلى دعوته فبث قواته مخترقة أراضي طليطلة حتى وصلت إلى وادي الحجارة وأمعت فيها تحريباً ، كما حالف ابن هود ملك نافار وهاجموا مدينة سالم واستولوا على العديد من حصونها ، ولم يردهم إلا بعد دفع طليطلة أموالاً كثيرة وبشرط قاسية ، وعن هذه الفتنة يقول ابن الخطيب ((ودامت الفتنة بين هذين الأسدين المشؤومين على المسلمين من سنة خمس وثلاثين إلى سنة ثمان وثلاثين وفورقت بموت سليمان بن هود منهما))^(١) وهكذا استباح النصارى أراضي الدولتين بأموالهما وانهارت خطوط الدفاع وساءت أحوال الثغور من وطأة الحروب وثقل الجباية.

وكان فرناندو الأول ملكاً طموحاً وقد أدرك مدى الضعف الذي وصل إليه أمراء الطوائف بالأندلس ، فأخذ يشن الغارات على

١ (أعمال الأعلام، ق٢، ص١٧٧؛ ينظر أيضاً: ابن عذاري، البيان المغرب،

٢٧٧/٣ - ٢٨٢؛ عنان، دول الطوائف، ص٨٩ - ١٠١.

نواحي الأندلس المختلفة ، وكانت سلسلة مدن الثغر الأوسط بين مدينة سالم وطليلة هدفاً مهماً له لكونها تقع محاذية لمملكته ، فخرج في سنة ٤٥٤هـ/١٠٦٢م في جيش من الفرسان والرماة وانقض على أراضي مملكة طليطلة الشمالية ، منها مدينة سالم وظلمنكة Talamaca ووادي الحجارة وعاث فيها تخريباً وسبياً ولم ينقذها منه إلا تعهد المأمون بن ذي النون بدفع الجزية له واعترافه بطاعته^(١).

وأشار ابن الكردبوس إلى أنه في سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م ((خرج من الأرض الكبيرة^(٢) جيوش كثيرة ، فانتشر جميعهم على الجزيرة يقتلون ويأسرون... وقصدوا وادي الحجارة فلقبهم قائدها ابن الكناني فهزموه وأثقلوه جراحاً ، ووثب البيطين^(٣) فألقى على الثوار الجزية فأدوها على رغم أنوفهم ، وذلك وأيم الله أعظم من لقاء جيوشهم))^(٤) ، ولعل ابن الكناني هذا هو أحد ولاة المدينة استقل بها وتولى الدفاع عنها عندما ضعف بني ذي النون في طليطلة ، كما أن هؤلاء الغزاة كانوا من النورمانديين الذين شاركوا في الحملة الصليبية على مدينة برشتر Barbastro شمالي سرقسطة سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٣م^(٥).

١ (عنان، دول الطوائف، ص ٣٨٣ - ٣٨٤.

٢ (الأرض الكبيرة أطلقه المسلمون على بلاد الفرنجة، البكري، المسالك والممالك، ٨٩٣/٢، ٩١٥.

٣ (البيطين هو تصحيف للاسم الحقيقي له وهو بلدوين دي فلاس الذي عهد إليه الوصاية على الملك الفرنسي فيليب الأول، العليايوي، الحملات الصليبية على الأندلس، ص ٥٧.

٤ (تاريخ الأندلس، ص ٧١ - ٧٢.

٥ (ينظر عن سقوط برشتر: ابن بسام، الذخيرة/٥، ١٧٩، ١٨٨؛ ابن عذاري، البيان =

وفي سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٥م توفي الملك القشتالي فرناندو الأول وأعقب ذلك انقسام بين أبنائه إلا أن ذلك لم يدم طويلاً إذ سرعان ما برزت شخصية الفونسو السادس Alfonso VI القوية (٤٥٨-٥٠٢هـ/١٠٦٥-١١٠٨م) والذي تمكن من توحيد صفوف النصارى تمهيداً لتنفيذ مشروعه التوسعي في الأندلس ، وفي المقابل كان حاكم طليطلة يحيى بن ذي النون الملقب بالقادر كما قال ابن بسام: ((...أجبن من قبره ، إن حزم لم يعزم ، وإن سدى لم يلحم...))^(١) ، وقال عنه ابن الكردبوس: ((ضعيف المنية قليل المعرفة ، ربي في أحجار النساء والدايات ، ونشأ بين الخصيان والغانيات))^(٢) ، فأرهبه الفونسو السادس بالمغارم والجزية وأجبره على تسليم العديد من الحصون التابعة لمدينة طليطلة ، فتنازل له عن عدد من الحصون أهمها حصن سرية^(٣) وحصن قورية Coria وحصن قنالش Caniles وكان ذلك سنة ٤٧٤هـ/ ١٠٨١م^(٤) ، وكان الأخير من الحصون التابعة إلى مدينة وادي الحجارة^(٥).

بعد هذه الأحداث غدا موقف القادر ضعيفاً جداً وتحت رحمة الفونسو السادس الذي بدأ منذ سنة ٤٧٤هـ/ ١٠٨١م يعد العدة للاستيلاء

=المغرب، ٣/٢٢٦٢٢٥؛ العليايوي، الحملات الصليبية على الأندلس، ص ٥٥ - ٥٩.

١ (الذخيرة، ١٠٥/٧ .

٢ (تاريخ الأندلس، ص ٧٩ .

٣ (في ابن بسام حصن سرية، الذخيرة، ٣/٢٤٩ .

٤ (ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٨٣ .

٥ (أرسلان، التحلل السنديسية، ٣٥/٢ - ٣٦ .

على طليطلة عن طريق شن الغارات المتكررة على ثغورها المتبقية وتجريدها من مواردها ، ولم تجد صرخات القادر بن ذي النون بالاستنجاد بأمرء الطوائف أذن صاغية سوى مما كان من المتوكل بن الأفتس الذي أرسل قوة في سنة٤٧٤هـ/١٠٨١م للتصدي لهجمات الفونسو السادس ، وقد أشار ابن بسام إلى أن المتوكل بن الأفتس طاف في مناطق الثغر يستنفرهم للدخول في طاعته لمواجهة النصارى فأجابه أهل مجريط ورفض دعوته أهل وادي الحجارة ، وقد امتدح موقف أهل مجريط هذا الشاعر أبو الخطاب عمر بن أحمد بن عطيون التجيبي الطليطلي^(١) وذم أهل وادي الحجارة بقصيدة قال فيها:

بمثلك من مولى ومثلي من عبد

يرى الناس كيف المجد أو صفة المجد

رميت قصي الثغر بالخيال شزياً

هبطن على غور فأصعدن في نجد

فما شئت من لاحق بطنه طوى

وأقربه نيطت إلى كفل نهد

وأقبلتها مجريط شعناً كأنها

كواسر عقبان تقضين من فند

(١) وهو أحد شعراء عصر الطوائف بالأندلس امتدح المتوكل بن الأفتس واختص به، ينظر: ابن بسام، الذخيرة٦/٧٧٣-٧٨٣؛ ابن سعيد، المغرب، ٢/١٦٠١٧.

تدوسُ الإكمام الجُردَ فترتمي
سجوداً إلى أيدي سوابك الجرد
فلما رأته مجرِيطُ وجهك أقبلتُ
لعرَّتكَ القعساءُ في ذلَّة العبد
ومدّوا يد السلم الذي أنت رُبُّهُ
إليك ولاذوا بالمواثيق والعهد
فأوسعتهم مناً بأمنهمُ وقد
تطلَّع سيفُ الإنتقام من الغمد
وما حامد من ذا الوري فعل حامدٍ
وقد أبرزَّ البهَمَ الضعافَ إلى الأسد
كأني أرى وادي الحجارة قد جرى

دماً بهمُ حتى يُعافَ عن الورد^(١)

إلا أن المتوكل بن الأفتس لم يستطع مواجهة قوى النصارى
فاضطر إلى الانسحاب بعد أن خاض معارك دامية معهم^(٢).
وهكذا تُركت طليطلة تواجه مصيرها بنفسها ، وفي الوقت نفسه
كان الفونسو السادس قد تلقى معنوياً وعسكرياً كبيراً من قبل
النصارى ، فقد باركت البابوية خطوته ودعت أتباعها إلى الجهاد

١ (الذخيرة، ٧٧٦/٦ - ٧٧٧ .

٢ (عنان، دول الطوائف، ص ١١١ .

معه ، فتوافدت الحشود من معظم أنحاء أوروبا ولاسيما فرنسا^(١) ، وفي سنة٤٧٧هـ / ١٠٨٤م زحفت القوات النصرانية بقيادة الفونسو السادس وضربت الحصار على طليطلة ، وعبثاً حاول الأهالي المقاومة ، وقد أرهقهم الحصار وانقطعت عنهم المؤن حتى اضطروا إلى تسليم المدينة في محرم من سنة٤٧٨هـ / ١٠٨٥م^(٢).

ما أن تمكن الفونسو من دخول طليطلة حتى سارع بضم جميع حصونها وتوابعها إليه ، فأرسل قائده البرهانس Alvar fanez^(٣) ((فشن غاراته على جميع أعمالها ، حتى فاز باسخلاص جميع أقطار ابن ذي النون واستئصالها ، وذلك ثمانين منبراً ، سوى البنيات ، والقرى المعمورات ، وحاز من وادي الحجارة إلى طلبيرة ، وفحص اللج وأعمال شنتمرية كلها))^(٤) ، وعليه فإن سقوط مدينة الفرج(وادي الحجارة) كان سنة٤٧٨هـ / ١٠٨٥م وبعد سقوط مدينة طليطلة.

جرت فيما بعد بعض المحاولات من قبل المسلمين لاستعادة مدينة وادي الحجارة إلا أنها لم تفلح ، ففي سنة٥٠٣هـ / ١١٠٩م عبر الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين(٥٠٠-٥٣٧هـ / ١١٠٦-١١٤٢م) إلى الأندلس برسم الجهاد ، فوصل إلى قرطبة ومنها اتجه إلى طليطلة

١ (العلياوي، الحملات الصليبية على الأندلس، ص٧٠ - ٧١.

٢ (ابن بسام، الذخيرة، ٧ / ١٦٣ - ١٦٩ .

٣ (أسماء ابن القطان البارهامش، نظم الجمان، ص٦٣ ؛ وقال ابن أبي زرع أن البرهانس هو أحد قادة الفونسو أرسله لمحاصرة بلنسية، الأنيس المطرب، ص١٤٦.

٤ (ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٨٧.

وتجول في أحوازها وفتح من ثغور طليطلة مدن طليطيرة ومجريط ووادي الحجارا ثم ضرب حصاراً على طليطلة لمدة ثلاثة أيام ثم رجع إلى قرطبة^(١) ، ويبدو أنها مجرد استعراض للقوة أثارت الرعب في نفوس الأعداء ، وقد علق ابن الكردبوس على ذلك بقوله: ((وداخل أهل قشتالة الخوف والجزع وخامر قلوبهم الفزع ، ولم يشكوا أنه يغشاهم ويخرب مثوهم))^(٢) ، إلا أنه لم يستطع الاحتفاظ بمعظم الأراضي التي تم له فتحها ومنها وادي الحجارا التي بقيت بيد النصارى.

وفي سنة ٥٩٢هـ/١١٩٥م خرج الخليفة الموحي المنصور يعقوب بن يوسف (٥٨٠-٥٩٥هـ/١١٨٤-١١٩٨م) في غزوة له نحو أراضي قشتالة فأرسل إليه ملكها الفونسو الثامن Alfonso VIII (٥٥٣-٦١١هـ/١١٥٨-١٢١٤م) في طلب الهدنة فلم يلتفت إليه وسار بقواته نحو طليطيرة ، ولما علم أن قوات ملك قشتالة وملك برشلونة يرابطان في قلعة مجريط سارع نحوهما إلا أنهما انسحبا وتركيا في مجريط قوة للدفاع عنها ، وفعلاً نجحت القوة النصرانية في صد هجوم المنصور الموحي عن مجريط فتوجه نحو وادي الحجارا واستعرض قواته هناك ثم ارتدّ جنوباً صوب قرطبة^(٣) ، وهذه الغزوة الموحية كانت

١ (ابن عذارى، البيان المغرب، ٥٢/٤ ؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ١٦١ .

٢ (تاريخ الأندلس، ص ١١٧ .

٣ (ابن عذارى، البيان المغرب، قسم الموحيين، ص ٢٢٧ ؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٢٩ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٢٧ ؛ عنان، عصر المرابطين والموحيين، ق ٢، ص ٢٢٩ .

هي الأخرى مجرد استعراض للقوة ولم تتمكن أن تحقق أي نجاح يذكر على الأرض بالنسبة للمناطق التي وصلت إليها.

ثالثاً: حضارة المسلمين في مدينة وادي الحجارة:

حكم المسلمون منطقة وادي الحجارة ومدينتها التي تسمى مدينة الفرج أكثر من ثلاثة قرون ونصف ، وليس من المعقول أن تمر هذه المدة على الحكم الإسلامي المباشر للمنطقة دون أن تترك آثاراً حضارية مهمة عليها مع ما عرف عن المسلمين من التقدم الحضاري الذي وصلوا إليه آنذاك ، ولعل جهل الكثيرين بذلك يرجع في تقديرنا إلى عمليات التطهير الديني والعرقي الذي مارسه النصارى الأسبان بالمناطق التي استرجعوها من المسلمين ، فالحروب التي خاضوها ضد المسلمين لم تكن سياسية وحسب بل عمدت إلى إزالة وجودهم أفراداً وعقيدة ، فكانت المظاهر السائدة بعد دخولهم لأي مدينة هي تهجير أصحابها وتحويل المساجد إلى كنائس ثم إزالة معظم المعالم الإسلامية فيها^(١) ، ومن أثر البقاء من المسلمين على أرضه يحرم عليه الكلام بالعربية وارتداء الملابس الإسلامية ويمنع الصلاة علناً ثم أجبروا على إرسال أولادهم إلى الكنائس وتم تعميدهم على طريقة النصارى^(٢) ، وهكذا تم إذابتهم داخل المجتمع الجديد ، وبعد مرور أجيال عدة صحا الناس على واقع آخر وكأن شيء لم يكن ، ولكن الحقيقة لا يمكن أن

١ (الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٥٣٢.

٢ (السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص٣٠١ - ٣٠٧.

تطمس ، فإذا حُجبت عن بعض الأجيال فلا بد لها أن تظهر والبحث والتحري كفيلان بذلك.

ويشير عنان أنه لا توجد في المدينة آثار أندلسية بارزة ، إلا بقية أسوار قديمة تقع على مقربة من الكنيسة العظمى ، وفوقها بناء مربع عالٍ يسمى برج العلمين ذُكر أنه يرجع إلى الحقبة الإسلامية ، وفيها الكنيسة العظمى التي تسمى سانتا ماريا Santa Maria وترجع إلى القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي ويرجح أنها أقيمت فوق موقع جامع المدينة القديم ، وكذلك كنيسة سان فرنسيسكو في طرف البلدة وهي الأخرى ترجع إلى العهد الإسلامي وربما أقيمت هي الأخرى على أحد مساجد المدينة ، فضلاً عن القنطرة العربية القديمة التي أقيمت فوق نهر هنارس ، وبقي من عقودها عقدان من العهد الإسلامي^(١).

وبالقرب من الجسر القديم أقام المسلمون القلعة والقصر وأحاطوهما بأسوار وأبراج مراقبة ، وهناك أيضاً عدد من الأبواب التي لم تعرف أسماءها الأصلية إلا القليل ، حيث أعطيت لها أسماء نصرانية جديدة بعد سقوط المدينة بأيديهم ، ومن هذه الأبواب هي: باب Santo Domingo del Mereado وباب Bejanque ، أما الأبراج التي لا زالت قائمة فهي برج البرانة وهو برج ضخم مرتفع جداً يقع اليوم قرب قصر الأمراء وقد سمي

(١) الآثار الأندلسية الباقية، ص ٣٣٠.

البرهانس على اسم القائد النصراني Alvar fanez عندما دخل المدينة منتصراً ، دخل من هذا الباب فسمي الباب باسمه ، وله شكل مثنى ويتكون من طابقين ويشرف على الباب الرئيسي للمدينة ، والبرج الآخر يسمى الأمين Alamin ويقع قرب كنيسة Santa Maria ويعد أيضاً من أبراج البرانة المهمة ويتكون من طابقين ، ومادته الآجر والحجارة^(١).

وإذا انتقلنا إلى إسهامات أهالي مدينة وادي الحجارة في الآداب والعلوم ، نجد أن أهلها على طول الحقبة الإسلامية كانوا على اتصال دائم مع رواد الفكر العربي الإسلامي في الأندلس وبقية العالم الإسلامي أيام كانت الرحلة في طلب العلم أحد أهم مظاهر الحركة العلمية ، لذلك نبغ منهم محدثون وقراء ولغويون وشعراء وأطباء وزهاد ، ولعل الصفة التي تكاد تجمع أغلب أولئك هي أنهم كانوا مجاهدين في سبيل الله دافعوا عن بلدتهم ومدينتهم وبذلوا أرواحهم رخيصة في سبيل ذلك ، فكان يرتادها العديد من العلماء بقصد المراقبة فيها للجهاد فنسبوا إليها ، نذكر منهم:

١- إبراهيم بن وزمر الصنهاجي الحجاري ، يكنى أبا إسحاق ، كان ممن ولع بعلوم التواريخ والآداب ، وتنبه في خدمة المأمون بن ذى النون^(٢) ، وذكر له ابن سعيد شعراً ، وهو من أبناء القرن الخامس

(١) شمهود، مدينة وادي الحجارة الأندلسية، آثار وعمار، على الموقع

الإلكتروني : <http://almothaqaf.com>.

(٢) المغرب، ٢/٣٣.

الهجري/الحادي عشر الميلادي.

٢- أحمد بن محمد المعروف بابن المورة ، اشتهر بعلم القراءات ، له كتاب الهادي في القراءات ، وروى عن أبي عمر الطلمنكي ، كان معاصراً لابن الأبار المتوفى سنة٦٥٨هـ / ١٢٥٩م^(١).

٣- أحمد بن سعيد بن مسعدة من أهل وادي الحجاره ، محدث سمع من أحمد بن خالد ، وتوفي سنة٣٢٧هـ / ٩٣٨م^(٢).

٤- أحمد بن عائش ، ذُكر أنه من أعيان وادي الحجاره الذين تحلوا بالأدب وله شعرٌ ، ووصف بالجوهر والارتياح إلى سماع الأمداح ، وكان في زمان المأمون بن ذي النون أمير طليطلة^(٣) ، فهو من أبناء القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي.

٥- أبو جعفر بن أرزاق ، قال ابن سعيد: وجدت أنه من بني أرزاق أعيان وادي الحجاره في المائة السادسة ، وذكر له شعراً^(٤) ، ومررنا أن أرزاق كان أحد أمراء بني الفرج بن سالم في مدينة وادي الحجاره ، فهذا الشاعر ممن ينتسب إليهم.

٦- أبو حاتم الحجاري ، شاعر متصرف من أهل وادي الحجاره عاش أيام دويلات الطوائف ، قال ابن بسام: ((ولما ابتدأت بتحرير هذا الكتاب ، وأنا يومئذ بقرطبة سنة ثلاث وتسعين نظرت في مبيضات كانت عندي لأهل هذا الإقليم ، فلم أجد

١ (ابن الأبار، التكملة، ٣٠/١.

٢ (ابن الضري، تاريخ علماء الأندلس، ص٤١ ؛ الضبي، بغية الملتبس، ص١٨٣ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٤/٢٠٠.

٣ (ابن سعيد، المغرب، ٢/٢٧.

٤ (المغرب، ٢/٢٨.

للأبي حاتم فيها شيئاً من منشور ولا منظوم ، فاستهديت قطعة من أشعاره وما عسى أن يتعلق بها من ملح أخباره ، وتكرر عليه رسولي هنالك ، فمطلني في ذلك ، فكتبت إليه رقعة أقول في فصل منها: وقد تواتر عليك النبا أني جمعت من الرسائل الأندلسية ، والأشعار العصرية ، جملة موفورة ، لطوائف كثيرة ، ممن تحقق عندي أن حليته التي تحلى بها من صوغ طبعه ، وحلله التي نشرها أكثر من عدد الشعر ، ولما كنت أبا حاتم خاتمة أئمة هذا الشأن ، أحببت أن أجعل كلامك واسطة هذا الديوان... إلا أني أبا حاتم لا أجري في ميدانك ، ولا أعد من أقرابك ، فسقى الله بلاداً أنجبتك وإن كانت حجازية ، فإن معانيك عراقية ، وألفاظك حجازية ، والله مدينة الفرج ، فلقد تتحدث منك عن أمودج بيان ، مخلى الطريق للجريان ، فلما وردته الرقعة ، زم عن الجواب قلمه ، وكلف الإيجاب قدمه ، وورد من حينه عليّ ، ونثر مبيضاته بين يدي^(١) ، وقال عنه ابن سعيد: إنه كان متقلباً بين شاعر وخطيب وطبيب وجندي^(٢) ، كان أبو حاتم الحجاري معاصراً لابن بسام المتوفى سنة ١١٤٧/٥٥٢م.

٧- الحسن بن حسان السناط ، قال عنه ابن سعيد: شاعر زمانه ، وواحد أوانه ، اشتهر بقرطبة في مدح الخليفة الناصر ، وأصله من وادي الحجارة ، وقتل نفسه غيظاً ، لأنه وجد امرأته مع رجل ، كان معاصراً للخليفة الناصر فهو من أبناء القرن الرابع

١) الذخيرة، ٦/٦٥٤ - ٦٥٥.

٢) المغرب، ٢/٣٦.

الهجري/العاشر الميلادي^(١).

٨-الحسن بن علي بن شعيب ، يكنى أبا علي ، من بيت جليل في وادي الحجارة ، وذكر له ابن سعيد بعض الشعر^(٢).

٩- الحسين بن علي بن شعيب ، يكنى أبا حامد ، وصف بالأدب والفروسية ، وذكر له ابن سعيد شعراً^(٣).

١٠- حفص بن عمر الحجاري ، محدث من أهل وادي الحجارة ، توفي سنة ٢٨٨هـ/٩٠٠م^(٤).

١١- حفصة بنت حمدون بن حيوة الحجارية ، لم تشر المصادر إلى نسبها واكتفت بنسبتها إلى بلدها وادي الحجارة^(٥) ، قال عنها ابن الأبار إنها(كانت أديبة عالمة شاعرة)^(٦) ، وأشار ابن سعيد إلى أنها عاشت في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي وهي ممن يفخر بها بلدها^(٧) ، وامتدحتها فواز العمالية قائلة((كانت فاضلة ، روض فضلها أريج ، وحدائق معلوماتها ، وأدبها بهيج ، وشاعرة رقت وكثر اختراعها للمعاني وإبداعها ،

١ (المغرب، ٣٧/٢.

٢ (المغرب، ٢٧/٢.

٣ (المغرب، ٢٧/٢.

٤ (الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٩٧.

٥ (مدينة إلى الشرق من طليطلة بينهما ستون ميلاً، مؤلف مجهول، تاريخ

الأندلس، ص١٠٨ - ١٠٩.

٦ (التكملة، ٢٤٨/٤.

٧ (المغرب، ٣٧/٢.

تسترق القلوب بألفاظها الزاهرة ، وتسكر العقول بمعانيها
الساحرة ، تنظم فتأتي بكل عجيبة وتشف الأسماع بكل
غريبة ، وتنثر فتفتض أبحار الدقائق بنظرها الثاقب ، وتجلي
غياهب المشكلات بفكرها الصائب))^(١).

وعلى الرغم من وصف ابن سعيد لها بأنها لها شعر كثير^(٢) ، إلا
إلا أن الذي وصل إلينا من شعرها قليل ، ويبدو ضاع مع ما ضاع
من التراث الأندلسي ، وإلا كيف ((تفسر فخر بلدها بها))^(٣) ،
وكانت حفصة على رأي البعض أول من طرقت شعر الغزل عند
المرأة الأندلسية ، فقد أشار مكّي إلى أنها ((أول من طرقت باب
الغزل من الشاعرات الأندلسيات ، ولكن في خفة ورفق وأناة ،
وكانها كانت تقدم رجلا وتؤخر أخرى ، فمهدت الطريق لمن جاء
بعدها من شاعرات الأندلس اللاتي ركب بعضهنّ متن الشطط في
صنيع الغزل))^(٤) ، وذكر بوفلاقة عنها أن ((حفصة الحجازية أول
شاعرة أندلسية طرفت موضوع الغزل وفتحت الباب لغيرها من
الشواعر الآتي سيدلين بدلائهن))^(٥) ، وذهبت سلمى سلمان إلى أن
أن حفصة فتحت ((بابا لم تكن قد جرأ على طرقة بعد ، ووجدت

١) الدر المنثور، ١/٢٩٠.

٢) المغرب، ٢/٣٧.

٣) بوفلاقة، الشعر النسوي الأندلسي، ص ٥٢.

٤) دراسات أندلسية، ص ٢٣٦.

٥) الشعر النسوي الأندلسي، ص ٥٣.

شعرها لحياتها العاطفية))^(١).

ومن قولها في الغزل:

رأى ابن جميل أن يرى الدهر مجملا

فكل الورى قد عمهم سيب نعمته

له خلق كالخمر بعد مزاجها

وأحسن من أخلاقه حُسن خلقته

بوجه كمثل الشمس يدعو ببشره

عيوناً ويعشيها بإفراط هيبتة^(٢)

فهي هنا تتغزل برجل يدعى ابن جميل الذي لم نحصل له على ترجمة ، وتصفه بالجوّد والكرم وحسن الخلق والخلق^(٣) ولعله هو المقصود في أبياتها الأخرى التي قالت فيها:

لي حبيب لا ينثني لعتاب

وإذا ما تركته زاد تيهها

قال لي هل رأيت لي من شبيه

قلت أيضا وهل ترى لي شبيها^(٤)

(١) المرأة في الشعر الأندلسي، ص ٢٥٧.

(٢) ابن سعيد، المغرب، ٣٨/٢؛ السيوطي، نزهة الجلساء، ص ٢٧؛ المقرئ، نضح الطيب، ٢٠٤/٥. مع اختلاف بعض الألفاظ

(٣) بوفلاقة، الشعر النسوي الأندلسي، ص ٥٢.

(٤) ابن سعيد، المغرب، ٣٨/٢؛ السيوطي نزهة الجلساء، ص ٢٧؛ المقرئ، نضح الطيب، ٢٠٤/٥.

ويبدو أن حفصة كانت من أسرة ثرية فكان لها عدد من العبيد ،
وقد شكتهم في بيتين من الشعر إذ قالت:

يارب إن من عبيدي على

جمر الغضى ما فيهم من نجيب

أمّا جهُول أبـله مُتـعـب

أو فطن من كيده لا أخيب^(١)

ولعل من إشارتها إلى أن لها عبيداً يخدمونها دفعت البعض إلى
القول أنها كانت من الحرائر^(٢) ، وعندما فارقتها بعض أحببها ، ولعله
حببها الذي تغزلت به فانتابتها وحشة في ليلة الوداع فأشدت تقول:

يا وحشتي لأحبتني يا وحشة متمادية

يا ليلة ودعتهم يا ليلة هيّ ما هيه^(٣)

لم تشر المصادر إلى سنة وفاتها ولكن ابن سعيد ذكر أنها
عاشت في المائة الرابعة للهجرة^(٤).

١٢- راشد بن عريف ، من أهل وادي الحجارة وأعيانها ، وساد
في الكتابة ، ذكر له ابن سعيد شعراً^(٥).

١ (ابن سعيد، المغرب، ٢، ٣٨؛ السيوطي، نزهة الجلساء، ص٢٧، المقرئ، نفع
الطيب، ٢٠٤/٥.

٢ (سلمى سلمان، المرأة في الشعر الأندلسي، ص٣٢.

٣ (ابن الأثير، التكملة ٤/٢٤٨؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة،
٤٨٤/٨.

٤ (المغرب، ٢/٢٧.

٥ (المغرب، ٢/٣٢.

- ١٣- سحنون بن حيّ الفقيه ، كانت له معرفة بالأدب وله شعر ، ذكره ابن الأبار المتوفى سنة ٦٥٨هـ/١٢٥٩م^(١) .
- ١٤- سعيد بن مسرة يكنى أبا عثمان ، من أهل وادي الحجارة ، روى عن وهب بن مسرة المتوفى سنة ٣٤٦هـ /٩٥٧م^(٢) ، فهو من أبناء القرن الثالث الهجري/الرابع الميلادي.
- ١٥- سعيد بن مسعدة الحجاري ، من أهل وادي الحجارة ، محدث ، توفي سنة ٢٧٣هـ/٨٨٦م وقيل توفي سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م^(٣) .
- ١٦- سليمان بن أحمد الحجاري المعروف بابن القزاز ، أصله من وادي الحجارة ، ثم سكن قرطبة ، روى عنه أبو حاتم الحجاري الذي كان حياً سنة ٤٩٣هـ/١٠٩٩م^(٤) كان من أهل الأدب والعربية شاعراً مطبوعاً ومال بعد إلى علم الطب^(٥) ، وهو من أبناء القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي.
- ١٧- سلمان بن فتح بن مفرج الأنصاري ، يكنى أبا بكر ، من أهل وادي الحجارة له رحلة إلى المشرق سمع بمكة من ابن الأعرابي وغيره ، ثم رجع إلى بلده وحدث بها ، كان حياً سنة ٣٧٢هـ/٩٨٢م^(٦) .
- ١٨- سليمان بن مطروح من أهل مدينة الفرج أخذ عن إبراهيم

(١) ابن الأبار، التكملة، ١٢٩/٤ .

(٢) ابن الأبار، التكملة، ١١٢/٤ .

(٣) الحميدي، جذوة المقتبس، ص ٢٣٣ ؛ الضبي، بغية الملتبس، ص ٣١٢ .

(٤) ابن بسام، الذخيرة، ٦٥٤/٦ .

(٥) ابن الأبار، التكملة، ٨٩/٤ .

(٦) ابن الأبار، التكملة، ١٣١/٤ .

بن حفص الحجاري ، كان أعلم أهل وقته باللغة العربية وأحفظهم وكان يملئ الغريب المصنف ، توفي قريباً من ٣٩٠هـ/٩٩٩م^(١).

١٩- عباس بن أصبغ بن عبد العزيز الهمداني الحجاري ، يكنى أبا بكر ، من أهل وادي الحجارة ، سمع من محمد بن قاسم^(٢) وقاسم بن أصبغ ، كان طاهراً عفيفاً ضابطاً لما كتب ، وسمع منه ابن الفرضي ، توفي سنة ٣٨٨هـ/٩٩٨م^(٣) .

٢٠- عبد الباقي بن محمد بن سعيد بن أصبغ بن بريال الأنصاري ، من أهل وادي الحجارة ، يكنى أبا بكر ، روى عن المنذر بن المنذر^(٤) ، وأبي عمر الظلمنكي^(٥) وغيرهم ، وكان نبيلاً حافظاً ، ذكياً أديباً شاعراً محسناً سكن في آخر عمره

١ (ابن الأبار، التكملة، ٨٦/٤ .

٢ (هو محمد بن قاسم بن حزم من أهل قلعة أيوب توفي سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٣٤٤ .

٣ (ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .

٤ (ترجمته أدناه .

٥ (هو أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي عيسى لب بن يحيى بن محمد بن قزلمان المعافري المقرئ الظلمنكي أصله من ظلمنكة، سكن قرطبة وروى بها عن أبي جعفر أحمد بن عون الله، وعن أبي عبد الله بن مفرج القاضي، وعن أبي محمد الباجي، وغيرهم، ورحل إلى المشرق فحج ولقي بمكة من جماعة، كما سمع من أهل المدينة، ثم رحل إلى مصر ولقي بها عدد من علمائها، ثم انصرف إلى الأندلس بعلم كثير، وكان: أحمد الأئمة في علم القرآن العظيم قراءته وإعرابه، وأحكامه، وناسخه، ومنسوخه، ومعانيه، وكانت وفاته سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م، ابن بشكوال، الصلة، ص ٥٢ - ٥٣ ؛ الضبي، بغية الملتبس، ص ١٥٢ .

المرية Almeria ، له رسالة في ذم الغناء ، وتوفي في رمضان سنة ٥٠٢هـ / ١١٠٨م^(١).

٢١- عبد الله بن محمد بن فتح يمينى أبا بكر ، من أهل وادي الحجارة ، روى عن أبيه كتاب جهاد النفس ، حدث عنه أبي الفرج بن فتح السالمي وأبو الحكم المنذر بن المنذر الحجاري المتوفي سنة ٤٢٣هـ / ١٠٣١م^(٢).

٢٢- عبد الملك بن غصن الخشني ، يكنى أبا مروان ، من أهل وادي الحجارة ، كان فقيهاً أديباً شاعراً ، سجنه المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة ، وألف في السجن كتاب السجن والمسجون والحزن والحزون ضمنه ألف بيت من الشعر ، ثم أطلقه وتوفي بغرناطة Cranada سنة ٤٥٤هـ / ١٠٦٢م^(٣).

٢٣- أمّ العلاء بنت يوسف بن حرز المجلس الحجارية ، عرفت بالحجارية نسبة إلى مدينة وادي الحجارة^(٤) ، وأضاف إليها ابن سعيد البربرية^(٥) ، ولم يعرف نسبها أكثر من ذلك ، إلا أن ابن حزم أشار إلى أن بعض بطون مصمودة البربرية سكنت وادي الحجارة^(٦) ، ولعلها تنتسب إليهم ، فكانت محل فخرهم

-
- ١ (ابن حزم، رسائل ابن حزم، ٤٣٩/١ ؛ ابن بشكوال، الصلة، ص٣٦٦ - ٣٦٧.
 - ٢ (ابن الأبار، التكملة، ٢٣٧/٢ ؛ ينظر أيضا: ابن بشكوال، الصلة، ص٥٩٠.
 - ٣ (ابن الأبار، التكملة، ٦٩/٣ - ٧٠ ؛ ابن سعيد، المغرب، ٣٠/٢ وقال أن المأمون بن ذي النون سجنه لأنه هجاه.
 - ٤ (السيوطي، نزهة المجالس، ص١٥.
 - ٥ (المغرب، ٣٨/٢.
 - ٦ (جمهرة أنساب العرب، ص٤٩٩.

واعتزازهم ، إذ قال ابن سعيد ((إنها ممن تفخر بها بلدها
وقبيلتها))^(١).

ولم يصل ألينا من شعرها إلا بعض الأبيات وربما (نظمت قصائد
تذوب حبا لوطنها ، ولكن المؤرخين أسقطوها من حسابهم ، أو أنها
ضاعت في بطون الكتب)^(٢) ، ومن شعرها الذي تصف فيه بستانها
وتتغنى في حبه قائلة:

لله بستانني إذا يهضوبه القصبُ المندى

فكأنما كف الرياح قد أسندت بندا فبندا^(٣)

وبذلك فقد رسمت أم العلاء هذه الصورة الجميلة لبستانها الواقع
في وادي الحجارة التي قال عنها الحميري ((أنها ذات مياه معينة وبغريها
نهر صغير ، لها عليه بساتين وجنات وكروم وزراعات))^(٤).

كما أن لها بعض أبيات في الغزل ولكن غزلها فيه حشمة
وكبرياء وترفعت عما ينال من مروعتها^(٥) وما قالته في هذا الباب:

كل ما يصدر عنكم حسن

وبعلياكم يحلى الزمن

تعطف العين على منظركم

ويذكراكم تلذ الأذن

١ (المغرب، ٣٨/٢ .

٢ (سلمى سلمان، المرأة في الشعر الأندلسي، ص ٢٦٥ .

٣ (ابن سعيد، المغرب، ٣٨/٢ .

٤ (الروض المعطار، ص ٦٠٦ .

٥ (الشكعة، الأدب الأندلسي، ص ٢٣٩ .

من يعيش دونكم في عمره

فهو في نيل الأمان يغيب^(١)
كما أنها في غزلها لم تذهب بعيداً في الاستمتاع بالطرب واللهو
والغناء ، ولكن مروءتها كما تقول منعتها من ذلك:

لولا منافرة المدا مة للصبابة والغنا

لعمفت بين كؤوسها وجمعت أسباب المنى^(٢)

وتبدو في حياتها وقفة لطيفة وهي أن رجلاً أشيب قد هام بها
وشُغف بجبها ، ولما تقدم لخطبتها صدّت عنه وأرسلت إليه معتذرة
بشيء من التويخ:

يا صبح لا تبد إلى جنح

والليل لا يبقى مع الصبح

الشيب لا يخدع فيه الصبّا

بحيلة فاسمع إلى نصح

فلا تكن أجهل من في الورى

تبيت في الجهل كما تضحى^(٣)

(١) ابن سعيد، المغرب، ٣٨/٢؛ السيوطي، نزهة الجلساء، ص١٥؛ المقري، نصح
الطيب، ١٨/٥.

(٢) ابن سعيد، المغرب، ٣٨/٢.

(٣) السيوطي، نزهة الجلساء، ص١٥؛ المقري، نصح الطيب، ١٠٢/٥.

ولها في الاعتذار إلى من علقه قلبها قائلة:
افهم مطارح أحوالي وما حكمت
به الشواهد واعذرنني ولا تلم
ولا تكلني إلى عذرايينه
شر المعاذير ما يحتاج للكلم
وكل ما جئته من زلة فيما

أصبحت في ثقة من ذلك الكرم^(١)
وقد أشارت فواز العاملة إلى أن لأم العلاء (قصائد طنانة
وموشحات رنانة)^(٢)، إلا أنه لا يوجد دليل إلى ما ذهبت
إليه^(٣)، ولم نعر على تاريخ وفاتها، ولكن المقري جعلها من
أهل المائة الخامسة^(٤).

٢٣- علي بن الحسن من أهل وادي الحجارة، محدث سمع
منه وهب بن مسرة الحجاري المتوفى سنة ٣٤٦هـ/٩٥٧م^(٥).
٢٤- علي بن معاوية بن مصلح من أهل مدينة الفرج (وادي
الحجارة) يكنى أبا الحسن، رحل إلى المشرق وسمع بمكة والمدينة

(١) السيوطي، نزهة الجلساء، ص ١٥؛ المقري، نضح الطيب، ١٠٢/٥.

(٢) الدر المنثور، ١٠٧/١.

(٣) سلمى سلمان، المرأة في الشعر الأندلسي، ص ٢١٥.

(٤) نضح الطيب، ١٠٢/٥.

(٥) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٢٤٩؛ ابن الأبار، التكملة، ١٧٣/٣.

ومصر والإسكندرية ثم عاد إلى الأندلس وسمع بقرطبة وطليلة
ومدينة الفرج ، وكان شيخاً فاضلاً ثقة فيما رواه ، سمع الناس
منه كثيراً ، وتوفي في عقب رجب سنة ٣٩٧هـ/١٠٠٦م^(١) .

٢٥- علي بن المنذر بن المنذر بن علي الكناني من أهل مدينة
الفرج (وادي الحجارة) يكنى أبا الحسن ، محدث روى عن أبيه
وأبي عمر الظلمنكي ، وأبي عمر بن عبد البر^(٢) وغيرهم ، وله
رحلة إلى المشرق حج فيها وروى الحديث بها ، وتوفي في نحو
٤٨٠هـ/١٠٨٧م^(٣) .

٢٦- غالب بن عمر ، محدث من أهل وادي الحجارة ، سمع
من ابن وضاح^(٤) ، توفي سنة ٣١٤هـ/٩٢٦م^(٥) .
٢٧- فرج بن سلمة بن زهير بن مالك البلوي من أهل قرطبة

(١) ابن بشكوال، الصلة، ص ٣٩١.

(٢) هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري فقيه
وحافظ وعالم بالقراءات ويعلم الحديث والرجال من أشهر كتبه كتاب
التمهيد وكتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب، توفي بشاطبة سنة
٤٦٠هـ/١٠٦٧م، الحميدي، جذوة المقتبس، ص ٣٣٢ - ٣٣٣ ؛ الضبي، بغية
الملتص، ص ٤٥٤ - ٤٥٦ .

(٣) ابن بشكوال، الصلة، ص ٤٠٠.

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن وضاح بن بُزَيْغ مولى الأمير عبد الرحمن بن
مُعاوية الداخل، من أهل قُرطُبة، رَوَى بِالْأَنْدَلُسِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيْسَى
الْأَعْمَشِي، ومحمد بن خالد الأشج، وغيرهم، ورحل إلى المشرق فسمع من أحمد
بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهم، ورجع إلى الأندلس فصار لها دار حديث،
وتوفي سنة ٢٨٧هـ/٩٠٠م، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٣٠٤ - ٣٠٥ .

(٥) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٢٧٣.

سمع من قاسم بن أصبغ المتوفى سنة ٣٤٠هـ/٩٥١م وغيره ، وتولى الصلاة والقضاء في مدينة وادي الحجارة ، وهو من أهل القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي^(١).

٢٨- فتح بن حربون ، محدث من أهل وادي الحجارة سمع من سعيد بن عثمان الأعناقى^(٢) وغيره ، وتوفى سنة ٣٢٦هـ/٩٣٧م^(٣).

٢٩- القاسم بن عبد الرحمن بن مسعدة الأوسى ، يكنى أبا محمد ، كان سكناه بغرناطة ، وبيته عظيم بوادي الحجارة وساد بنفسه وكان متفنناً في العلوم ، وصاحب لواء العربية ، توفي بمالقة Malaga سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م^(٤).

٣٠- قاسم بن مسعدة البكري ، من أهل وادي الحجارة ، يكنى أبا محمد ، له رحلة إلى المشرق وسمع بمصر والقيروان ، ثم عاد إلى الأندلس ، وتوفى بها سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م^(٥).

٣١- محمد بن أحمد بن مطرف الحجاري من أهل مدينة وادي الحجارة ، ويعرف بابن المرورة ، يكنى أبا عبد الله ، محدث

١ (ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٢٧٦؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٣٢/٢٥.

٢ (وهو أبو عثمان سعيد بن عثمان بن سعيد بن سليمان التجيبي الأعناقى من أهل قرطبة، سمع من محمد بن وضاح ومحمد بن عبد السلام الخشني، وله رحلة إلى المشرق، وكان ورعا زاهدا عالما بالحديث، توفي سنة ٣٠٥هـ/٩١٧م، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص١٤٠ - ١٤١.

٣ (ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٢٧٤.

٤ (ابن سعيد، المغرب، ٢/٢٦.

٥ (ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٢٨٤؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٣٢٢؛ الضبي، بغية الملتبس، ص٤٥١.

روى عن أبي محمد الشنتجالي^(١) ، وتوفي سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢م^(٢) .
 ٣٢- محمد بن إبراهيم بن حيون الحجاري ، يكنى أبا عبد الله ،
 من أهل وادي الحجارة ، محدث سمع محمد بن وضاح ، كانت
 له رحلة إلى المشرق ، وسمع بمكة وبغداد ومصر ، روى عنه قاسم
 بن أصبغ ووهب بن مسرة ، وتوفي سنة ٣٠٥هـ/٩١٧م^(٣) .
 ٣٣- محمد بن بالغ ، من أهل وادي الحجارة سمع من ابن
 وضاح المتوفى سنة ٢٨٧هـ /٩٠٠م وغيره ، وكان عبداً زاهداً ،
 وهو من أهل رأس المائة الهجرية الثالثة/التاسع الميلادي^(٤) .
 ٣٤- محمد بن الدباغ ، من أهل وادي الحجارة محدث أخذ
 عن إبراهيم بن حفص^(٥) ، كما صحب ابن حزم
 الأندلسي^(٦) ، وكان أربع أهل وقته في النحو والأدب^(٧) ، فهو من

-
- (١) أبو محمد عبد الله بن سعيد بن أرياح الأموي الشنتجالي، الشيخ الصالح،
 طلب الحديث بالأندلس، وأخذ عن سلمة الزاهد، ورحل إلى المشرق فجاور
 بمكة، بضعا وثلاثين سنة، يثابر على الحج، وكتابة الحديث والقيام بالعلم،
 واشتهر هنالك اسمه، وانتفع به، وحصل على منزلة رفيعة في النسك
 والخير، توفي سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٤م، القاضي عياض، ترتيب المدارك، ٣٦/٨؛ ابن
 فرحون، الديباج المذهب، ٤٣٨/١
- (٢) ابن الأبار، التكملة، ٣١٩/١ .
- (٣) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٣١٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٧٠/٢٣ .
- (٤) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٣٢١ .
- (٥) إبراهيم بن حفص الحجاري من أهل مدينة الفرج كان عالماً بالعربية
 والشعر، ابن الأبار، التكملة، ١١٨/١ .
- (٦) هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح الفارسي الأندلسي
 كان حافظاً عالماً بعلوم الحديث وفقه وله باع في التاريخ ولد بقرطبة
 وتوفي في ليلة سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٣م، الحميدي، جذوة المقتبس، ص ٢٧٧ - ٢٧٩ ؛
 ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣/٣٢٥ - ٣٣٠ .
- (٧) ابن الأبار، التكملة، ٣٢١/١ .

من أبناء القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي.
٣٥- محمد بن عبد الله الزيادي ، من أهل وادي الحجارة ،
سمع من أحمد بن خالد المتوفى سنة ٣٢٢هـ/٩٣٣م^(١) ، وكان
مفتياً في موضعه^(٢) ، وهو من أبناء القرن الرابع الهجري/العاشر
الميلادي.

٣٦- محمد بن عثمان بن حسين البكري الحجاري ، يكنى أبا
عبدالله ، محدث روى عن أبي بكر عبد الباقي بن برال^(٣)
ومحمد بن أحمد بن المورة ، كان حياً سنة ٥١٠هـ/١١١٦م^(٤).

٣٧- محمد بن عزة ، من أهل وادي الحجارة ، يكنى أبا عبيد
الله ، روى عن محمد بن وضاح ووهب بن مسرة ، كان حافظاً
للمسائل ، كما ولي قضاء مدينته ، وتوفي سنة ٣١٣هـ/٩٢٥م^(٥).

٣٨- محمد بن فتح ، من أهل وادي الحجارة ، محدث سمع
من أحمد بن خالد المتوفى سنة ٣٢٢هـ/٩٣٣م ، ورحل إلى
المشرق وسمع من ابن الأعرابي ، وألف له كتاب الإخلاص ،

(١) هو أحمد بن خالد بن يزيد بن سالم المعروف بابن الجباب سمع من محمد بن
وضاح والخشني، ورحل إلى المشرق ودخل صنعاء، كان إمام وقته في الفقه
والحديث، توفي سنة ٣٢٢هـ/٩٣٣م، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٣٦٣٥.

(٢) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٣٤٩.

(٣) هو أبو بكر عبد الباقي بن برال الحجاري محدث من أهل وادي الحجارة من
أهل القرن السادس الهجري، ابن الأبار، التكملة، ٩/٢.

(٤) ابن الأبار، التكملة، ١/٣٤٤.

(٥) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٣١٩؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص ١٢٥.

وعلم الباطن ، وكان حافظاً للنحو والغرائب ، شاعراً ، من أهل القرن الرابع الهجري^(١) .

٣٩- محمد بن قاسم أشكهباط ، يكنى أبا بكر ، من أهل وادي الحجارة ونشأ بقرطبة وساد فيها ، من أهل الأدب وله نثر وشعر ، قال ابن سعيد: ((وجارى حلبة الأعيان والكتاب في تلك الفتنة التي قلبت أسافلها أعاليها))^(٢) .

٤٠- محمد بن القاسم بن مسعدة البكري ، من أهل وادي الحجارة ، يكنى أبا عبد الله ، محدث سمع بقرطبة من تميم أبي العرب^(٣) ومسلمة بن قاسم^(٤) وغيرهم ، له رحلة إلى المشرق وسمع من ابن الأعرابي^(٥) ، كان حياً سنة ٣٣٩هـ / ٩٥٠م^(٦) .

٤١- محمد بن يونس الحجاري ، من أهل وادي الحجارة

١ (ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٣٥٠ .

٢ (المغرب، ٣١/٢ .

٣ (هو تميم أبي العرب بن محمد بن أحمد التميمي دخل الأندلس أيام الخليفة الحكم المستنصر وله تاريخ علماء إفريقية توي في سنة ٣٥٩هـ / ٩٦٩م، القاضي عياض، ترتيب المدارك، ٦/٢٧٠ - ٢٧١ ؛ ابن الأبار، التكملة، ١/١٨٩ .

٤ (هو مسلمة بن قاسم بن عبد الله، يكنى أبا القاسم، محدث من أهل قرطبة سمع من محمد بن عمر بن ثبابة وقاسم بن أصبغ، وله رحلة إلى المشرق، دخل فيها إلى العراق والبصرة واليمن والشام فضلاً عن مكة، توي في سنة ٣٥٣هـ / ٩٦٤م، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٣٩٣ - ٣٩٥ .

٥ (هو أبو سعيد أحمد بن محمد بن سعيد بن زياد بن بشر بن الأعرابي من أهل مكة حدث عن أحمد بن منصور الرمادي والحسن بن علي بن عضان ومحمد بن عيسى العطار وغيرهم، وتوي في سنة ٣٤٠هـ / ٩٥١م، عبد الغني البغدادي، التقييد، ص ١٦٦ - ١٦٧ .

٦ (ابن الأبار، التكملة، ١/٢٩٦ - ٢٩٧ ، ٤/١٣١ .

بالأندلس ، كان مقدماً في المعرفة بالنحو واللغة ، وكتب الأخبار والأشعار. واستأثر به المظفر بن الأفتس لنفسه ولبنيه ، وسكن بطليوس Badajos ، وتوفى بها سنة ٤٦٢هـ أو ٤٦٣هـ / ١٠٦٩م أو ١٠٧٠م^(١).

٤٢- محمد بن يوسف بن عبد الله الوراق ، يكنى أبا عبد الله ، ويلقب بالتاريخي لأنه ألف في التاريخ ، من أهل وادي الحجارة ، خدم الحكم المستنصر وألف له كتاب في مسالك إفريقية وأخبار ملوكها وحروبهم ، كان معاصراً للخليفة الحكم المستنصر المتوفى سنة ٣٦٦هـ / ٩٧٦م^(٢).

٤٣- منذر بن منذر بن علي بن يوسف الكناني ، من أهل مدينة الفرج (وادي الحجارة) يكنى أبا الحكم ، محدث روى ببلده عن أبي الحسن علي بن معاوية بن مصلح ، وأبي محمد عبد الله بن قاسم بن محمد القلعي^(٣) وغيرهم ، ورحل إلى المشرق فحج وحدث هناك ، وكان رجلاً صالحاً قديماً الطلب للعلم كثير الكتب راوياً لها ، موثقاً فيها ، وكان ينسب

(١) القفطي، أنباه الرواة، ٢٥٣/٣.

(٢) الحميدي، جذوة المقتبس، ص ٨٦؛ الضبي، بغية الملتبس، ص ١٤١؛ ابن الأثير، التكملة، ٢٩٤/١

(٣) هو عبد الله بن محمد بن قاسم من أهل قرطبة، روى عن قاسم بن أصبغ وآخرين، لم يكن له علم بالحديث، ولي خطة الوثائق، وتوفي سنة ٣٨٠هـ / ٩٩٠م، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٢٠٢.

إلى غفلة كثيرة ، وتوفي سنة ٤٢٣هـ/ ١٠٣١م^(١) .

٤٤- أبو وهب محمد بن أبي نخيلة ، من أهل وادي الحجارة ، روى عن وهب بن مسرة المتوفى سنة ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م ، كان ثقة حافظاً لمذهب مالك ، ولي قضاء وادي الحجارة فأحسن السيرة^(٢) ، وهو من أهل القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي .

٤٥- وهب بن مسرة بن مفرج بن حكيم ، أبو الحزم ، المالكي التميمي الحجاري نسبة إلى وادي الحجارة ، فقيه ، محدث ، حافظ ، عارف بالرجال ، سمع بقرطبة من ابن وضاح^(٣) وقاسم بن أصبغ^(٤) وغيرهم ، وحدث عنه غير واحد منهم: أبو محمد القليعي وعبد الرحيم بن العجوز ، وصف بأنه إمام ثقة مأمون وإليه كانت الرحلة أيام حياته ، ومن تصانيفه: السنة وإثبات القدر والرؤية ، توفي بوادي الحجارة سنة ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م^(٥) .

٤٦- يحيى بن عبد العزيز ، من أهل وادي الحجارة ، محدث

١ (ابن بشكوال، الصلة، ص ٥٩٠ .

٢ (ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٤٢٢ .

٣ (هو محمد بن وضاح بن بزيغ مولى الأمير عبد الرحمن الداخل كان عابدا زاهدا له رحلة إلى المشرق روى عن عبد الملك بن حبيب توفي سنة ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٣٠٥ - ٣٠٦ .

٤ (هو قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف البياني مولى عبد الملك بن مروان، محدث سمع بقرطبة من بقي بن مخلد ومحمد بن وضاح وله رحلة إلى المشرق، وتوفي بمكة سنة ٣٤٠هـ/ ٩٥١م، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٢٨٦ - ٢٨٧ .

٥ (ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٤٢٠ - ٤٢١ ؛

سمع من الأعناقى المتوفى سنة ٣٠٥هـ/٩١٧م وغيره^(١) ، فهو من
أبناء رأس المائة الهجرية الثالثة/التاسع الميلادى.
٤٧- يجيى بن الفتح بن الحسين الأنصارى ، يكنى أبا بكر ، من
أهل وادى الحجارة ثم سكن قرطبة ، يعرف بابن الشيخ ، كانت
له عناية فى الطب ، توفي نحو سنة ٥٢٦هـ /١١٣١م^(٢).

١ (ابن الفرضى، تاريخ علماء الأندلس، ص ٤٤٠.

٢ (ابن الأبار، التكملة، ٤/١٦٨.

مدينة أقليمش Ucles الأندلسية

٩٣ - ٥٤٣هـ / ٧١١ - ١١٤٨م

أولاً: الجغرافية التاريخية لمدينة أقليمش Ucles:

ورد اسم المدينة في المصادر العربية بألفاظ مختلفة بعض الشيء ، فجاءت بلفظة (أقليمش ، أو أقليمج ، أو أفليس)^(١) .
تقع مدينة أقليمش في الثغر الأوسط إلى الشمال الشرقي الأندلسي ، وهي قاعدة كورة شنتبرية Santebria^(٢) ، وقد تحدث عن ذلك الحميري بقوله: ((أقليمش مدينة لها حصن في ثغر الأندلس ، وهي قاعدة كور شنتبرية ، ...))^(٣) ، وأضاف الحميدي قائلاً: ((أقليمش بلدة من أعمال طليطلة^(٤)))^(٥) ، ويبدو ذلك صحيحاً

١) ابن حيان، المقتبس (للقبة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/ ٩١٢ - ٩٤١م)، ص ٤٥٧؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٣٨/٢، ٥٦٠؛ الزهري، كتاب الجغرافية، ص ٨٣؛ الحميري، صفة، ص ٢٨، ١٩٤؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ١٦٠؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ٢٦، ١٣٦؛ مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٦٦، ١٠٧؛ ٢٤٧.

٢) شنتبرية أو شنت برية، هي مدينة أندلسية تعد من أعمال طليطلة، تقع شرق قرطبة، وتتصل بحوز مدينة سالم ولها حصون كثيرة، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٩؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٧١.

٣) صفة، ص ٢٨؛ وينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٨.

٤) مدينة أندلسية قديمة، كانت قاعدة ملوك القوط الغربيين، وهي حصينة ولها عدة أسوار، وتقع على نهر تاجة، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٩ - ٢٠؛ الحميري، صفة، ص ١٣٠ - ١٣٥.

٥) جذوة المقتبس، ص ١٤٢؛ وينظر: الضبي، بغية الملتمس، ص ٤٦١.

لأن أقليش تابعة إلى كورة شنتبرية والأخيرة من مدن طليطلة
Telodo^(١) المهمة ، إذ أن المسافة بين مدينتي شنتبرية و طليطلة
سبعون ميلاً^(٢) .

كما وضع الإدريسي مدينة أقليش من ضمن إقليم الشارات
بقوله: ((إقليم الشارات وفيه طلبيرة^(٣) و طليطلة ومجريط^(٤)
والفهمين^(٥) ووادي الحجارة^(٦) وأقليش وويذة^(٧) ، (...))^(٨) ، وهي تبعد
عن مدينة ويذة Huete مسافة ثمانية عشر ميلاً^(٩) ، وقد تحدث

-
- ١ (ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٢٧٥ - ٣٠٠هـ / ٨٨٨ - ٩١٢م) ص ٣٦ .
 - ٢ (مجهول، تاريخ الأندلس، ص ١٠٨؛ والميل يساوي ٢ كم، ينظر: هنتس،
المكاييل والأوزان، ص ٩٨ .
 - ٣ (مدينة أندلسية قديمة، تقع في الثغر الأعلى على نهر تاجة وتعد باب من
أبواب التي يدخل منها إلى أرض الأعداء، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم
البلدان، ص ١٩١؛ الحميري، صفة، ص ١٢٨ .
 - ٤ (مدينة أندلسية تقع بالقرب من طليطلة، بناها الأمير محمد بن عبد
الرحمن الثاني، وفيها قلعة منيعة، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم
البلدان، ص ٢٥٧ - ٢٥٨؛ الحميري، صفة، ص ١٧٩ - ١٨٠ .
 - ٥ (مدينة بالأندلس بالقرب من طليطلة، وهي مدينة متحضرة، فيها منبر
ومسجد جامع، ينظر: البكري، المسالك والممالك ٧١٦/٢؛ الحميري، صفة،
ص ١٤٤ .
 - ٦ (مدينة أندلسية، تعرف بمدينة الفرج ، بينها وبين طليطلة خمسة وستون
ميلاً، وهي تقع بين الشمال والشرق من قرطبة، ولها أسوار حصينة، ينظر:
الحميري، صفة، ص ١٩٣؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٤٨٢/١ .
 - ٧ (مدينة أندلسية من أعمال شنتبرية، تبعد عن مدينة قونكة ثلاث مراحل،
ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٦٠/٢؛ الحميري، صفة، ص ١٩٤ .
 - ٨ (نزهة المشتاق، ٥٣٨/٢ .
 - ٩ (الإدريسي، نزهة المشتاق ٥٦٠/٢؛ وينظر: أرسلان، الحلل السندسية،
١١٦/١ .

الحميري عن قرب المسافة بين المدينتين بقوله: ((وَيَذُ مَدِينَة بِالْأَنْدَلُسِ ، وَهِيَ حَصْنٌ عَلَى وَادِ بَقْرِبِ أَقْلِيْشِ ، ...))^(١) ، كما تبعد أقليش عن مدين شقورة Segura^(٢) ثلاث مراحل^(٣) .
وذكرت المصادر أن أقليش مدينة محدثة^(٤) ، وهذه اللفظة تدل على أن الذي أنشأها هم المسلمون ، أما التي كانت موجودة قبل الإسلام فتعرف بالقديمة أو الأزلية.

اشتهرت مدينة أقليش بحصنها ، وقد تحدث عن ذلك مؤلف مجهول عند ذكره لمدينة شنتبرية بقوله: ((... ، ولها حصون كثيرة منها حصن أقليش وحصن وبذه وحصن القليعة^(٥) ، ...))^(٦) ، كما أشار ابن حيان إلى عدد من الحصون التابعة لشنتبرية ومنها حصن أقليش بقوله: ((... ، وإلى شنت مرية^(٧) ، من عمل برية ، وإلى

(١) صفة، ص ١٩٤.

(٢) مدينة أندلسية تعد من أعمال جيان، تقع شمالي مدينة مرسية، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٦٣؛ الحميري، صفة، ص ١٠٥.
(٣) الإدريسي، نزهة المشتاق ٥٦٠/٢؛ والمرحلة تعادل ٣٧ كم ونصف، وفي حالة السير السريع ٤٦ كم، ينظر: كراتشوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص ٩٧٣.

(٤) الحميري، صفة، ص ٢٨؛ مجهول، تاريخ الأندلس، ص ١٠٨.

(٥) يقع هذا الحصن على ضفة النهر الكبير، وهو يتوسط مدينتي قطنياتة ولوزة، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٦١/٢.

(٦) تاريخ الأندلس، ص ١٠٧.

(٧) وهي مدينة أندلسية تعد من أعمال شنتبرية، وتعرف بشنتمرية الشرق، أو شنتمرية بني رزين أو السهلة، والتي تقع جنوب سرقسطة إلى وادي الحجارة، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٧٦؛ ابن الأبار، الحلة السبراء، ١٠٩/٢ هامش (٢).

حصن ويذه منها ، وإلى حصن أقليش منها ، ...))^(١).
أما ابن غالب فقد أكد على كثرة الحصون التابعة لمدينة شنتبرية
والتي من ضمنها حصن أقليش بقوله: ((مدينة شنتبرية وهي شرق
من قرطبة^(٢)) ولها حصون كثيرة))^(٣).
أما النشاط الاقتصادي للمدينة ، فيبدو أن موقعها القريب من
الأنهار هو الذي جعلها تحتل مكانة مهمة ، وقد أوضح ذلك
الحميري بقوله: ((...)) ، وهي على نهر منبعث من عين عالية على
رأس المدينة ، فيعم جميعها ، ومنه ماء حمامها ، ...))^(٤) ، إذ
اشتهرت بمزارعها ومناطقها ، كما بين الإدريسي ذلك عندما تحدث
عنها وعن مدينة ويذه بقوله: ((وويذى واقليش مدينتان متوسطان
ولهما أقاليم ومزارع عامرة...))^(٥).
كما تحدث مؤلف مجهول عن خصوبة أرضها واتساع مزارعها عند
حديثه عن مدينة شنتبرية التي هي جزءاً منها بقوله: ((...)) ، وشنتبرية
جمعت كرم الأرض واتساع المزارع والمسارح والزرع والضرع
والكرم))^(٦).

واشتهر أيضاً سكان مدينة أقليش ووادي الحجارهGuadalgjara

-
- ١ (المقتبس (للعقبة ٣٠٠ - ٣٣٠ هـ/ ٩١٢ - ٩٤١ م)، ص ٣٦٢.
 - ٢ (وهي قاعدة بلاد الأندلس، وأم المدن الأندلسية، وعاصمة الأندلس لحقبة
طويلة، كانت تجبى إليها خيرات كل جهات الأندلس لتكونها دارالملك، ينظر:
ابن غالب، فرحة الأندلس، ص ٢٦ - ٢٧ ؛ الحميري، صفة، ص ١٥٣ - ١٥٨ .
 - ٣ (فرحة الأندلس، ص ١٩ .
 - ٤ (صفة، ص ٢٨ .
 - ٥ (نزهة المشتاق، ٢/ ٥٦٠ .
 - ٦ (تاريخ الأندلس، ص ١٠٨ .

وطلبيرة بصناعة النسيج والأدوات الفخارية ، ولاسيما المدجنون Mudijares منهم الذين بقوا في المجتمع الأسباني فقد أثروا على الحياة الاقتصادية ، كما برعوا في شؤون التجارة ، ومما يدل على ذلك انتشار العملات العربية في أسواق المدن والقرى الأسبانية يتبادلها القوم بينهم ، كما ظلت أسماء بعضها ثابتة في اللغة الأسبانية لتكون شاهداً حياً على مدى انتشارها وبقيائها ، وكذلك الحال في ضروب البيع والشراء^(١).

كما ذكر الزهري النشاط التجاري لنهر سنبرة (نهر سيجري) وهو أحد فروع نهر البرو Rio Ebro بقوله: ((...، يتعاطى الناس عليه السراج^(٢) مسيرة مائة ميل ، وكذلك يتعاطون السراج عليه من حصن أقليمش إلى مدينة طرطوشة^(٣) وهي على ضفته))^(٤).
أما بالنسبة للطرق البرية المهمة التي تربط المدن الأندلسية بمدينة أقليمش ، فقد حدد العذري موقع مدينة أقليمش ووضعها في الطريق بين مدينتي قرطبة Cordoba وسرقسطة Saragosa^(٥) بالقول: ((من

-
- ١) السامرائي علاقات المرابطين، ص ١٧٤ ؛ عبد البديع، الإسلام في أسبانيا، ص ١٧١.
 - ٢) قال ابن سيده: (النسيج والسناج وقيل هو كُله السراج))، المخصص، ١٧٢/٣.
 - ٣) مدينة الأندلس تتصل بأحواز مدينة بلنسية، تقع على سفح جبل، ولها سور حصين ، وتشتهر بصناعة السفن الكبيرة لوجود خشب الصنوبر، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٦ - ١٧ ؛ الحميري، صفة، ص ١٢٤ - ١٢٥.
 - ٤) كتاب الجغرافية، ص ٨٣؛ وينظر: المياح، أوربا في كتب البلدانين العرب المسلمين، ١٧٧/٢.
 - ٥) وهي من مدن الثغر الأعلى الأندلسي الحصينة، تقع إلى الشرق من قرطبة، وتسمى المدينة البيضاء، لكثرة جصها وجيارها، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٨ - ١٩ ؛ الحميري، صفة، ص ٩٦ - ٩٧.

((من قرطبة إلى الصخرة^(١) ، ... ، إلى أرميش^(٢) إلى جيان^(٣) زيد ، إلى كركي^(٤) إلى قلعة رباح^(٥) ، ... ، إلى أقليش من شنت برية ، إلى ولبه^(٦) إلى كونكة^(٧) إلى دروكة^(٨) إلى سرقسطة^(٩))).

ومن العجائب التي ذكرتها المصادر في مدينة أقليش ، البلاط الأوسط من مسجد جامع أقليش ، فإن طول كل جائزة من جوائزه مائة شبر وإحدى عشر شبراً ، وهي مربعة منحوتة مستوية الأطراف^(١٠) .

١) في الأندلس العديد من الأماكن تسمى الصخرة، أما المقصودة هنا فهي الصخرة التي تقع بين قرطبة وسرقسطة كما وردت عند العذري، ترصيع الأخبار، ص٢١، وينظر عن الصخرات في الأندلس، ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص١٧٩ هامش (٩).

٢) ويطلق عليها أيضاً أرنيش أو أرنيشة وهي من أعمال مدينة طليطلة، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص٢٦، ٢٧.

٣) مدينة أندلسية بينها وبين بياسة ستون ميلاً، وبينها وبين قرطبة خمسين ميلاً، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٥؛ الحميري، صفة، ص٧٠ - ٧١.

٤) أو كركوي، هناك عدة أماكن بالأندلس بهذا الاسم، أما المقصود هنا هو حصن من أعمال أورنيط، ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٤٠، وينظر عن كركي في بقية أنحاء الأندلس، ص٢٣٩ هامش (٧).

٥) مدينة أندلسية تقع بين قرطبة وطليطلة، وهي من أعمال طليطلة، ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٠؛ الحميري، صفة، ص١٦٣.

٦) مدينة أندلسية من أعمال شنتبرية، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص٢٩٦ - ٢٩٧.

٧) وتعرف أيضاً قونكة وقونقة وكونكا، وهي مدينة أندلسية تعد من أعمال شنتبرية بالقرب من طليطلة شرقاً، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق ٢/ ٥٦٠؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص٢٣٨ - ٢٣٩.

٨) مدينة بالأندلس من أعمال قلعة أيوب، تبعد عنها ثمانية عشر ميلاً، وبينها وبين سرقسطة خمسون ميلاً، ينظر: الحميري، صفة، ص٧٦ - ٧٧.

٩) ترصيع الأخبار، ص٢١.

١٠) الحميري، صفة، ص٢٨؛ مجهول، تاريخ الأندلس، ص٦٦.

ثانياً: التاريخ السياسي لمدينة أقليمش

لم ترد في المصادر المتوفرة لدينا إشارة مباشرة عن كيفية فتح منطقتها ودخول المسلمين إليها ، إلا أنه على ما يبدو أنها فتحت أثناء عملية فتح المسلمين لمدينة طليطلة لقربها منها ومن توابعها ، فعندما سار طارق بن زياد إلى طليطلة عاصمة القوط الغربيين ، Visigoths ماراً بمدينة جيان Jaen. وفتحها عامل أهلها بكل انصاف ، تاركاً لهم حرياتهم كاملة ، وقد استمر طارق في الفتوح شمال طليطلة لتأمين وإخلاء المناطق القريبة منها وحولها من التجمعات ، وللتعرف عليها ، ثم توجه إلى منطقة وادي الحجارة حتى وصل إلى مدينة المائدة^(١) ، وقيل أنه واصل تقدمه إلى مناطق في شمال شبه الجزيرة الأيبيرية Iberia ، ثم عاد إلى طليطلة قبل حلول فصل الشتاء ، وكان ذلك سنة ٩٣هـ / ٧١١م^(٢) ، وقد علق على هذه الأحداث مؤلف مجهول بقوله: ((وسار طارق حتى بلغ طليطلة وخلقى بها رجالاً من أصحابه فسلك إلى وادي الحجارة ثم استقبل الجبل فقطعه من فج يسمى فج طارق وبلغ مدينة خلف الجبل تسمى المائدة... ، ثم مضى إلى مدينة أمايه^(٣) فأصاب بها حلياً

١) مدينة أندلسية تقع في أحواز طليطلة، وسميت بذلك لأنها وجدت فيها المائدة المنسوبة إلى النبي سليمان بن داود(ع) وكان طارق قد فتحها سنة ٩٣هـ / ٧١١م، ينظر: الحميري، صفة، ص ١٧٩.

٢) الحجى، التاريخ الأندلسي، ص ٦٦.

٣) وردت عند ابن الأثير باسم مايه، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٤٤ ؛ وهي مدينة تقع في غرب الأندلس فيها حصن يسمى باسمها على وادي =

ومالاً ، ثم رجع إلى طليطلة سنة ثلث وتسعين^(١).

ويبدو أن المنطقة التي تضم مدينة أقليمش فتحت خلال سنة ٧١١هـ/٧١١م ، إذ أن طارق بن زياد بعد فتحه لمدينة طليطلة مكث فيها سنة كاملة لم يتجاوزها حتى التقى بموسى بن نصير أواخر سنة ٧١٢هـ/٧١٢م^(٢) ، وليس من المعقول أن يبقى طارق هناك دون أن يقوم بأي نشاط عسكري ، إذ أن الموقف يحتم عليه أن يقوم بتطهير المناطق المحيطة به من جيوب المقاومة ولاسيما منطقة شنتبرية لما تمثله من أهمية كبيرة لأنها ذات موقع استراتيجي مهم.

ويبدو أن منطقة مدينة أقليمش عاشت هادئة بعيدة عن الأحداث الكبيرة التي عانت منها الأندلس في عصر الولاة وبداية عصر الإمارة ، وليست لدينا معلومات كافية عن القبائل التي سكنتها سواء العربية أم البربرية ، ولكن بشكل عام فإن بعض المصادر أشارت إلى أن بعض القبائل البربرية سكنت في الشمال الشرقي من الأندلس ولاسيما مدينة شنتبرية التي تقع من ضمنها منطقة مدينة أقليمش والتي لا نستبعد أن سكنت هذه فيها أيضاً ، إذ كانت المراكز المأهولة بالبربر تتمثل بالمناطق التي تشمل وادي الحجارة

=سبير، وموقعها الآن على الحدود الأسبانية البرتغالية، ينظر: ابن حيان، المقتبس (للحقب ٢٣٢ - ٢٦٧هـ / ٨٤٦ - ٨٨٠م) ص ٣٨٠، وهامش (٦٠٧) ص ٦٥١.

١) أخبار مجموعة، ص ١٤ - ١٥.

٢) المقري، نفع الطيب، ١/٢٦٥؛ الحجري، التاريخ الأندلسي، ص ٨٣.

ومدينة سالم Medinaceli^(١) وقلعة أيوب Calatayud^(٢) وشتنبيرية وويذة ، وتعد مغيلة من أوائل القبائل البربرية التي سكنت منطقة الثغر الاوسط ، وقد أصبح أحد زعمائها ، وهو محمد بن إلياس المغيلي^(٣) الذي دخل مع طارق بن زياد قائداً للحامية الإسلامية التي أقيمت هناك^(٤) ، كما عاش بعض أفراد هذه الأسرة في مدينة شتنبيرية التي تبعد ستين كيلو متراً إلى الجنوب الشرقي من وادي الحجارة ، ومن ضمن هؤلاء بنو برزال^(٥) ، وبعض أفراد بني إلياس

١ (وهي إحدى مدن الثغر الأوسط الأندلسي بينها وبين مدينة وادي الحجارة خمسين ميلاً، ينظر: ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١١٧ ؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٣/٢؛ ابن سعيد، المغرب، ٤٦١/٢ .

٢ (مدينة أندلسية تقع بالقرب من مدينة سالم، بينها وبين دروكة ثمانية عشر ميلاً، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق ٥٣٨/٢، ٥٥٣ - ٥٥٤ ؛ الحميري، صفة، ص ١٦٣ .

٣ (ذكره مؤلف مجهول قائلاً: (أحمد بن محمد بن إلياس المغيلي، الوزير القائد، ولي الولاية الجلييلة لعبد الرحمن الناصر، أمير المؤمنين، وكان جده إلياس أحد أعلام البربر الداخلين إلى شبه جزيرة أيبيريا مع طارق في الفتح الأول)، مفاخر البربر، ص ١٨٨ .

٤ (مجهول، مفاخر البربر، ص ١٨٨؛ وينظر: طه، الفتح والاستقرار، ص ٢٨٤ - ٢٨٥ .

٥ (أشار ابن خلدون إلى أن بني برزال هم من زفانة دخلوا الأندلس دخلوا الأندلس أيام الحكم المستنصر، ثم غلبوا على قرمونة أيام الفتنة بعد سقوط الخلافة الأموية واستمروا فيها حتى سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦م عندما قضى عليهم بنو عباد، العبر، ٧٣/٧ - ٧٤ .

الذين جاءوا إلى المنطقة من مدينة شذونة Media Sidonia^(١)^(٢). كما استقرت أسر أخرى من قبائل مصمودة البربرية في منطقة الثغر ولاسيما في شنتبرية ووادي الحجارا ، ومنهم بنو أران وبنو مضى وبنو رسين^(٣) ، وسكنت أيضاً في منطقة الشمال الشرقي قبائل بربر برانس هوارا^(٤) ، إذ أشارت المصادر إلى مجموعتين من هؤلاء سكنتا في هذه المنطقة ، كانت المجموعة الأولى بقيادة السمح بن ورد-حيقن الهواري- الذي دخل الأندلس في عهد الفتح واستقر هو وأتباعه في منطقة شنتبرية في قرية تسمى أفاقلة^(٥) ، ويعد هذا القائد الجد الأعلى لأسرة بني ذي النون ، الذين لعبوا دوراً مهماً في هذه المنطقة ، فشيّدوا الحصون المنيعة مثل حصن أقليش وويذة وولبة Huelva ، وتمكنوا أخيراً من السيطرة على مدينة طليطلة وجعلوها عاصمة لهم ، كما أنهم أسسوا سلالة مستقلة حكمت هذه المدينة في عهد الطوائف (٤٢٧-٥٤٧٨هـ / ١٠٣٦-١٠٨٥م)^(٦).

-
- ١ (كورة بالأندلس متصلة بكورة تدمير، فيها كانت الهزيمة على قوات القوط الغربيين بقيادة لذريق سنة ٩٢هـ / ٧١٠م، ينظر: الحميري، صفة، ص ١٠٠- ١٠١.
- ٢ (ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩٩.
- ٣ (ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩٩.
- ٤ (مجهول، مفاخر البربر، ص ١٨٨.
- ٥ (ابن حيان، المقتبس (للحقبه ٢٧٥ - ٣٠٠هـ / ٨٨٨ - ٩١٢م)، ص ٣٦؛ العنزي، ترصيع الأخبار، ص ١٤- ١٥؛ وينظر: طه، الفتح والاستقرار، ص ٢٨٦.
- ٦ (ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩٩ - ٥٠٠؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ٢٧٦/٣ - ٢٧٧.

كما عاشت جماعات أخرى من قبيلة نفزة البربرية في الشمال الشرقي من الأندلس ، ومنهم بنو عميرة وبنو غزلون وبنو نعمان ، وبنو بلال ، الذين استقروا في شنتبرية ووادي الحجارة وتيروال Teruel^(١) ، كما كانت مدينة شنتبرية وما يجاورها موطناً لقبيلة مكناسة البربرية^(٢) ، كما أن بنو هذيل^(٣) الذين ينتمون إلى قبيلة مديونة البربرية كانوا أمراء في منطقة الثغور ، لاسيما في منطقتي شنتبرية ووادي الحجارة في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل (١٣٨- ١٧٢ هـ / ٧٥٥- ٧٨٨ م)^(٤).

واستقرت بعض أفراد قبيلة ملزوزة البربرية في مدينة شنتبرية^(٥) ، وكان بنو عزون من بربر زناتة أيضاً أمراء في شنتبرية ووادي الحجارة^(٦) ، وكذلك بنو عبدوس من قبيلة بترية أيضاً من أمراء

١ (ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٩٩ - ٥٠٠ .

٢ (ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص٩٩ - ١٠٠، ١٠٤، ١٠٥ ؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ٢/٥٤ - ٥٥ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٢/٦٥ - ٦٦ ؛ ابن خلدون، العبر، ٤/١٢٨ ؛ طه، الفتح والاستقرار، ص٢٨٧ .

٣ (بنو هذيل بن خلف بن رزين أمراء السهلة في عهد دويلات الطوائف واستمروا يحكمونها حتى انتهى حكمهم على يد المرابطين، ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص١٩٤ - ١٩٦ ؛ ابن خلدون، العبر، ٤/٢٠٣ .

٤ (ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٩٩ ؛ وينظر: طه، الفتح والاستقرار، ص٢٨٧ .

٥ (ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٩٨ .

٦ (ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٩٩ .

منطقة الثغور ، وقد سكنوا في سرتة^(١) ، وشتبرية ووادي الحجارة^(٢) ، كما ذكر ابن حزم مجموعات أخرى من البربر استقرت في منطقة الشمال الشرقي لا يعرف أصولها بدقة ، منهم بنو أبي الأدلم ، وبنو قنه (من هوتوتة) ، في الثغور وشتبرية ووادي الحجارة^(٣) .

إن من أوائل الأحداث المهمة التي تعرضت لها مدينة أقليش منذ دخول المسلمين إليها هو ظهور أسرة بني ذي النون على المسرح السياسي في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، وعلى الرغم من أن نفوذهم فيها كان قبل هذا الوقت ، إذ نوه ابن حيان إلى أنهم في منطقة شنتبرية منذ عهد الفتح بقوله: ((... ، ذو النون بن سليمان بن طويل بن الهيثم بن إسماعيل بن السمح بن ورد حيقن الهواري الحميري حلف لهم ، والسمح هو الداخل منهم إلى الأندلس ، نزل بكورة شنت برية بقرية أفافلة))^(٤).

إلا أن اضطراب أحوال الأندلس في نهاية عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني (٢٣٨ - ٢٧٣هـ / ٨٥٢ - ٨٨٦م) وكثرة التمردات ، فضلاً عن رسوخ قدم بني ذي النون في المنطقة ربما دفعتهم إلى

١) وهي مدينة بالأندلس من أعمال شنت برية، شرق قرطبة منحرفة نحو الجوف، بينها وبين طليطلة عشرون فرسخاً، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص١٤٢ ؛ والفرسخ يساوي ٦ كم، ينظر: هنتس، المكابيل والأوزان الإسلامية، ص٩٤ .

٢) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٩٩.

٣) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٩٩.

٤) المقتبس (للحقبة ٢٧٥ - ٣٠٠هـ / ٨٨٨ - ٩١٢م)، ص٣٦ - ٣٧.

الظهور على المسرح السياسي ، ولعل أولى خطوات ظهورهم هو مرور الأمير محمد بن عبد الرحمن بهم في قفوله من أحد غزواته ، وقد أشار ابن حيان إلى ذلك بقوله إن الأمير: ((...)) ، كان قد نوه بذى النون أبيه في بعض اجتيازه بأرضه شنت برية إلى بعض مغازيه ، واعتل له خصي من أكابر خصيائه الخلفاء في طريق قفوله من غزوه ، فتركه عند ذي النون هذا وكان زعيم قومه يمرضه ، ويقوم عليه إلى أن يحدث الله فيه أمره ، ففعل ذو النون ما أراد من ذلك ، وبالع في الاحتفاء بالفتى ، إلى أن برىء من علته ، فجاء به بنفسه إلى قرطبة ، فكافأه الأمير محمد بأن أسجل له على ناحيته ، وقدمه على قومه ، وارتهن منه بعض ولده ، فاعترف ذو النون بفضل الأمير عليه ، وشكر نعمته ، فاستقام على طاعته ، ونهض بأعباء خدمته إلى أن هلك قريباً))^(١) .

وهذا يعني أن ذا النون بن سليمان بن طويل الهواري هو أول من اعترف به حكومة قرطبة رسمياً أميراً على شنتبرية ، وقد نوه ابن حيان إلى ذلك مرة أخرى بتفاصيل أكثر بقوله: ((...)) ، كان أول من نوه بذى النون باني بنينهم الباقي الشرف من خلفاء بني أمية ، الأمير محمد بن عبد الرحمن ، وكان سببه عنده ، زعموا أنه اعتل للأمير خصي من أكابر فتياه الخاصة وهو مجتاز إلى قرطبة في قفوله من الثغر الأعلى فتركه عند سليمان بن ذي النون هذا ، وكان وجه قومه ليمرضه ويقوم عليه فإن برأ ألقه به ، ففعل ذو النون

١ (المقتبس (للحقبة ٢٣٢ - ٢٦٧هـ / ٨٤٦ - ٨٨٠م)، ص ٣٤١ - ٣٤٢ .

ذلك وتابع في تعليل الخصي والطاقة حتى أفاق من علته ، فجاء به الأمير محمد وأجزل صلته وأسجل له على ناحيته وارتهن منه موسى ولده فاستقام ذو النون على الطاعة إلى أن هلك سنة أربع وسبعين ومائتين ، ...))^(١).

وعلى الرغم من استمرار ذو النون على الطاعة حسب الرواية أعلاه إلا أن ابنه موسى بن ذي النون كان على ما يبدو - يعمل لحسابه ، فقد قام في سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م^(٢) بمهاجمة طليطلة ، فقد أشار ابن حيان إلى ذلك بقوله: ((.. ، وكان أبوهم موسى بن ذي النون رجلاً من رؤساء بربر شنت برية ، سما للإمارة فاتخذ رجلاً من الأشرار حفوه ورأسوه على أنفسهم فأغار على سوام أهل طليطلة واكتسحه وذاك لعهد الأمير محمد سنة ٢٦٠هـ ، وجرت بينه وبين أهل طليطلة فيها بعد خطوط طويلة ، ...))^(٣).

أما ابن الأثير فقد أشار إلى ذلك بقوله: ((وفي هذه السنة ظهر موسى بن ذي النون الهواري بشنت برية ، وأغار على أهل طليطلة ، ودخل حصن وليد^(٤) من شنت برية ، فخرج أهل طليطلة إليه في نحو عشرين ألفاً فلما التقوا بموسى واقتتلوا انهزم محمد بن طريشة

١) المقتبس (للمحقبة ٢٧٥ - ٣٠٠هـ/ ٨٨٨ - ٩١٢م)، ص ٣٦ - ٣٧.
٢) جعل الحميري ذلك سنة ١٦٠هـ / ٧٧٦م، صفة، ص ٢٨؛ ويبدو أن في ذلك تصحيح، والتراجع هو ما أشار إليه ابن حيان وابن الأثير.
٣) المقتبس (للمحقبة ٢٧٥ - ٣٠٠هـ/ ٨٨٨ - ٩١٢م)، ص ٣٦.
٤) يقع حصن وليد إلى الغرب من طليطلة جنوب جبل النشارت الذي يقسم الأندلس، أرسلان، التحلل السندسية، ٢٣٨/١.

في أصحابه ، وهو من أهل طليطلة ، فتبعه أهل طليطلة في الهزيمة ، وانهزم معهم مطرف بن عبد الرحمن ، فعمل ذلك محمد مكافأة لمطرف حين انهزم بالناس في العام الماضي ، فقتل من أهل طليطلة خلق كثير ، وقوي موسى بن ذي النون ، وهابه من حاذره^(١) .

وفي سنة ٢٧٤هـ / ٨٨٧م توفي موسى بن ذي النون بن سليمان فخلفه ابنه أبو الجوشن بن ذي النون ، إلا أن الأخير سرعان ما توفي هو الآخر فولي مكانه أخوه موسى بن ذي النون^(٢) ، ولعل ذلك في عهد الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ / ٨٨٨-٩١٢م) ، ويبدو أن اضطراب الأوضاع الداخلية في الأندلس في تلك المدة شجعت موسى على التمرد على حكومة قرطبة ، وقد أشار ابن حبان إلى ذلك بقوله: إن موسى لم ((يلبث أن نكث العهد ونبذ الطاعة وأغراه داعي الفتنة المستشرية بأرض الأندلس لدى قيام الأمير عبد الله ، فأوضع فيها وجمع ألفافها (وغوا^(٣)) أهل طليطلة في نحو عشرين ألفاً ، وقد أوطأه أميرهم لب بن طريشة على أن يجر عليهم الهزيمة لحد كان له عليهم ، فلما واضعوا موسى الحرب وحمى وطيسها ، انهزم لب بأصحابه فانهزم العسكر أجمعه ونزل السيف في عسكر طليطلة فحاز موسى منه ما أثرى ، وقوي على شأنه ، فامتد شأوه في المعصية إلى أن هلك شاردأً عن الأمير عبد

١ (الأندلس من الكامل في التاريخ، ص١٩٨ - ١٩٩ .

٢ (المقتبس (للقبلة ٢٧٥ - ٣٠٠هـ / ٨٨٨ - ٩١٢م)، ص ٣٧ .

٣ (لعلها (غزا) .

الله في المحرم سنة خمس وتسعين ومائتين))^(١).

وعلى الرغم من تمرد موسى بن ذي النون فإن الإمارة في قرطبة لم تبعث إليه حشوداً عسكرية لإخضاعه ، ولعل السبب في ذلك يعود انشغال الأمير عبدالله بفتنة ابن حفصون^(٢) أولاً ، وثانياً ربما لأنه رأى أن بني ذي النون لا يشكلون خطراً على دولته ما دام النزاع محصوراً بينهم وبين أهل طليطلة من جهة ، وبينهم وبين بني قسي Banu Casi^(٣) من جهة أخرى^(٤).

١ (المقتبس) (للحقبية ٢٧٥ - ٣٠٠هـ / ٨٨٨ - ٩١٢م) ، ص ٣٧.

٢ (هو عمر بن حفص ، المعروف بحفصون ، بن عمر بن جعفر بن شتيم بن ذيبان بن فرغلوش بن إذفونش ، من مسالة الذمة ، من كورة تاكرنا من عمل رندة ، وكان الذي أسلم منهم جعفر بن شتيم ، ففشا نسله في الإسلام ، وكان له من الولد الذكور عمر وعبد الرحمن ، فولد عمر بن جعفر حفصاً ، وولد حفصون هذا عمر هذا النائر على الأمير محمد أولاً ، يحصن بريشتر وهي أمنع قلاع الأندلس قاطبة ، واتصلت أيامه في ظهور وعزة حتى قضى عليه وعلى أولاده عبد الرحمن الثالث سنة ٣١٥هـ / ٩٢٧م ، ينظر : ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١٠٦/٢ ؛ الذهبي ، سير ، ٤٠٦/٢٠ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ٣٢/٢ - ٣٥ ؛ الإحاطة ، ٢٥/٤ - ٢٨ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ١٧٢/٤ - ١٧٤ .

٣ (وهي أسرة نصرانية الأصل يرجع نسبها إلى البشكنس وكان زعيمها فرتون بن قسي حاكم إقليم شية ، وقد أعلن إسلامه بعد فتح المسلمون المناطق الخاضعة لحكمه سنة ٩٤هـ / ٧١٢م ، إذ توجه إلى بلاد الشام وقابل الخليفة الوليد بن عبد الملك ، ويبدو أن هذه المقابلة حملت في طياتها بعداً سياسياً وجد فيه الخليفة حلاً مناسباً لحكم تلك المنطقة الحدودية في شمال الأندلس ، والقريبة من بلاد الغال ، وقد أصبح لأبنائه وأحفاده منزلة مهمة حين تولوا حكم مناطق الثغر الأعلى ، ينظر : العليايوي ، البشكنس ، ص ٤٤ .

٤ (حسين ، ثورات البربر في الأندلس ، ص ٥٩ .

توفي موسى بن ذي النون سنة ٢٩٥هـ/٩٠٧م^(١)، فتولى مكانه ابنه الفتح بن موسى بن ذي النون صاحب حصن أقليش، إذ قام ببناء مدينة أقليش، وشيد حصنها، وامتنع فيها^(٢)، ثم أخذ الفتح بن موسى بمد نفوذه إلى المناطق المجاورة له، فتحرك إلى مدينة جيان، وحاول أن ينتزع حصن ذيمية من عبيد الله بن أمية بن الشالية^(٣) إلا أن الأخير تمكن من إلحاق الهزيمة بالفتح^(٤).

كما خرج عن طاعة الأمير عبد الرحمن الثالث (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) في أول حكمه وذلك سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م وسيطر على قلعة رباح Calatrava، عندها أرسل الأمير عبد الرحمن الثالث قائده

١ (ابن حيان، المقتبس (للحقبه ٢٧٥ - ٣٠٠هـ / ٨٨٨ - ٩١٢م)، ص ٣٧.

٢ (المقتبس (للحقبه ٢٧٥ - ٣٠٠هـ / ٨٨٨ - ٩١٢م)، ص ٣٧.

٣ (وصفه ابن حيان يقوله: ((هو ملك شمنتان وما يليها من كورة جيان وداخل الحصن المعروف بابن عمر فجاهد بالخلعان ويسط على أهل الطاعة، فحمى حوزته وستوسع فيما يجاوره فامتد إلى حصن قسطلونه وغيره، وكان له رجال شجعان وقواد معروفون... يخرجهم بجيشه لمغاورة من يحادده))، وقد غزاه الوزير عبد الملك بن عبد الله بن أمية بجيش كبير وأوقع به هزيمة فعاد إلى طاعة الإمارة الأموية، ولكنه سرعان ما خلع الطاعة مرة أخرى وتحالف مع جعفر بن حفصون، فلما تولى الأمير عبد الرحمن الثالث أمر بالقبض عليه، وأسكنه مع أسرته في قرطبة، ولكنه سرعان أعاده مرة أخرى إلى جبل شمنتان ولايته الأولى، فأصلحها وأقام بها إلى أن أعاده الأمير مرة أخرى إلى قرطبة، ينظر: المقتبس (للحقبه ٢٧٥ - ٣٠٠هـ / ٨٨٨ - ٩١٢م)، ص ٢٥ - ٢٦؛ حسين ثورات البربر في الأندلس، ص ٦٠ هامش (٢).

٤ (ابن حيان، المقتبس (للحقبه ٢٧٥ - ٣٠٠هـ / ٨٨٨ - ٩١٢م)، ص ٢٥ - ٢٦.

عباس بن عبد العزيز القرشي وتمكن من إلحاق الهزيمة بالفتح بن موسى ، وقد علق ابن حيان على ذلك بقوله: ((كان أول الفتوح على الناصر لدين الله حدثان ولايته الفتح على فتح بن موسى بن ذي النون ، ذلك أنه نكث إثر انعقاد بيعته وخرج ينتهز الفرصة في مدينة قلعة رباح ومعه ظهيره محمد بن إدريس الرباحي المارد المعروف بابن أزدبلس ، فتلقى به الوزير القائد عباس بن عبد العزيز القرشي بالحشم ودارت بينهما حرب شديدة انجلت عن هزيمة فتح ، وقتل جملة من رجاله ، واتبع جند السلطان إياه سحابة يومه حتى حجز بينهما الليل ونجا فتح إلى معقله مفلولاً...))^(١).

ويبدو أن هزيمة الفتح بن موسى صاحب أقليش هذه لم تشه عن مواصلة حروبه والتوسع على حساب أراضي حكومة قرطبة ، فدخل في عدة مواجهات مع أهالي طليطلة إلى أن قتل سنة ٣٠٣هـ / ٩١٥م ، وقد أشار إلى ذلك ابن حيان بقوله: ((الفتح بن موسى بن ذي النون صاحب حصن أقليش ، ظهر في أيام الأمير عبد الله فافتعد مدينة أقليش ، وشيد حصنها وامتنع بها ، وفاتن أهل طليطلة وقاتل غرارهم (كذا) إلى أن خرج يوماً إلى خيل مغيرة لهم فهزمها وأمعن في الطلب فغدر به رجل من أصحابه يعرف بالأقرع ، كان له وتر عنده فأصاب منه غرة فطعنه بجرثته طعنة كانت منها ميته وذلك في سنة ٣٠٣هـ))^(٢).

١) المقتبس (للحقبه ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م)، ص ٥٣ - ٥٤ ؛ ينظر أيضاً :

ابن عناري، البيان المغرب، ١٥٩/٢.

٢) المقتبس (للحقبه ٢٧٥ - ٣٠٠هـ / ٨٨٨ - ٩١٢م)، ص ٣٧.

أما تاريخ بناء الفتح بن موسى لمدينة أقليمش ، فقد رجح عنان أن يكون ذلك في أيام الأمير عبد الله بن محمد أواخر القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي^(١) ، والذي يمكن أن نستشفه من رواية ابن حيان أن الفتح بن موسى كان قد بنى مدينة أقليمش في حياة أبيه موسى بن ذي النون ، إذ قال: ((بنون موسى بن ذي النون: الفتح ومطرف كانا مشتركين في سلطانهما وانتزوا بكورة شنت برية بلدهم فاقتعدوها دار منعه دان لهم أهلها فحموا السلطان ، دخلوها وشادوا بها الحصون والمعازل ، وأحدثوا بها القرى والمنازل ، ... ، وكان المستأثر دونهم بحصن والدهم ، موسى ، المسمى وله ، كان أكبر حصونهم وأكثرها عدة لنفسه ، والفتح ، الذي ابتنى حصن أقليمش ومدنه وجعل عدة لنفسه ، وكذلك فعل أخوهما مطرف بحصن وبذة ، واتخذة واقتعده ، ...))^(٢) ، ولما كانت وفاة والدهم موسى بن ذي النون على رواية ابن حيان في سنة ٢٧٤هـ / ٨٨٧م^(٣) ، فالراجح أن بناء أقليمش كان قبل هذا التاريخ.

بعد وفاة الفتح بن موسى بن ذي النون تولى أخوه يحيى بن موسى بن ذي النون الذي وصف أنه كان ((أكثرهم شراً وأشهمهم نفساً ، وأجرأهم على السلطان وألهمهم بالمعصية وأثقلهم وطأة على الرعية ، وأدومهم على قطع السبيل وإشاعة الفساد في الأرض

١ (دولة الإسلام في الأندلس، ق٢، ص٦١ .

٢ (المقتبس(للحقبة ٢٧٥ - ٣٠٠هـ / ٨٨٨ - ٩١٢م)، ص ٣٦ .

٣ (المقتبس(للحقبة ٢٧٥ - ٣٠٠هـ / ٨٨٨ - ٩١٢م)، ص ٣٧ .

وسفك الدماء ...))^(١).

تميزت سياسة يحيى بن ذي النون بين التمرد والطاعة لحكومة قرطبة ، وهناك روايتين متناقضتين ذكرهما ابن حيان بشأن استيلاء ابن ذي النون على قلعة رباح بمساعدة أحد الثائرين فيها وهو محمد بن إدريس الريحاني المعروف بابن أردبلش أو أزدبليس ، فقد مررنا في الرواية الأولى أن هذا الثائر تعاون مع الفتح بن موسى بن ذي النون وأن الأمير عبد الرحمن الثالث أرسل إليهم قائده عباس بن عبد العزيز القرشي الذي أوقع بهم وفرّ الفتح بن موسى فيما تمكن عامل قلعة رباح من قتل ابن أردبلش وأرسل رأسه إلى قرطبة فعلق بباب السدة فيها وهو أول فتح للأمير عبد الرحمن الثالث وكان ذلك سنة ٣٠٠هـ / ٩١٢م^(٢).

وعند حديثه (أي ابن حيان) عن يحيى بن موسى بن ذي النون قال عنه أنه: كان من أنكر آل ذي النون وأمكرهم وأمرضهم طاعة مع إظهار الانحراف إلى الجماعة ، وأنه قام بشن الغارات على قلعة رباح وساعده في ذلك أحد الثائرين بها المعروف بابن اردبليس إلا أن يحيى بن موسى بن ذي النون غدر بابن اردبليس فقتله وبعث برأسه إلى الأمير عبد الرحمن في أول ولايته فكان أول رأس بدا إليه في دولته وذلك سنة ٣٠٠هـ / ٩١٢م^(٣).

١) ابن حيان، المقتبس (للمحقبة ٢٧٥ - ٣٠٠هـ / ٨٨٨ - ٩١٢م)، ص ٣٦.

٢) المقتبس (للمحقبة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م)، ص ٥٣ - ٥٤.

٣) المقتبس (للمحقبة ٢٧٥ - ٣٠٠هـ / ٨٨٨ - ٩١٢م)، ص ٣٧ - ٣٨.

وقد رجح ابن عذاري الرواية الأولى^(١) ، وهو الراجح عندنا أيضاً وذلك لان يحيى بن ذي النون تولى بعد أخيه الفتح ، وكان الأمير عبد الرحمن يداريه على سوء صنيعه بسبب انشغاله بحركات التمرد الأخرى ثم قبض عليه واستقدمه إلى قرطبة حتى وفاته سنة ٩٣٥هـ/٩٣٦م ، وقد أشار ابن حيان إلى ذلك بقوله: ((... ، فأسجل على بلده وهو معلن الطاعته يقطع الطرق ، ويسلب الرفاق ، ويتمرس بالخليفة إلى أن صح لديه غله فأنفذ إليه الوزير عبد الحميد بن بسيل بالجيش فقبض عليه وأرسل به إلى قرطبة مع ولده وأهله وذلك في سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة فصيح عنه الناصر وأثبتته في العرفاء بالمصاف برزق واسع ، وغزا معه سرقسطة سنة خمس وعشرين وثلاثمائة فتوفي هناك))^(٢).

ويبدو أن أسرة بني ذي النون استمروا بحكم بعض الحصون المهمة التابعة لمنطقة شنتبرية مثل حصن أفليش وحصن وبذة ، إذ كان الأخير من حصنة مطرف بن موسى بن ذي النون فعمل على بناءه وتحصينه واستقر به ، وكان مطرف ((أجمل أهل بيته مذهباً وأقومهم طريقة))^(٣).

وقد شارك مطرف في المواجهات العسكرية التي خاضتها حكومة قرطبة ضد النصارى في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر حتى وقع

١ (البيان المغرب، ٢/١٥٩ .

٢ (المقتبس (للحقبه ٢٧٥ - ٣٠٠هـ/ ٨٨٨ - ٩١٢م)، ص ٣٨ .

٣ (ابن حيان، المقتبس (للحقبه ٢٧٥ - ٣٠٠هـ/ ٨٨٨ - ٩١٢م)، ص ٣٨ .

أسيراً في يد ملك البشكنس Bascons شانجه غرسيه الأول Sacho Garcia (٢٩٣-٣١٤هـ/٩٠٥-٩٢٦م) وذلك سنة ٣١١هـ/٩٢٣م ولكنه تمكن من الفرار^(١) ، كما ساهم في غزوة الخندق Alhandiga سنة ٣٢٧هـ/٩٤٩م^(٢) ، لذلك ازدادت منزلته لدى الخليفة الناصر وسجل له على مدينة الفرج (وادي الحجارة) سنة ٣٢٨هـ/٩٤٩م وبقي فيها حتى وفاته سنة ٣٣٣هـ/٩٤٤م^(٣).

أما في مدينة أقليمش فإنه لم يستمر تواجد بني ذي النون فيها طويلاً ، إذ سرعان ما دبّ الخلاف بين أفراد هذه الأسرة حول بعض الحصون من جهة ، ثم عدم ولائهم لحكومة قرطبة من جهة أخرى ، الأمر الذي تطلب من الخلافة الأندلسية إنهاء هذا الوضع ، وتكليف شخص آخر يتولى إدارة مدينة وحصن أقليمش والحصون الأخرى ، وكان تولاها بعد وفاة يحيى بن موسى بن ذي النون ابنه الفتح بن يحيى وذلك سنة ٣٢٥هـ/٩٣٦م واستمر حتى سنة ٣٢٨هـ/٩٤٩م إذ عمل الخليفة الناصر على عزله وتولية أحمد بن محمد بن إلياس^(٤) ، وقد

-
- ١) ابن حيان، المقتبس (للحقبه ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/ ٩١٢ - ٩٤١م)، ص ١٨٧.
 - ٢) لمزيد من التفاصيل حول هذه الغزوة ينظر: المسعودي، مروج الذهب، ١٩٢/٤ - ١٩٣ ؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٥٦؛ ابن حيان، المقتبس (للحقبه ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/ ٩١٢ - ٩٤١م)، ص ٤٣٦ - ٤٣٧؛ الحميري، صفة، ص ٩٨ - ٩٩ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق ٢، ص ٣٦ - ٣٧ ؛ المقري، نفع الطيب، ٣٦٣/١.
 - ٣) ابن حيان، المقتبس (للحقبه ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/ ٩١٢ - ٩٤١م)، ص ٣٨ - ٣٩ ؛ وينظر: سالم، تاريخ المسلمين، ص ٢٥٦.
 - ٤) يعود نسب أحمد بن محمد بن إلياس إلى قبيلة مغيلة البربرية، وكان جده إلياس أحد قواد البربر البارزين الذين دخلوا شبه الجزيرة الأيبيرية =

علق ابن حيان على ذلك بقوله: ((وفي هذه السنة استنزل الوزير أحمد بن محمد بن إلياس الفتح بن يحيى بن ذي النون من حصن أقليمج ، والحصون التي كانت بيده ، عندما مرق من الطاعة ، وأدخل فيها ابن عمّ نفسه ، موسى بن محمد بن إلياس ، وكان السبب في عزل الفتح هذا عن شنت برية للاختلاف الجاري بينه وبين ابن عمّه ، مطرف بن موسى بن ذي النون ، واستعداء مطرف الناصر لدين الله عليه ، ووصفه بتحامله وأذاه ، فكتب الناصر لدين الله إلى الوزير القائد أحمد بن محمد بن إلياس بالنظر بينهما ، فاستبان له من عوج الفتح بن يحيى ونكوبه ما أوجب عزله وإنزاله عن معقله ، والبعثة به بجميع أهله إلى الحضرة ، وتصيير ما كان في يده إلى عامل السلطان ، وكان أثر القائد أحمد بن محمد بن إلياس في هذه الغزوة جميلاً))^(١).

وعندما تولى الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م) ، برز أفراد أسرة بني ذي النون مرة أخرى على المسرح السياسي والإداري في الأندلس ، إذ تولى مطرف بن إسماعيل بن عامر بن

= مع طارق بن زياد، أما أحمد فقد التحق بخدمة الخليفة الناصر وتدرج في المناصب القيادية حتى عينه على الجزائر الشرقية سنة ٣١٨هـ/ ٩٣٠م، ثم على مدينة طرسونة سنة ٣٢٢هـ/ ٩٣٤م، ثم على مدينة وشقة، بعدها تولى الوزارة وتمتع بمكانة كبيرة عند الخليفة الناصر، ومما يدل على ذلك أن الناصر عزل في سنة ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م جميع وزراءه عدا أحمد بن إلياس وأحمد بن عبد الملك بن شهيد، ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩٩؛ ابن حيان، المقتبس (للحقبية ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/ ٩١٢ - ٩٤١م)، ص ٢٨٦، ٣٥٦، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٩٠، ٤٢٥، ٤٥٦، ٤٧٠؛ مجهول، مفاخر البربر، ص ١٨٨.

١) المقتبس (للحقبية ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/ ٩١٢ - ٩٤١م)، ص ٤٥٧.

ذي النون حصن وبذة وأضيف إليه أكثر حصون شنتبرية وقراها سنة ٣٦٣هـ/٩٧٣م ، إذ جاء في ذلك بالقول: ((وفيه سجل لمطرف بن إسماعيل بن عامر بن ذي النون على وبذه ، حصنه ، وأضيف إليه أكثر صحون شنت بربة وقراها))^(١) ، ولا نستبعد أن تكون مدينة أقليمش من الحصون التي حكمها مطرف بن إسماعيل لأنها من حصون شنتبرية المهمة ، فضلاً عن أنها كانت مركز حكم وإدارة أسرة بني ذي النون.

وفي أيام المنصور بن أبي عامر(٣٦٦-٣٩٢هـ/٩٧٦-١٠٠١م) ظهر عبد الرحمن بن ذي النون وولده إسماعيل ، والراجح أن عبد الرحمن هذا هو ابن مطرف بن إسماعيل بن ذي النون^(٢) ، وخدموا المنصور بن أبي عامر ، وفي ذلك يقول ابن الخطيب إن بني ذي النون((لم يكن لهم رئاسة ولا نباهه إلا في دولة المنصور محمد بن أبي عامر ، ففيها تقدموا واشتهروا ، وقادوا الجيوش ، واستقروا بكورة شنتبرية))^(٣) ، وقد لا نتفق مع معظم ما جاء في هذا النص فإن بني ذي النون دخلوا الأندلس منذ الفتح ، وكان لهم ظهور مهم أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن ثم الأمير عبد الله وحتى أيام الخليفة الناصر الذي عمل على الحد من نفوذهم ثم عادوا مرة أخرى إلى الظهور أيام الخليفة الحكم المستنصر ثم أيام المنصور بن

١) ابن حيان، المقتبس(لحقبة ٣٦٠ - ٣٦٤هـ/ ٩٧٠ - ٩٧٤م)، ص ١٥٠.

٢) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ق٢، ص ٩٦.

٣) أعمال الأعلام، ق٢، ص ١٧٧.

أبي عامر ، كانت لهم حصون شنتبرية جميعها ، حتى أصبحت في عصر دويلات الطوائف دولة خضعت لها معظم مناطق الثغر الأوسط الأندلسي ، إلا أننا نتفق مع بعض مارد في نص ابن الخطيب أعلاه من أن ابن أبي عمر مكن لهم في منطقة شنتبرية ومهد لهم السبيل لتكوين لهم دولة فيما بعد سقوط الدولة العامرية. وقد أشار ابن بسام إلى طموحات بني ذي النون حكام أقليش وكيفية تكوين دولتهم في عصر الطوائف بقوله: ((وكانت أولية نباهة بني ذي النون من جددهم ذي النون ، في أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن ، وقد اعتل له خصي في طريق قفوله من الثغر فتركه عنده بحسن أقليش يمرضه ، فلما أفاق لحق بالحضرة مع الخصي ، فأخذ له توقيفاً بتقديمه على حصنه ، ثم تداول تلك الخطة ولده إلى أيام الحكم ، فلما اضطلع بالدولة ابن أبي عامر ، تعلق به المضراس^(١) بن ذي النون وإسماعيل ابنه معه ، فلما انقرضت الدولة العامرية لحق بالثغر وجمع إليه بني عمه ، وخطب من سليمان^(٢) ولاية أقليش فولاه إياه ، ثم تهيأت له قلعة كونكه ، وكانت بيد واضح العامري ، فلما مات ضبطها إسماعيل منتظراً بزعمه ن يجتمع عليه الناس ، وتحت

١) عند ابن الخطيب عبد الرحمن بن ذي النون، أعمال الأعلام، ق٢، ص١٧٦.
٢) وهو سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصروثي الخلافة على فترات مع محمد المهدي بعد سقوط الدولة العامرية سنة ٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م ثم انفرد بها بنفسه وكان جل اعتماده إلى البربر، وقتل من قبل علي بن حمود سنة ٤٠٧هـ/ ١٠١٦م ، ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٩ - ٢٢ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص٢٣٩ - ٢٤٢.

ذيله من غلول واضح كثير ، حين لم يترك إلا أطفالاً وأمهم حرته ، ألفت بنفسها إليه ، معتنقة بأمانه ، فحصل لإسماعيل البلد ، وسطا على مجاوريه من قواد الثغور ، فاستقامت له الأمور ، وثنى له الوزارة سليمان وسماه ناصر الدولة ، فاستقل ذلك كله ، وأثر الفرقة ، واقتطع جانبه ، فكان أول الثوار لمفارقة الجماعة ، وفرطهم في نقض الطاعة ، ثم اتفقت له أمور اتسع بها عمله ، وكثرت جبايته وجمعه ، وكان من البخل بالمال ، والكلف بالإمساك ، والتقتير في الإنفاق ، بمنزلة لم يكن عليها أحد من ملوك عصره ، لم يرغب في صنعية ، ولا سارع إلى حسنة ، ولا جاد بمعروف ، فما أعملت إليه مطية ، ولا حملت أحداً نحو ناقة ، ولا عرج عليه أديب ولا شاعر ، ولا امتدحه ناظم ولا ناثر ، ولا استخراج من يده درهم في حق ولا باطل ، ولا حظي أحد منه بطائل ، وكان مع ذلك سعيد الجد ، تنقاد إليه دنياه ، وتصحبه سعادته فينال صعاب الأمور بأهون سعيه ، وهو كان فرط الملوكة في إيثار الفرقة ، فاقتدى به من بعده ، وأموا في الخلاف نهجه ، فصار جرثومة النفاق ، وأول من استن سنة العصيان والشقاق ، ومنه تفجر ينبوع الفتن والحن ، فتبارك من أملى له ، ولم يرض له عقوبة الدنيا ماثرة^(١).

وهكذا فقد خدمت ظروف الأندلس في بداية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي بني ذي النون ، فبعد سقوط الدولة

(١) الذخيرة، ٧/١٤٢ - ١٤٣.

العامرية حافظوا على ممتلكاتهم في شنتبرية ، وأخذ عبد الرحمن بن ذي النون من مدينة أقليمس يترقب الأحداث في قرطبة فلما آل الأمر إلى الخليفة سليمان المستعين الذي قرب إليه البربر خطب له في أقليمس فولاه إياها ، ومنها أخذ يتوسع حتى ضمَّ إلى نفوذه حصون شنتبرية كلها ، وبعد وفاة واضح الصقلبي حاكم قونقة Cuenca استولى عليها وحاز ما فيها من أموال وتقوى بها على توسيع سلطانه ، وكل ذلك بدعم وتأييد من الخليفة سليمان المستعين الذي منح إسماعيل بن ذي النون رتبة الوزارة ولقبه ناصر الدولة^(١) ، ثم سما طموحه أكثر بعد سقوط الخلافة وأخذ يعمل لنفسه حتى ضمَّ إليه طليطلة التي نقل إليها مقر حكمه^(٢) بعد أن كان في أقليمس ، وبالتالي فقد أصبحت مدينة أقليمس جزءاً من دولة بني ذي النون وعاصمتها طليطلة.

ويبدو أن مدينة أقليمس استمرت تحت حكم المسلمين من بني ذي النون حتى سقوط طليطلة سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م^(٣) ، ولعلها سقطت بيد النصارى بعد سقوط الأخيرة مباشرة أي في السنة نفسها ، وقد

١ (ابن بسام، الذخيرة، ١٤٣/٧ ؛ عنان، دول الطوائف، ص ٩٦.

٢ (ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق ٢، ص ١٧٦.

٣ (زيد من التفاصيل عن سقوط مدينة طليطلة ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ١٦٥/٧ - ١٦٨ ؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٨٤ - ٨٥ ؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٣٠٠ - ٣٠٢ ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢٧/٥ ؛ الذهبي، دول الإسلام، ٥/٢ - ٦ ؛ المقرئ، نصح الطبيب، ٤/٣٥٢.

رجح عنان ذلك بقوله: وقد كانت أقليش في ذلك العصر من أمنع معاقل كورة شنتبرية، وهل محلة حصينة، تقع في شمال جبال طليطلة، وجنوب غربي ويدة، أنشأها الفتح بن موسى بن ذي النون في أواخر القرن الثالث الهجري أيام الأمير عبد الله واتخذها مستقراً ومعقلاً، وغدت دار بني ذي النون، حتى ظهروا أيام المنصور ابن أبي عامر، وحكموها أيام اضطراب الخلافة، ثم انتقلوا منها إلى حكم طليطلة على يد إسماعيل بن ذي النون في أوائل المائة الخامسة، ولما سقطت طليطلة في أيدي القشتاليين في صفر سنة ٤٧٨ هـ/ ١٠٨٥م وانتهى سلطان بني ذي النون في تلك المنطقة، كانت أقليش ضمن القواعد والحصون العديدة، التي استولى عليها القشتاليون نتيجة لافتتاح مدينة طليطلة^(١).

وهو ما نرجحه أيضاً بدليل أن التوسع النصراني أخذ حيزاً كبيراً وأصبحت سيادة ملك قشتالة Castilla الفونسو السادس Alfonso VI (٤٥٨-٥٠٢ هـ/ ١٠٦٥-١١٠٨م) على معظم المناطق الواقعة من وادي الحجارة إلى طليطلة وفحص اللج^(٢) وشنتبرية، وبذلك

١ (عصر المرابطين والموحدين، ق١، ص ٦١.

٢ (الفحص كل موضع يسكن سواء كان سهلاً أم جبلاً شرط أن يزرع، والفحص كورة كبيرة من عمل طليطلة ثم من عمل طليطلة، والفحص إقليم أكشونية، والفحص إقليم إشبيلية، وأما فحص اللج فيصعب تحديد موقعه فبعضهم يسميه حصن اللج والبسيط ويسمى أيضاً حصن الثلج مع الاختلاف في موقعه، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٠٠ حاشية(٧)؛ ابن الأبار، الحلة السيرة٢/٢٢٣، ٢٥١ - ٢٥٢ حاشية(١).

ضمت عملية السيادة الأسبانية التوسعية مناطق عدة واقعة على نهر التاجه Rio Tajo ، وصارت مدينة طلييرة وقلعة رباح المنطقة الحدودية الفاصلة بين المسلمين والنصارى في الأندلس ، وقد علق ابن الكردبوس على ذلك بقوله: ((ولما حصل ، الطاغية الفنش لعنه الله بطليطله ، شمش بأنفه ، ورأى أن زمام الأندلس قد حصل في كفه ، فشن غاراته على جميع أعمالها ، حتى فاز باستخلاص جميع أقطار ابن ذي النون واستئصالها ، وذلك ثمانون منبراً ، سوى البنيات ، والقرى المعمورات ، وحاز من وادي الحجارة إلى طلييرة وفحص اللج وأعمال شنتبرية كلها ، ...))^(١).

وبعد ذلك أصبحت طليطة قاعدة عسكرية ، شن منها النصارى هجماتهم على المناطق الإسلامية^(٢) ، ويبدو أن المعتمد بن عباد^(٣) أمير إشبيلية Sevilla^(٤) أدرك مدى تعظم الخطر الأسباني على الوجود

١ (تاريخ الأندلس، ص٧٨؛ وينظر: ابن الأبار، الحلة السيرة، ١٧٧/٢ حاشية (٣).
٢ (ابن بسام ، الذخيرة، ١٦٧/٧ .

٣ (هو أبو القاسم محمد الملقب بالمعتمد بن المعتضد بالله بن الظافر المؤيد بالله محمد بن إسماعيل اللخمي تولى أمر إشبيلية بعد وفاة أبيه المعتضد بالله سنة ٤٦١هـ / ١٠٦٨م وخلص سنة ٤٨٤هـ / ١٠٩١م، وتوفي بأغمات سنة ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م، ينظر: ابن خاقان، قلائد العقيان، ص٤- ٢٧ ؛ العماد الأصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، ص٢٥ ؛ القمي، الكنى والألقاب، ٣/١٩١- ١٩٢؛ دهم، المعتمد بن عباد، ص٩٤ وما بعدها .

٤ (مدينة أندلسية بناها يوليوس قيصر، تبعد عن قرطبة ثمانون ميلاً، ينظر: الحميري، صفة، ص١٨- ٢٢ ؛ أبو الضدا، تقويم البلدان، ص١٧٤- ١٧٥ .

الإسلامي السياسي ، الأمر الذي دفعه إلى نبذ خلافاته مع غرناطة Granada والتصالح مع حكامها لمواجهة التحدي المشترك لهم ، الذي لاحق بواده في رسالة الفونسو السادس إلى المعتمد بن عباد ، طلب فيها التنازل عن المناطق التي يحكمها ، وذكره بما حلّ بطليطلة ، وأكد عليه التنازل له عن بعض الحصون من طليطلة التي سيطر عليها في السابق ، فلما رفض مقترحاته ، أعلن ملك قشتالة الحرب ضده^(١).

وبسبب توترت العلاقات بين المعتمد بن عباد وملك قشتالة الفونسو السادس ، فبعد معركة الزلاقة Sagrojas التي حدثت بين المسلمين والنصارى سنة ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م^(٢) ، جهز المعتمد بن عباد حملة عسكرية ، وهاجم أراضي مدينة طليطلة الخاضعة للنصارى ، وتمكن من خلالها الاستيلاء على مدينتي أقليم وقونقة ، وواصل زحفه إلى مدينة مرسية Murcia^(٣) ، إذ تصدت له هناك قوات أسبانية كانت تهاجم الأراضي الإسلامية ، وتمكنوا من هزيمته ، فتحصن بقلعة لورقة Lorca^(٤) ، ثم رجع مسرعاً إلى قرطبة تاركاً

١ (أشباخ، تاريخ الأندلس، ٦٥/١ .

٢ (لمزيد من التفاصيل حول معركة الزلاقة ينظر : ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص٣٠٢ - ٣١٠ ؛ المراكشي، المعجب، ص٩٤ وما بعدها، ابن عناري، البيان المغرب/٤/ ١٣٠ وما بعدها؛ دوزي، ملوك الطوائف، ص٢٩٧ وما بعدها .

٣ (وهي من مدن كورة تدمير، بناها الأمير عبد الرحمن الثاني، واتخذها داراً للعمال ومقراً للقواد، وهي على نهر كبير يسقي أراضيها، ينظر : الحميري، صفة، ص١٨١ - ١٨٢ .

٤ (مدينة تقع في شرق الأندلس بكورة تدمير شمال مدينة المرية، الحميري، صفة، ص١٧١ - ١٧٢ .

المدن والحصون التي سيطر عليها^(١).

وعلى إثر ذلك قرر المعتمد بن عباد استدعاء المرابطين **Los Almohades** بقيادة يوسف بن تاشفين في صد هجمات النصارى على المناطق الأندلسية بعد أن شرح للأمير المرابطي ما تعرض له المسلمون في منطقة مرسية ولورقة وأقليش وغيرهما من شدة النصارى وغاراتهم ، فوافق الأخير ولبى الدعوة^(٢).

عبر يوسف بن تاشفين إلى الأندلس في سنة ٤٨١هـ/١٠٨٨م ، ومن ثم في سنة ٤٨٣هـ/١٠٩٠م ، ودخل في عدة مواجهات عسكرية مع النصارى تمكن من خلالها من استرجاع مرسية التي أصبحت من أملاك المعتمد بن عباد فضلاً عن لورقة ، وظل نفوذ بني عباد عليها إلى أن سقطت إمارتهم على أيدي المرابطين حينما دخلوا إشبيلية سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م^(٣).

ويبدو أن مدينة أقليش بقيت تحت نفوذ النصارى ، وقد حاول المرابطون بعد وفاة يوسف بن تاشفين سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م وتولي ابنه علي بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠-٥٣٧هـ / ١١٠٦-١١٤٢م) ، استرجاع هذه المدينة ، لاسيما بعد أن أولى اهتمامه الكبير بالأندلس ، إذ كتب في

١ (أشباح، تاريخ الأندلس، ٩٣/١ - ٩٤ .

٢ (ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص١٥٢؛ مجهول، التحلل الموشية، ص٦٧ .

٣ (ابن الأبار، الحلة السيرة، ١٧٥/٢؛ المراكشي، المعجب، ص٩٨ - ١٠٤؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص١٥٩ - ١٦٠؛ أدهم، المعتمد بن عباد، ص٢٧٦ - ٢٧٩ .

أوائل سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م إلى أخيه أبي طاهر تميم^(١) وإلى غرناطة وقائد الجيوش المرابطية في الأندلس ، أن يستأنف الجهاد ضد النصارى ، ويسترجع الأراضي التي بحوزتهم ، على إثر ذلك جهز الأمير تميم الجيوش الأندلسية ، وخرجت من غرناطة في أواخر شهر رمضان سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م شمالاً باتجاه جيان واستقر فيها حتى وافته حشود قرطبة بقيادة أبي عبد الله محمد بن أبي بكر^(٢) ، بعدها توجه بالقوات صوب أراضي مملكة قشتالة ، وفي طريقه وافته حشود مدينة مرسية بقيادة أبي عبد الله محمد بن عائشة^(٣) ، كذلك توافدت إليه حشود مدينة بلنسية Valencia بقيادة محمد بن فاطمة^(٤) ، فاخرقت هذه

(١) هو الأمير تميم بن يوسف بن تاشفين حكم غرناطة للمدة بين (٥٠٠ - ٥٠٣هـ/١١٠٦ - ١١٠٩م) ثم نقل إلى تلمسان بالمغرب الأوسط بعدها عاد إلى الأندلس فتولى حكم غرناطة مرة أخرى بين سنتي (٥١٥ - ٥١٦هـ/١١٢١ - ١١٢٢م) ، كما تولى بعد ذلك إشبيلية ثم قرطبة وغرناطة مرة أخرى، وتوفي سنة ٥٢٠هـ/١١٢٦م، ينظر: ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ١١٤ حاشية (١) ؛ ابن القطان، نظم الجمان، ص ٥٦ حاشية (٥).

(٢) ابن عذارى، البيان المغرب، ٤/٤٨.

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن تاشفين، عرف بابن عائشة أمه، كان من كبار قواد المرابطين، عينه أبوه على شرق الأندلس، واشترك في وقعتي أقليمش وورشلونة سنة ٥٠٨هـ/١١١٤م ثم اعتل بصره وعمي فعين بدلاً عنه أخاه إبراهيم بن يوسف، ينظر: ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ١٠١ حاشية (٤) ؛ ابن القطان، نظم الجمان، ص ٦٥٦ حاشية (٢).

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن فاطمة، وأحياناً يسمه أبو عبد الله بن فاطمة، احد مشاهير قواد المرابطين في عهد يوسف بن تاشفين وابنه علي، تولى بلنسية سنة ٤٩٧هـ/١١٠٣م كما تولى غرناطة وإشبيلية وبقي فيها حتى وفاته سنة ٥١١هـ/١١١٧م، ينظر: ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ١١٤.

الجيش أراضى قشتالة ، وسارت باتجاه مدينة أقليمش فوصلت إليها في يوم الأربعاء ١٤ من شوال سنة ٥٥١هـ / ١١٠٧م^(١).

فقامت القوات المرابطية بمحاصرة مدينة أقليمش ، ومن ثم مهاجمتها بكل قوة ، ولم يستطع النصارى من المقاومة ، فتمكن المرابطون من فتحها في يوم الخميس ١٥ شوال من السنة نفسها ، وعلى إثر ذلك انسب المدافعون عنها من النصارى إلى قسبة أقليمش الحصينة ، وامتنعوا بها ، أملين وصول الإمدادات إليهم من الفونسو السادس ملك قشتالة^(٢).

وفي أثناء دخول القوات المرابطية المدينة أسرع إليهم جماعة من المسلمين الذين ظلوا تحت الحكم الاسباني ، ويسمون بالمدجنين ، وشرحوا لإخوانهم حال المدينة ودخلوا تحت حمايتهم^(٣).

وعندما وصلت أنباء هذه الأحداث إلى مسامع الفونسو السادس ، جهز حملة عسكرية لمواجهة المرابطين ، وقد أشار ابن الكردبوس إلى أن الفونسو السادس قاد هذه الجيوش ، واشترك في محاربة المرابطين ، إلا أنه رجع خاسراً إلى بلاده ، ومات بعد ذلك حزناً على مقتل ابنه الوحيد شانجة (سانشو Sancho)^(٤) ، إذ تحدث

١ (عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق١، ص٦١.

٢ (عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق١، ص٦٢.

٣ (عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق١، ص٥٣ ؛ السامرائي، علاقات المرابطين، ص٢٠١.

٤ (وهو ابن الملك الفونسو السادس من زوجته زائدة المسلمة، التي كانت قد فرت إلى قشتالة بعد مقتل زوجها المأمون بن المعتمد بن عباد على يد =

بالقول: ((وفي سنة إحدى وخمسمائة جمع الفنش واحتفل ، وحشد أهل بلاده وقصد شرق الأندلس ، وأقبل فتصدى له الأمير تميم ، فتقاتلا ، وتضاربا ، وتجاولا ، وتحاربا ، فنصر الله جيش المسلمين ، وانهمزم العدو اللعين ، بعد أن جرح وقتل ابنه ، لعنه الله ، واستبيح عسكره ، وقتل وسبي أكثره ، ...))^(١).

واختلف ابن القطان عن ابن الكردبوس حول مشاركة الفونسو السادس في هذه المعركة ، إذ ذهب إلى أن الفونسو لم يشارك ، بل أرسل ابنه في عشرة آلاف فارس لإغاثة أقليش ، وقد جاء ذلك بقوله: توجهت ((... ، عساكر المسلمين إلى أقليش ، فاقتموها عليهم ولجأ من كان أسفلها من النصارى إلى القصبه العليا ، ونزلت جميع العساكر عليها وأحاطوا بها ، فأرسل اذفونش ابنه بنحو عشرة آلاف فارس لإغاثة أقليش ومدافعة المسلمين ، فأتوا والتقوا مع المسلمين وتصافت عند ذلك العساكر ، وكان مع ابن اذفونش البرهانش^(٢) وغرسيا ردونس ، وهو المدعو بالفم المعوج وغيرهما من صناديد

=المرابطين عند دخولهم قرطبة، فبنى عليها الفونسو السادس وأنجب منها ابنه الوحيد سانشو وكان عمره يوم قتل خمسة عشر سنة، ينظر: الحجي، التاريخ الأندلسي، ص ٣٥٣؛ الدرويش، أعلام نساء الأندلس، ص ١٤٥ - ١٤٦. (١) تاريخ الأندلس، ص ١١٤؛ جعل ابن أبي زرع تاريخ هذه المعركة سنة ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م، الأنيس المطرب، ص ١٥٩.

(٢) وهو القائد الأسباني المعروف Aivar Hanez ابن أخي السيد القمبيطور، وكان من كبار قادة الفونسو السادس ملك قشتالة، ينظر: ابن القطان، نظم الجمان، ص ٦٤.

الكفرة ، فتوقفوا))^(١).

وقد أيد ابن أبي زرع ابن القطان حول عدم مشاركة الفونسو السادس في هذه المعركة ، فقد أشار بأن الفونسو بعد ما علم بأن تميم بن يوسف بن تاشفين هو قائد الجيش الإسلامي ، أشارت عليه زوجته أن يوجه ولده عوضاً عنه فيكون مواجهاً لتميم ، لأن تميم ابن ملك المسلمين ، وشانجه ابن ملك الروم ، فاستجاب لرأيها ، وجاء في ذلك بالقول: ((... ، فبلغ خبرهم إلى الفونسو السادس ، فاستعد للخروج إلى إغاثة بلده ، فأشارت عليه زوجته أن يوجه ولده عوضاً عنه فيكون مقابلاً لتميم ابن ملك المسلمين ، وسانشو ابن ملك الروم ، فسمع منها فبعث ولده سانشو في جيوش كثيرة من زعماء الروم وأنجاهم ، ...))^(٢).

أما المراجع الحديثة فقد اتفقت مع ابن القطان وابن أبي زرع حول عدم مشاركة الفونسو السادس في المعركة ، إلا أنها اختلفت معهم في الاسباب التي دعتهم إلى عدم المشاركة ، وأرجعتها إلى أن الفونسو السادس لم يشترك فيها بسبب كبر سنه ومرضه ، فعهد بالقيادة إلى ولده الوحيد سانشو من زوجته زائدة الأندلسية ، وسير معه كبار قواده من أمثال: الكونت البرهانس **Alvar Fanez** وغرسيه أوردونيت **Garcia Ordonez** ورامون دي بورجونيا زوج دونيا اوراكا **Dona Urraca** ابنة الفونسو السادس ، ولهذا عرفت

١ (نظم الجمان، ص ٦٤.

٢ (الأنيس المطرب، ص ١٦٠.

هذه الموقعة باسم أقليش أو الأقباط السبعة^(١).

وبعدھا سارت القوات الاسبانية باتجاه أقليش وبأعداد كبيرة تفوق الجيوش المرابطية^(٢)، وقد ذكر ابن أبي زرع أن الأمير تميم لما رأى كثرة الجيش النصراني أحجم في لقائه، فنصح به بقية القواد على مواصلة الصمود ولقاء العدو بقوله (...، فلم يكن إلا عشي يومهم ذاك حتى أتتهم جيوش الروم في ألوف كثيرة، فأراد تميم الفرار وأحجم عن قتالهم، فلم يجد سبيلاً للفرار ولا للروغ مخلصاً، وصمم قواد لمتونة إلى لقاء العدو ومناجزته، (...)^(٣)، وذكر عنان رسالة بعث بها تميم إلى علي بن يوسف بن تاشفين تصور الأمر بشكل آخر، وهو استعداد تميم لخوض المعركة بعد تشاوره مع القائدين محمد بن عائشة وعبد الله بن فاطمة إذ جاء في بعض منها بالقول: وكنت قد استدنيت القائدين المجريين، ذوي النصيحة والآراء الصحيحة، أبا عبد الله محمد بن عائشة، وأبا محمد عبد الله بن فاطمة وليي أعزهما الله، فجالا في مضمار وساع واضطلاع، بذرع وذراع، ...، وثرنا كما ثار الشهم بفرصته، وطار السهم لفوضته، وأمرت رجالا بلزوم المحلة، فسدوا فرج أبوابها...، وعبأنا الجيش يمينه ويسراه، وصدرة ولهاه، وساقته وأولاه، ونهضنا بجملتنا من محلتنا، والصبر يفرغ علينا لامة، والنصر يبلغ إلينا

١ (عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق١، ص٦٢؛ السامرائي، علاقات المرابطين، ص٢١١؛ مكى، وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، ص١٥٤.
٢ (ابن القطان، نظم النجمان، ص٦٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٤/٤٩ - ٥٠.
٣ (الأنيس المطرب، ص١٦٠.

سلامه ، وتوجهنا إلى الله نقتفي سبيله^(١).

وفي فجر يوم الجمعة الموافق ١٦ شوال من سنة ٥٠١هـ/ ٢٩ مايس ١١٠٧م بدت طائع المعركة^(٢) ، وأخذت الجيوش المرابطية بالتقدم ، ووقعت المواجهة بين المسلمين والنصارى ، كانت في بدايتها ضد قوات قرطبة- حسب رسالة تميم إلى علي بن يوسف فارتدت إلى الورا ، ومن ثم تقدمت قوات مرسية وبلنسية ، وتمكن الأمير تميم من التوغل بقواته إلى قلب المعركة ، ودارت معركة عنيفة بين الطرفين^(٣) ، وأثناء شدتها رمى الأمير الاسباني سانشو نفسه في قلب المعركة في ثمانية من النصارى ، إلا أنه سرعان ما تراجع معهم إلى حصن بلشون ، وكان فيه لهم رعية من المسلمين ، فاخترأوا عندهم متأملاً أن ينجو هو ورفاقه من القتل ، فلحق بهم المسلمون وقتلوه^(٤).

وعلى إثر ذلك انهارت معنويات الجيش الاسباني ، وكثر القتل بهم ، ولجأ الكثير منهم إلى الفرار ، وسقط معظم القادة والكونتات قتلى ، كما ارتد البرهانس مع من بقي من الأسبان إلى مدينة طليطلة^(٥).

وقدر ابن أبي زرع خسائر الجيش الاسباني بثلاثة وعشرين ألفاً ونيف ، وهو رقم مبالغ فيه بقوله: ((... ، فالتقوا فكانت بينهم حروب

١ (عصر المرابطين والموحدين ، ق١ ، ص ٥٣٦ .

٢ (أشباح ، تاريخ الأندلس ، ١/١٢٢ - ١٢٤ : الحجي ، التاريخ الأندلسي ، ص ٤٢٥ .

٣ (عنان ، عصر المرابطين والموحدين ، ق١ ، ص ٥٣٧ .

٤ (ابن القطان ، نظم الجمان ، ص ٦٦ .

٥ (عنان ، عصر المرابطين والموحدين ، ق١ ، ص ٦٥ .

عظيمة لم يسمع مثلها ، فهزم الله تعالا العدو ونصر المسلمين ، وقتل ولد القونسو السادس وقتل معه من الروم ثلاثة وعشرون ألفاً ونيف ، ودخل المسلمون أقليمج بالسيف ، واستشهد فيها جماعة من المسلمين رحمهم الله ، (...))^(١).

أما الرواية النصرانية فقد قدرت خسائر النصارى بعشرين ألفاً^(٢) ، ويبدو أن هذا الرقم مبالغ فيه أيضاً ، فقد أشار الأمير تميم في رسالته إلى أن المسلمين عقب الموقعة جمعوا رؤوس القتلى من النصارى فبلغ ما جمع منها أكثر من ثلاثة آلاف رأس ميزت منها رؤوس غرسيه اردونيت والكونت دي قبرة وقواد طليطلة ، واستولى المرابطون على مقادير كبيرة من الأسلاب والغنائم^(٣).

ويبدو أن خسائر المسلمين كانت أقل من ذلك بكثير ، وكان ممن استشهد في المعركة الإمام الجزولي وجماعة من الأعيان والعربان ، وقد أشار إلى ذلك ابن القطان بقوله: ((... ، ودخلت أقليمش وحصلت في أيدي المسلمين ، واستشهد في هذه الوقعة الإمام الجزولي وكان رجل صدق ، وجماعة من الأعيان والعربان رحمهم الله تعالى ، (...))^(٤).

ويرى السامرائي أن المقصود بالعربان هنا هم أعراب بني

١ (الأنييس المطرب، ص ١٦٠ .

٢ (عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق١، ص ٦٥ .

٣ (ينظر ما جاء في رسالة الأمير تميم عن خسائر النصارى : عنان، عصر

المرابطين والموحدين، ق١، ص ٥٣٨ .

٤ (نظم الجمان، ص ٦٦ .

هلال^(١) ، إذ أبلوا بلاءً عظيماً في هذه المعركة^(٢) ، وبعد هذه المعركة عاد الأمير تميم إلى غرناطة مكللاً بالظفر ، وكتب إلى أخيه أمير المسلمين يخبره بالفتح^(٣) .

اختلفت المصادر الأولية عن المراجع الحديثة حول مصير الفونسو السادس بعد مقتل ابنه سانشو(شأنجه) ، فالمصادر الأولية ذكرت أن الفونسو السادس مات كمدماً بعد مدة وجيزة من مقتل ابنه ، فابن الكردبوس وابن عذارى ذكرا أن الفونسو مات بعد ثلاثة شهور من مصرع ولده أي في شهر ذي الحجة من سنة ١١٠٧هـ/ ١١٠٧م أو مستهل سنة ١١٠٨هـ/ ١١٠٨م ، إذ أشار الأول بقوله: ((... ، فأسف على قتل ولده ، وقال أنى عيش يطيب لي من بعده ، فأقام ثلاثة شهور ، في غير عافية ولا سرور ، ومات لعنه الله ، فحمل على أعناق الرجال إلى قشتالة ، فدفن مع آباءه ، وأراح الله المسلمين من دائه))^(٤) .

أما الثاني فقد تحدث عن ذلك بقوله: ((... فكانت بينه وبين جيوش المسلمين حروب يطول ذكرها كانت الدائرة فيها على الروم مات فيها شأنجه بن الفنش أخزاهما الله... ، وكانت الوقعة على الروم

١ (قبيلة عربية يرجع نسبها إلى بني هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر ، هاجر قسم منهم إلى إفريقية ، ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص ٢٧٣ - ٢٧٥ ؛ القلقشندي ، قلائد الجمان ، ص ١١٧ - ١١٩ .

٢ (علاقات المرابطين ، ص ٢١٢ ، ٣٠٩ - ٣١٠ .

٣ (عنان ، عصر المرابطين والموحدين ، ق ١ ، ص ٦٦ .

٤ (تاريخ الأندلس ، ص ١١٥ .

وموت شانهج المذكور... ، وفي آخر هذا العام مات أذفونش لعنه الله تعالى^(١).

في حين ذهب ابن أبي زرع إلى أن الفونسو السادس مات بعشرين يوماً من المعركة بقوله: ((... ، فاغتم لقتل ولده ودخول بلده وهلاك عسكره ، فمرض بالفقعة ومات لعشرين يوماً من الكائنة))^(٢).

أما المراجع الحديثة والتي تمثلها الروايات النصرانية ، فتذهب عكس ذلك ، فقد بينت أن الفونسو السادس أراد أن ينتقم لمصرع ولده بعد المعركة ، فسار إلى قرطبة وحاصرها ، وفيها أمير المسلمين ، وأثناء الحصار أسر جنده جماعة من المسلمين ، وكان رئيسهم عبد الله ، وهو من أشرف قرطبة ، هو الذي قتل ابن هو الذي قتل ابن عبد عباد حمو الملك الفونسو ، ووالد زوجته ماريا ، التي كانت تسمى زائدة ، وأنه أمر بتقطيع أشلاء عبد الله هذا وحرقتها ، وأحرق معه عدداً من الأشراف المسلمين ، وأنه أخيراً استطاع أن يرغم علياً أمير المؤمنين على طلب الصلح ، وأداء ضريبة فادحة لقتالة^(٣).

عدت وقعة أقليش من المعارك المهمة في التاريخ الأندلسي ، إذ أعادت بروعتها انتصار المرابطين الساحق فيها ذكريات معركة الزلاقة^(٤) ، أما على الجانب النصراني ، فقد اضطر ملك قشتالة

١ (البيان المغرب، ٤/ ٥٠.

٢ (الأنيس المطرب، ص ١٦٠.

٣ (عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق١، ص ٦٧؛ السامرائي، علاقات المرابطين، ص ٢١٣.

٤ (الحجي، التاريخ الأندلسي، ص ٣٥٢؛ عنان، دول الطوائف، ص ٣٨٧؛ =

الفونسو السادس بعد مقتل ابنه الوحيد أن يوصي إلى ابنته دويونا اوراكا بتولي عرش مملكة قشتالة وليون Leon وأشتوريس Asturias ، واستمرت في الحكم إلى أن توفيت سنة ١١٢٦م / ١١٢٦-٥٢٠) Alfonso Raimudez السابع وخلفها ابنها الفونسو السابع (١١٥٧-١١٢٦م) الملقب بالسليطين^(١).

أما مدينة أقليمش فإنها رجعت مرة أخرى إلى حاضنة الدولة المرابطية ، وترتب عليها أن سقطت في أيديهم عدة من المدن والحصون المجاورة لها^(٢) ، مثل وبذة وقونقة كما تمكنوا المرابطون من استعادة شنتبرية والتوجه بعدها إلى سرقسطة قاعدة الثغر الأعلى ، وبذلك تم لهم فتح شرقي الأندلس والثغر الأعلى ، وانتهت إمارات الطوائف كلها في تلك الأنحاء^(٣).

ويبدو أن موقعة أقليمش أصابت القشتاليين بصدمة كبيرة لم يجرأوا بعدها على مهاجمة المدينة على الرغم من قربها من عاصمتهم مدينة طليطلة ، فيما توجه اهتمامهم مع حلفاءهم النصارى إلى تصفية مناطق الثغر الأعلى من الوجود الإسلامي فتمكنوا من الاستيلاء على سرقسطة سنة ١١١٨م / ١١١٨-٥١٢^(٤) ، ثم استولوا على طرطوشة Tortosa ولاردة Lerida وأفراغة Fraga

=الغنيمي، كيف ضاع الإسلام من الأندلس، ص ٣٠٣.

١ (ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ١١٥ ؛ طه، دراسات أندلسية، ص ١٨٢.

٢ (عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق ١، ص ٦٦.

٣ (عنان، دول الطوائف، ص ٣٦٨.

٤ (ينظر عن سقوط سرقسطة: ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ١٦٣.١٦٢؛

والمرية Almeria في سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م^(١) ، وعند ذلك قرروا مهاجمة حصن أقليمش واستولوا عليه في السنة نفسها^(٢) ، ساعدهم في ذلك انهيار سلطة المرابطين في الأندلس وانشغال الموحدين بتكوين دولتهم مما أدى إلى انهيار سلطة المسلمين في منطقة الثغر الأعلى والأوسط وامتداد حدود مملكة قشتالة إلى شمال قرطبة^(٣).

ويبدو أن هجمات المسلمين استمرت فيما بعد على مدينة أقليمش والمناطق القريبة منها في عهد الدولة الموحدية Los Almohades إلا أنها لم تستطع إحداث تغييرات مهمة على الأرض وبقيت مجرد هجمات ربما قصد منها استعراض للقوة ، إذ قام الخليفة الموحد أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨-٥٨٠هـ/١١٦٢-١١٨٤م) بمهاجمة مدينة أقليمش سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م وتمكن من الدخول إليها ، وقد أشار ابن أبي زرع إلى ذلك بقوله: ((وفي هذه السنة فتح المسلمون مدينة شنتفيلة^(٤) ومدينة أقليمش وقتل من بها من الروم وسببت نساءهم وأموالهم^(٥))). وفي عهد الخليفة الموحد المنصور (٥٨٠-٥٩٥هـ / ١١٨٤-١١٩٨م)

١) ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٣٦٥ ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ٤٦/٢ ؛ ابن خلدون، العبر، ٤/٢١٠ ؛ عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص ١١٤، ١٢٠ ؛ العلياوي، الحملات الصليبية على الأندلس، ص ١٣٣-١٣٤ ؛ العميرة، مراحل سقوط الثغور الأندلسية، ص ٢١١-٢١٤.

٢) ابن الخطيب، الإحاطة، ٧٣/٢.

٣) دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص ١٢٢-١١٥.

٤) وهي مدينة أندلسية لها حصن وقلعة على مقربة من إشبيلية، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٧٣/٢.

٥) الأنيس المطرب، ص ٢٦٨.

أيضاً هاجمت قواته مملكة قشتالة التي كان يحكمها آنذاك الفونسو الثامن Alfonso VIII (٥٥٣-٦١١هـ / ١١٥٨-١٢١٤م) وتمكنت هذه القوات من الاستيلاء على عدد من المدن ومنها مدينة أقليم سنة ٥٩٢هـ/١١٩٥م ، وعلق ابن أبي زرع على ذلك بقوله: ((ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وخمسمئة ، فيها خرج أمير المؤمنين إلى غزوته الثالثة ففتح قلعة رباح ووادي الحجارة ومجريط وجبل سليمان واقلج وكثيراً من أحواز طليطلة ، ونزل على طليطلة وبها الفونسو فحاصره بها وضيق عليه وقطع ثمارها وحرق أرباضها ، وهتكها ونصب عليها المجانيق ، ثم ارتحل عنها ، ... ، فدخل إشبيلية في غرة صفر من سنة ثلاث وتسعين وخمسمئة ، ...))^(١) .

وقد حددت الرواية النصرانية تاريخ هذه الحملة سنة ٥٩٣هـ/ ١١٩٦م كما أشارت إلى تفاصيل أخرى مختلفة بعض الشيء بالقول: إن الخلافة الموحدية أرادت استعراض قوتها أمام النصارى ، فنظم الموحدون مظاهرة عسكرية ضخمة في ظاهر وادي الحجارة ، شارك فيها الجيش الموحدى بمختلف طوائفه وحشوده ، إظهاراً لقوتهم وإرهاباً للعدو المتمثل بمملكة قشتالة ، وبعث الخليفة المنصور من محلته بتفاصيل الغزوة إلى مختلف الجهات ، ثم أمر بالحركة ، وسار بطريق مدينة وبذة ، وهنا اتجه المنصور ، وفقاً للرواية النصرانية شرقاً نحو قونقة وحاصرها ، ثم ارتد نحو أقليم وسار منها جنوباً نحو

(١) الأنييس المطرب، ص ٢٢٩.

الكرس^(١) وبياسة Baeza ، ووصل إلى قرطبة في أواخر رمضان سنة ٥٩٣ هـ / ١١٩٦ م ، ثم غادرها في الحال إلى إشبيلية ، فوصلها في يوم عيد الفطر سنة ٥٩٤ هـ / ١١٩٧ م ، وذلك بعد أن أنفق في غزوته هذه لأراضي قشتالة أربعة أشهر^(٢) .

ثالثاً: الحياة الفكرية

إن من أهم دواعي الفتح الإسلامي عامة هي نشر الإسلام ، وكان موسى بن نصير على كبر سنه مجاهداً في سبيل الله فقد وصف أنه (كان عاقلاً شجاعاً كريماً تقياً لله تعالى ، ولم يهزم له قط جيش)^(٣) ، والأندلس كما يقول الحميري آنذاك (دار جهاد وموطن رباط)^(٤) وقد اصطحب معه العديد من العلماء والفقهاء للدعوة والجهاد منهم حنش بن عبد الله الصنعاني^(٥) وعلي بن رباح^(٦) اللخمي وغيرهم ، وقد

(١) مدينة أندلسية تعد من أعمال مدينة جيان، وقد اشتهرت بحصنها، ينظر:

الحميري، صفة، ص ١٦٦ - ١٦٧ .

(٢) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق ٢، ص ٢٢٩ - ٢٣٠ .

(٣) المقري، نضح الطيب، ١/ ٢٤٠ .

(٤) الروض المعطار، ص ٣٣ .

(٥) هو حنش بن عبد الله بن عمرو بن حنظلة بن نهد بن قنان بن ثعلبة بن عبد الله ابن ثامر السبائي الصنعاني، يكنى أبا رشدين، كان مع علي بن أبي طالب (ع) بالكوفة، وقدم مصر بعد قتل علي (ع)، وغزا المغرب مع رويغ بن ثابت، وغزا الأندلس مع موسى بن نصير، وتوفي سنة ١٠٠ هـ / ٧١٨ م، ينظر: ابن يونس، تاريخ ابن يونس، ٢/ ٦٦ - ٦٩؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص ٢٠١ - ٢٠٣ .

(٦) هو علي بن رباح اللخمي أحد التابعين شهد اليرموك ثم ذات الصواري مع عبد الله بن أبي سرح ودخل الأندلس مع موسى بن نصير، وتوفي سنة =

حرصوا على بناء المساجد في الأماكن التي يَمروا بها ، فموسى عندما نزل الأندلس عمل أولاً على بناء مسجد عرف بمسجد الرايات^(١) ، وعندما افتتح المسلمون سرقسطة ومدائنها أسس حنش الصنعاني العديد من المساجد منها مسجد سرقسطة^(٢) ، وكان أهم ما يميز مسجد مدينة أقليمش هو دعائم السقف حتى وصف بأنه من عجائب الأندلس ، قال المقري: ((ومن عجائب الأندلس البلاط الأوسط من مسجد جامع أقليمش ، فإن طول كل جائزة منه مائة شبر وأحد عشر شبراً ، وهي مربعة منحوتة مستوية الأطراف))^(٣)

كما كان المسلمون عند دخولهم أي منطقة يدعون أهلها إلى الإسلام أو البقاء على دينهم ودفع الجزية وخيار الحرب آخرًا ، كما أن المسلمين لم يتعرضوا للكنايس ودور العبادة ، وقد ورد ذلك في معظم معاهدات الصلح ، فمثلاً جاء في معاهدة الصلح لأهل تدمير (بسم الله الرحمن الرحيم ، كتاب من عبد العزيز بن موسى بن نصير لتدمير بن غندرس أنه نزل على الصلح وأن له عهد الله وذمته وذمة نبيه صلى الله عليه وسلم ألا يقدم له ولا لأحد من أصحابه ولا يؤخر ولا ينزع من ملكه ، وإنهم لا يقتلون ولا يسبون

١١٤هـ/٧٣٢م، ينظر: ابن يونس، تاريخ ابن يونس، ١/٣٦٠ - ٣٦١؛ ابن

الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ٢٤٨ - ٢٥١.

١ (الحميري، الروض المعطار، ص ٢٢٣؛ الحجري، التاريخ الأندلسي، ص ١٤٦.

٢ (ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ١٥١؛ الحميري، الروض المعطار،

ص ٢٣، ٣١٧.

٣ (نفع الطيب، ١/١٥٨.

ولا يفرق بينهم وبين أولادهم ولا نسائهم ولا يكرهوا على دينهم ولا تحرق كنائسهم^(١).

خضعت مدينة أقليمش لحكم المسلمين أكثر من أربعة قرون ، وقد استوطنها العديد من القبائل البربرية وبعض القبائل العربية ، وطيلة تلك المدة طُبعت المدينة بالطابع العربي الإسلامي ، فظهر فيها العديد من رجال الفكر في مختلف حقول المعرفة ، وما ساعد على ذلك إنها بقيت مدة قبل سقوطها تمثل ثغراً للمسلمين ، فكان يرتادها العديد من العلماء بقصد المرابطة فيها للجهاد ، فكان منهم القراء والحدثين والفقهاء واللغويين والأدباء ، نذكر منهم:

١- إبراهيم بن ثابت بن أخطل ، يكنى أبا إسحاق ، من أهل أقليمش ، اشتهر بالقراءات ، أخذ القراءة عرضاً عن أبي الحسن طاهر بن غلبون^(٢) ، وسمع من عبد الرحمن بن عمر بن النحاس^(٣) ، له رحلة دخل مصر فيها بعد سنة ٣٩٠هـ/ ٩٩٩م ،

١ (الحميري، الروض المعطار، ص١٣٢ .

٢ (طاهر بن عبد المنعم بن عبيد بن غلبون، أبو الحسن الحلبي المقرئ، أحد الحذاق المحققين، ومصنف التذكرة في القراءات، أخذ القراءات عن والده، وبرع في الفن، وقرأ على محمد بن يوسف بن نهار، وعلى ابن محمد بن خشنام المالكي بالبصرة، وكان من كبار المقرئين في عصره بالديار المصرية، سكن مصر وتوفي بها سنة ٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م، الذهبي، معرفة القراء الكبار، ص٢٠٧ .

٣ (هو أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد بن إسحاق بن إبراهيم بن النحاس، محدث من أهل مصر، توفي سنة ٤١٥هـ/ ١٠٢٤م، عبد الغني البغدادي، التقييد، ص٣٣٨ .

واستوطنها وأقرأ الناس بها وتوفي سنة ٤٣٢هـ/١٠٤٠م^(١).

٢- إبراهيم بن محمد بن سليمان بن فتحون، يكنى أبا إسحاق، من أهل أقليمش وقاضيها، رحل إلى المشرق وحج وسمع بمكة ومصر، وعني بالحديث ونقله وروايته وجمعه، وكان خطيباً محسناً واستقضى بأقليمش بلده، ثم ألقى عنه، ثم دعي بعد ذلك إلى أحكام وبذة فأبى، وعزم عليه في ذلك وجاءه أهل وبذة وياتوا ليلتهم بأقليمش، كان حياً سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م^(٢).

٣- أحمد بن قاسم بن عيسى، أبو العباس المقرئ، يعرف بأبي العباس الاقليمشى، نسبة إلى أقليمش بلدة من أعمال طليطلة، له رحلة دخل فيها بغداد وغيرها، وهو ثقة فاضل، وكتبت عنه منشوراً كثيراً، كان معاصراً للحميدي (ت ٤٨٨هـ/١٠٩٥م) وكتب عنه^(٣).

- أحمد بن معد بن عيسى بن وكيل التجيبي أصله من أقليمش وسكن دانية، اشتهر بعلوم العربية والآداب، له رحلة إلى المشرق وجاور مكة ثم رجع وحدث بالأندلس، كان عالماً زاهداً له العديد من المصنفات منها: كتاب الكواكب وكتاب النجم من كلام سيد العرب والعجم وكتاب الغرر وكتاب الأولياء، توفي في حدود سنة ٥٥٠هـ/١١٥٥م^(٤).

١ (ابن بشكوال، الصلة، ص ٩٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٦٣/٢٩؛ معرفة القراء الكبار، ص ٢١٩.

٢ (ابن بشكوال، الصلة، ص ٩٩.

٣ (جذوة المقتبس، ص ١٤٢؛ الضبي، بغية الملتبس، ص ٢٠١؛ ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ٩٧/١.

٤ (ابن الأبار، التكملة، ٥٧/١؛ القفطي، أنباه الرواة، ١/١٧١ - ١٧٢؛ الذهبي، =

٤- بهلول بن فتح من أهل أقليمش كان رجلاً صالحاً له رحلة الحج ثم رجع ، روى عن نفسه أنه رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((فكنت أقول لرجل من جيراني بإقليمش يا أبا فلان انطلق بنا نُصَلِّ مع النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقول لي لست أجد إلى ذلك سبيلاً فكنت أتوجه وأصلي مع النَّاسِ وَالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أماناً فلما سلم من الصلاة رجع إليّ وقال لي من أي أنت قلت له من الأندلس فكان يقول لي من لي موضع فكنت أقول من مدينة إقليمش فيقول لي أتعرف أبا إسحاق البواني فكنت أقول هو جاري وكيف لا أعرفه فيقول لي آقرأه مني السَّلام))^(١)

٥- حلاله بن الحسن الفهري يكنى ابن الحسن ويعرف بابن المديوني ، أصله من بعض قرى أقليمش ، وتجوّل ببلاد الثغر وسكن سرقسطة وقونكة وغيرهما وكتب لبعض الولاة ثم سكن غرناطة وعلم فيها بالنحو والأدب وكانت له معرفة بذلك ، وألف كتاباً في العروض سمّاه تلخيص الفصول وتلخيص الأصول في علم العروض ووزن القريض ، قال ابن الأبار: وله رسائل تدل على مكانته من الأدب^(٢)

٦- خلف بن مسعود بن أبي سرور ، يكنى أبا القاسم ، محدث من أهل أقليمش ، روى بقرطبة عن شيوخها ، حدث عنه

=تاريخ الإسلام، ٣٨٩/٢٧؛ المقري، نضح الطيب، ٥٩٨/٢ - ٥٩٩.

١) ابن الأبار، التكملة، ١٨٤/١ - ١٨٥؛ المقري، نضح الطيب، ٥٠٤/٢.

٢) التكملة، ٣٣٤/١؛ السيوطي، بغية الوعاة، ٥٤٦/١.

القاضي محمد بن خلف بن السقاط^{(١)(٢)}.

٧- خلف بن مسلمة بن عبد الغفور ، يكنى أبا القاسم ، محدث وفقه من أهل أقليمش وقاضيهما ، وجمع كتاباً سماه بالاستغناء في الفقه^(٣).

٨- عبد الرحمن بن خلف بن سَدْمُون التَّجِيبِيّ ، يكنى أبا المطرف ، من أهل أقليمش ، محدث روى عن أبي عثمان سعيد بن سالم المجريطي^(٤) ، واستجازَ وهب بن عيسى^(٥) ، ورحل حاجاً سنة تسع وأربعين وثلاث مائة ، فسمع بمكة ومصر ، كان حياً في منتصف القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي^(٦).

٩- عبد الله الجباني يكنى أبا محمد ويعرف بالشبوعي ، سكن أقليمش وأقرأ بها العربية واللغة ، وكانت له رواية في الآداب

(١) هو أبو عبد الله محمد بن خلف المعروف بابن السقاط، من أهل قرطبة رحل إلى المشرق وسمع من أبي ذر الهروي صحيح البخاري، كما سمع من آخرين ورجع إلى الأندلس وتولى قضاء قرطبة ثم قضاء بلده قونكة وتوفي سنة ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م، ابن بشكوال، الصلة، ص٤٣٧ - ٤٣٨.

(٢) ابن بشكوال، الصلة، ص١٦٥.

(٣) ابن بشكوال، الصلة، ص١٦٥.

(٤) سعيد بن سالم يكنى أبا عثمان، من أهل مجريط، محدث روى عن وهب بن عيسى ووهب بن مسرة وغيرهما وتوفي سنة ٣٧٠هـ / ٩٨٠م، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص١٤٧ - ١٤٨.

(٥) هو أبو سليمان وهب بن عيسى الأنصاري من أهل طليطلة، ويعرف بابن اشبانتقة سمع من محمد بن وضاح، ومن سعيد بن عثمان الأعناقى، وجماعة سواهم، وكان رجلاً صالحاً، توفي سنة ٣٣٧هـ / ٩٤٨م، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٤٢٠.

(٦) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٢١٩؛ المقري، نفع الطيب، ٢/٦٣٣.

والغريب ، وتوفي في حدود ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م^(١).

١٠- عبد الله بن يحيى التجيبي ، يكنى أبا محمد ويعرف بابن الوحشي ، من أهل أقليمش ، اشتهر بالقراءات ، أخذ بطليظة عن أبي عبد الله المغامي المقرئ^(٢) القراءات وغيره ، وكان من أهل المعرفة والنبيل والذكاء ، وله كتاب في شرح الشهاب ، واختصر كتاب مشكل القرآن لابن فورك إلى غير ذلك ، وتولى أحكام بلده أقليمش في آخر عمره وأقام به مدة يسيرة وتوفي به ٥٠٢هـ / ١١٠٨م^(٣).

١١- محمد بن مفرج بن غفار بن أبي الغفار ، أصله من سرقسطة ، وسكن وشقة وصار إلى أقليمش ، وكان متفنناً في العلوم ، نسابة ، شاعراً ، توفي سنة ٣٣٨هـ / ٩٤٩م^(٤).

١٢- هشام بن سليمان المقرئ الأقليمشي ، يكنى أبا الربيع ، من أهل أقليمش ، له كتاب في اختلاف ورش وقالون وإسماعيل بن جعفر عن نافع بن أبي نعيم ، حدث عنه أبو عبد الله بن نبات ، وقال: أجزت له جميع رواياتي وأجاز لي جميع رواياته^(٥).

١ (ابن الأبار، التكملة، ٢/٢٤٣.

٢ (هو أبو عبد الله محمد بن عيسى بن فرج بن أبي العباس التجيبي الطليطلي المغامي المقرئ كان عالماً بالقراءات توفي بإشبيلية سنة ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م، ابن بشكوال، الصلاة، ص ٣٧؛ الضبي، بغية الملتمس، ص ١٠٥.

٣ (ابن بشكوال، الصلاة، ص ٢٨١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٦١/٣٥؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، ٢/١٠٦٧.

٤ (ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٣٣٨.

٥ (الضبي، بغية الملتمس، ص ٤٨٦.

مدينة ظلمنكة Talamac الأندلسية

٩٣ - ٥٤٧٨ هـ / ٧١١ - ١٠٨٥ م

أولاً: الجغرافية التاريخية لمدينة طلمنكة Talamaca

عرفت مدينة طلمنكة منذ القدم باسم سالاماتيكا^(١)، واسماها العرب المسلمون طلمنكة Talamaca^(٢)، وضبطها ياقوت قائلاً: ((طلمنكة بفتح أوله وثانيه، وبعد الميم نون ساكنة، وكاف))^(٣)، وجاءت في نسخ أخرى للزهري بلفظ قلمنكة وكلنكة^(٤)، كما ذكرها كلٌّ من البكري والإدرسي بلفظ شلمنقة Salamanca^(٥)، وذكرها العذري بلفظ شَلَمَنْتَقَه^(٦) (Salamantica) فيما ذكرها المراكشي بلفظ شلمنكة^(٧)، أما الأسبان فيلفظونها سلمنكة

١ (أرسلان، التحلل السندسية، ٥٢/٢).

٢ (ينظر: ابن حيان، المقتبس (للحقبه ٢٣٢ - ٢٦٧هـ/ ٨٤٦ - ٨٨٠م) ص ١٣٢؛ القاضي عياض، ترتيب المدارك، ٣٢/٨؛ ابن بشكوال، الصلة، ص ٤٩؛ الزهري، كتاب الجغرافية، ص ١٠٤٥؛ ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص ١٥٠؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٩١؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ٧/٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٥٢/٢٩؛ مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٩٧؛ المقري، نفع الطيب، ١٦٥/١).

٣ (الأندلس من معجم البلدان، ص ١٩١ - ١٩٢).

٤ (كتاب الجغرافية، ص ١٠٤ هامش (١٤)).

٥ (المسالك والممالك، ٣٨١ / ٢؛ نزهة المشتاق، ٧٣١/٢، ٧٣٢، ٧٣٣).

٦ (ترصيع الأخبار، ص ٧٤، ٧٩، ٨٠).

٧ (المعجب، ص ٢٦٦).

(سلمنكا) بالسين Salamanca^(١) ، وقيل شلمنكة^(٢) وقيل سلمنكة^(٣) ، ومعظم هذه الألفاظ متقاربة في الرسم والصوت ، ولعل الاختلاف كان بسبب النقل أو التصحيف.

تقع مدينة طلمنكة في الثغر الأوسط الأندلسي^(٤) ، وعلى الضفة اليمنى لنهر تومرس أحد أفرع نهر دويرة Rio El Duero^(٥) ، وتبلغ مساحتها ٣٢١ ، ١٢ كيلو متراً مربعاً^(٦) ، وتعد من أعمال مدينة وادي الحجارة Guadalajara^(٧) (مدينة الفرج)^(٨) ، وقد أشار إلى ذلك مؤلف مجهول بقوله: ((ومدينة الفرج بين الشرق والجنوب من قرطبة^(٩) ، ... ، وبها مدن وحصون كثيرة منها مدينة مجريط^(١٠)

-
- ١ (أرسلان، الحلل السندسية، ٥١/٢ ؛ العبادي، مقدمة تاريخ الأندلس لابن الكردبوس، ص٢٨.
 - ٢ (عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص٣٥٧.
 - ٣ (لودر، أسبانيا شعبها وأرضها، ص١٥٢.
 - ٤ (ينظر عن مدن الثغر الأوسط : البكري، المسالك والممالك، ٣٨١/٢ ؛ الحميري، صفة، ص١٢٨.
 - ٥ (عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص٣٥٧.
 - ٦ (أرسلان، الحلل السندسية، ٣٢٠/٢.
 - ٧ (وهي مدينة أندلسية تعرف أيضاً بمدينة الفرج، بينها وبين طليطلة خمسة وستون ميلاً، وتقع إلى الشمال والشرق من قرطبة، ولها أسوار حصينة، ينظر: الحميري، صفة، ١٩٣؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٤٨٢/١.
 - ٨ (ابن سعيد، المغرب، ٤٢/٢.
 - ٩ (قاعدة الأندلس وأمّ المدن الأندلسية وعاصمتها لحقبة طويلة، وكانت تجبى إليها خيرات كل جهات الأندلس لكونها دار ملكها، ينظر : البكري، المسالك والممالك، ٩٠٠/٢ ؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٧٤/٢ - ٥٨٠ ؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٦ - ٢٧ ؛ الحميري، صفة، ص١٥٣ - ١٥٨.
 - ١٠ (مدينة أندلسية تقع بالقرب من طليطلة بناها الأمير محمد بن عبد=

ومدينة طلمنكة...^(١)، إذ تبعد طلمنكة عن مدينة وادي الحجارة عشرين ميلاً^(٢)، كما تبعد عن مدينة سمورة Zamora^(٣) ستين كيلو متراً^(٤)، كما أن مدينة وادي الحجارة هي نفسها تعد من توابع مدينة طليطلة Toledo^(٥) المهمة^(٦)، إذ أن المسافة بينهما خمسة وستون ميلاً^(٧) وبذلك تكون كلا المدينتين (طلمنكة ووادي الحجارة) من توابع طليطلة^(٨).

-
- =الرحمن الثاني، وفيها قلعة منيعة، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٢/٢ ؛ الحميري، صفة، ص ١٧٩ - ١٨٠ .
- ١ (تاريخ الأندلس، ص ١٠٨ - ١٠٩ .
- ٢ (الحميري، صفة، ص ١٢٨ ؛ والميل يساوي ٢ كم، ينظر: هنتس، المكايل والأوزان الإسلامية، ص ٩٨ .
- ٣ (يطلق عليها سمورة أو زمورة، وهي مدينة أندلسية تعد دار مملكة الجلائقة، وتقع على ضفة نهر كبير، بينها وبين البحر ستون ميلاً، ينظر: الحميري، صفة، ٩٨ - ٩٩ .
- ٤ (أرسلان، التحلل السندسية، ٥٥/٢ .
- ٥ (طليطلة، قال الحميري : " هي مركز لجميع بلاد الأندلس لأن منها إلى قرطبة تسع مراحل، ومنها إلى بلنسية تسع مراحل أيضاً، ومنها إلى المريّة في البحر الشامي تسع مراحل أيضاً. وطيطة عظيمة القطر كثيرة البشر، وهي كانت دار الملك بالأندلس حين دخلها طارق " صفة، ص ١٣٠ - ١٣٥ ؛ ينظر أيضاً : ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٩٣ - ١٩٦ .
- ٦ (المقري، نصح الطيب، ١/١٦٥ .
- ٧ (الحميري، صفة، ص ١٩٣ .
- ٨ (المقري، نصح الطيب، ١/١٦٥ ؛ ينظر أيضاً : أرسلان، التحلل السندسية، ٢٠٥/١ .

ويبدو أن لوقوع ظلمنكة بين جبال طليطلة من الجنوب ونهر دويرة من الشمال^(١) جعلها ترتبط بمعظم طرق منطقة الثغر الأوسط الأندلسي ، وقد تحدث الإدريسي عن شبكة الطرق التي تربط ظلمنكة بما جاورها منها الطريق الذي يربط شمال شرق الأندلس بغيرها وقال عنه: إن المسافة بين سرقسطة Sarogosa^(٢) وظلمنكة عشر مراحل^(٣) ومنها يتجه غرباً نحو البحر المحيط (البحر الأطلسي) ، ثم الطريق الذي يتجه من طليطلة شمالاً حتى ظلمنكة والذي يمر بمدينة أبلة Avila^(٤) ، ويبدو أن هذه الطرق اكتسبت أهميتها من موقعها الذي يصلها بقواعد الممالك النصرانية مثل قاعدة مملكة ليون Leon وشنّت ياقب Santiago de Compostela^(٥) المدينة

١ (ينظر الخارطة آخر البحث.

٢ (وهي من مدن الأندلس الحصينة، تقع إلى الشمال الشرقي من قرطبة، وتسمى المدينة البيضاء لكثرة جصها وجيارها، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٨ - ١٩ ؛ الحميري، صفة، ص ٩٦ - ٩٧ .

٣ (نزهة المشتاق، ٧٣٣/٢ ؛ والمرحلة تعادل ٣٧ كيلو متر ونصف في حالة السير الاعتيادي، و٤٦ كيلو متر في حالة السير السريع، ينظر: كراتشوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ٩٧٣/٢ .

٤ (نزهة المشتاق، ٧٣٢/٢ ؛ وذكر الإدريسي أبله بقوله : هي من مدن بلاد البرتقال، وهي قرى مجتمعة وأهلها يركبون الخيل ولهم نجدة، نزهة المشتاق، ٧٣٢/٢ - ٧٣٣ .

٥ (قال الإدريسي عن شنّت ياقوب : (كنيسة شنّت ياقوب... مشهورة مقصود نحوها محجوج إليها، والروم يأتونها من جميع الأقطار يحجون إليها، وليس بعد كنيسة بيت المقدس كنيسة أعظم منها، وهي تضاهي كنيسة قمامة في حسن البناء وسعة الفناء وكثرة الأموال والصدقات، وفيها من صلبان الذهب والفضة المرصعة بأنواع أحجار الياقوت الملونة والزبرجد وسائر=

الروحية للنصارى الأسبان والتي تأتي بالمرتبة الثانية بعد بيت المقدس ويحج إليها النصارى آنذاك^(١).

وتذكر المصادر بأن مدينة طلمنكة مدينة محدثة بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني (٢٣٨-٢٧٣هـ / ٨٥٢-٨٨٦م)^(٢) ، وهذه اللفظة تدل على أن الذي أنشأها هم المسلمون ، أما التي كانت موجودة قبل الإسلام فتعرف بالقديمة أو الأزلية.

وتعد طلمنكة من المدن الحصينة في منطقة الثغر الأوسط ، وقد أشار مؤلف مجهول إلى ذلك بقوله: ((... ، طلمنكة ، وهي مدينة متوسطة حصينة (منيعه) لا ترام ، وهي داخلة في نحر العدو))^(٣) ، إذ أنها تقع على أحد ممرات جبال البرت Pirineos المسمى ببرت ياقه^(٤) ، وقد أشار إلى ذلك الزهري بقوله: ((... ، وفي هذا الموضع

= ذلك ما يشف عدده على ثلاث مائة صليب مصوغ بين كبير وصغير، وفيها من الإقونات المصوغة من الذهب والفضة نحو مائتي إقونة، ويخدمها مائة قسيس غير ما لهم من الأتباع والخدام، وهذه الكنيسة مبنية بالحجر والجيار إفراغاً، وقد أحاطت بها ديار يسكنها القسيسون والرهبان والدياقينون والشمامسة والداوديون وبها أسواق وبيع وشراء ويحيط بها قريباً منها وبعيداً قرى كبار كالمدين فيها البيع والشراء وفيها من الخلق أعداد لا تحصى (نزهة المشتاق، ٧٢٨/٢.

١ (الإدريسي، نزهة المشتاق، ٧٢٨/٢.

٢ (ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٩٢ ؛ الحميري، صفة، ص ١٢٨ ؛ مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٩٧.

٣ (تاريخ الأندلس، ص ٩٧.

٤ (البرت كلمة لاتينية تعني الممر أو الميناء، ويرت ياقه أو جاقه هو أحد الممرات الخمسة التي تربط شمال الأندلس ببلاد الغال، ينظر: الإدريسي، =

البرت المسمى ببرت ياقة بأزاء مدينة برشلونة^(١) ، ومنها يجلب الحديد المسمى بالشلق ، وهو حديد أسود تعمل منه آلة الحرب ، ثم يهبط هذا الجبل على ثغر وادي الحجاره ومدينة طلمنكة ، وإلى الجزيرة المعروفة بجزيرة طليطلة ، وإلى الفج المسمى بالشارات ويعرف هذا الجبل في هذا الموضع بالشارات...))^(٢).

يمر بمدينة طلمنكة مجموعة من الأنهار تسقى منها أراضيها ، لاسيما أنهار الوادي الجوفي ، إذ كان لهذا الوادي أنهر عدة تمده بالمياه من اليمين ومن الشمال ، منها دوراتون Duraton وسيغة Cega وأداجه Adaja وزابارتيال Zapartiel وطورماس Tormes الذي يسقي بسيط طلمنكة ويتصبب إلى الوادي الجوفي على مقربة من البرتغال^(٣) Portugal .

وذكر أرسلان بأن مدينة طلمنكة والمناطق المحيطة بها ، كانت تعد من فيافي بني أسد ، إذ تمكن العرب من توصيل المياه إليها ، وشق الجداول والأنهار واتخذوا عدة وسائل لإرواء أراضيها ، حتى

=نزهة المشتاق، ٢/٧٣٠؛ السامرائي، الثغر الأعلى الأندلسي، ص١١٧ - ١١٨ .
(١) تقع مدينة برشلونة في الشمال الشرقي الأندلسي على البحر المتوسط وقد صنفت ضمن إقليم البرتات (البرت) والذي يضم مدينة طرطوشة وطركونة وبرشلونة، وهو أحد الأقاليم الجغرافية الأربعة التي تتكون منها منطقة الثغر الأعلى، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٢/٧٣٤؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٤٥؛ الحميري، صفة، ص٤٢؛ مجهول، تاريخ الأندلس، ص١٣١ .

(٢) كتاب الجغرافية، ص١٠٤ .

(٣) أرسلان، الحلل السندسية، ١/٣١٩ .

اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، وكانوا إذا عدمو الينابيع المتفجرة التي تلزم لأجل الري ، يبادرون إلى إنشاء البرك والمصانع الهائلة يجمعون إليها المياه السائلة في الشتاء على نمط ما كانوا يصنعون في اليمن^(١) ، وهذا يعني أن سكانها من المسلمين عملوا على تسخير إمكاناتها الطبيعية واستصلاح أراضيها.

أما مناخ مدينة طلمنكة ، فإن هواؤها شديد الاختلاف ، ففي الشتاء يشتد فيه البرد ، وفي الصيف حرّها لا يطاق^(٢) ، أي أنه قاري متطرف.

اشتهرت مدينة طلمنكة بمجموعة من الآثار المهمة ، ولاسيما في مجال البناء والعمران ، إذ عرفت بأثرها القديم ، وبناءها الفخم ودورها المرخمة وأحجارها المخرمة^(٣) ، إذ كانت المدن الأندلسية في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي تقلد في كثير من الأحيان نسق البناء المعروف في بلاد الغال La Gaule ، ويقال له هناك غوثيق Gothique وأصله نسبة إلى القوط ، ولذلك بنيت كنائس عدة في مدن طلمنكة وطركونة Tarragona^(٤) ولاردة

١ (الحلل السندسية، ١/٣٢٠.

٢ (أرسلان، الحلل السندسية، ٥٢/٢.

٣ (أرسلان، الحلل السندسية، ٥٢/٢.

٤ (مدينة تقع في شمال شرق الأندلس على البحر المتوسط، وهي تتوسط مدينتي برشلونة وطرطوشة، والمسافة بينها وبين كلا المدينتين خمسين ميلاً، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٣٨/٢، ٥٥٥ ؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٤٥؛ الحميري، صفة، ص٤٢، ١٢٤، ١٢٥ - ١٢٦.

Lerida^(١) وتطيلة Tudela^(٢) وأبله وشقوبية Segovia^(٣) على هذا النسق الذي تميز بالضخامة والمتانة وفاقته غيرها من المدن الأخرى^(٤). كما أدخل على مدينة طلمنكة حلة البناء بالصنعة الإيطالية بعد عصر التجديد Renaissance ، حيث رغبوا في زيادة التزيين والترويق والترصيع والنقوش ، وسمي هذا الطراز من البناء بطراز الصياغة ، وكان البنائون الإيطاليون يطوفون في المدن الإسبانية وبينون القصور لأمرائها ، وكانت مدينة طلمنكة من المدن الشهيرة بهذا الطراز الجديد من البناء ذات الأديار والكنائس والمدارس^(٥). ومن المؤثرات التي وجدت في طلمنكة وبعض المدن الأندلسية الأخرى هو فن التصوير الإفرنجي ، إذ وجدت آثار في طلمنكة وبنبلونة Pamplona^(٦) وتطيلة ، وهذا يدل على مدى التطور الفني

-
- (١) وهي مدينة أندلسية قديمة تقع في الثغر الأعلى الأندلسي الشرقي، وتشتهر بكثرة الكتان، ينظر: الحميري، صفة، ص ١٦٨.
- (٢) مدينة أندلسية تتصل بأحواز مدينة وشقة، بينها وبين طرسونة اثنا عشر ميلاً، وتبعد عن مدينة سرقسطة خمسين ميلاً، وهي من الثغور المهمة، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٣٨/٢، ٥٥٤، ٧٣٣؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٨؛ الحميري، صفة، ص ٦٤.
- (٣) مدينة تقع في شمال الأندلس تبعد عن طليطلة مائة ميل، ينظر: الحميري، صفة، ص ١٠٤.
- (٤) أرسلان، الحلل السندسية، ٣٠٥/١.
- (٥) أرسلان، الحلل السندسية، ٣٠٩/١.
- (٦) عاصمة البشكنس، وهي مدينة قديمة تقع في الشمال الأندلسي، يرجع تاريخ نشأتها إلى العهد الروماني، وأصبحت نقطة ارتباط استراتيجية بين الأندلس وأوروبا، كما تعد مدينة تجارية مهمة لوقوعها بالقرب من بلاد =

الذي وصلت إليه العقلية الأندلسية^(١).

كما يوجد فيها ساحة عمومية مربعة تعد من أجمل ساحات أسبانيا ، وفيها أيضاً جسر روماني قديم وكنائس متقنة ، إذ كانت ظلمنكة مركز مقاطعة وأسقفية مهمة ، وفيها كذلك خزانة كتب تشمل على ثمانين ألف مجلد ، بينها مخطوطات نفيسة ، وهذه الخزانة خاصة بالمدرسة الجامعة التي اشتهرت منذ القدم ، وعدد الطلبة بهذه المدرسة لا يتجاوز ثلاثمائة طالب^(٢).

ثانياً: التاريخ السياسي لمدينة ظلمنكة

مرت مدينة ظلمنكة بعدة حقب من التسلط الخارجي ، ابتدأت بالقرطاجنيين ، إذ استولى عليها القائد أنيبال القرطاجني سنة ٢١٧ قبل الميلاد ، ثم خضعت بعد ذلك لحكم الرومان ، إذ كانت المدينة في عهدهم تابعة لولاية لوزيطانية ، وبعدها استولى عليها المسلمون خلال الفتح الإسلامي لشبه الجزيرة الأيبيرية Iberia^(٣) .
لم تشر المصادر التاريخية المتوفرة بين أيدينا إلى تاريخ فتحها ، ووقت دخول المسلمين إليها ، إلا أنها يبدو فتحت بعد الفتح الإسلامي لمدينة طليطلة مباشرة ، إذ سار القائد طارق بن زياد إلى

=الغال، وتبعد عن سرقسطة حوالي ١٢٥ ميلاً، ينظر: الحميري، صفة، ص ٥٥؛
العلياوي، البشكنس، ص ١٦ - ١٨ .

١ (أرسلان، التحلل السندسية، ٣١٢/١ ؛ عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص ٣٥٧ .

٢ (أرسلان، التحلل السندسية ٥٤، ٥١/٢ ؛ عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص ٣٥٧ .

٣ (أرسلان، التحلل السندسية، ٥٢/٢ .

مدينة وادي الحجاره سنة ٧١١هـ/٧١١م وتمكن من فتحها ، وقد أشار إلى ذلك مؤلف مجهول بقوله: ((... ، وسار طارق حتى بلغ طليطلة وخلقى بها رجالاً من أصحابه فسلك إلى وادي الحجاره ثم استقبل الجبل فقطعه من فج يسمى فج طارق وبلغ مدينة خلف الجبل تسمى المائدة ، ... ، ثم مضى إلى مدينة أمية فأصاب بها حلياً ومالاً ، ثم رجع إلى طليطلة في سنة ثلث وتسعين))^(١) ، وفي رواية أخرى أنه ((... ، لم يرجع ، بل اقتحم أرض جليقية واخرقها حتى انتهى إلى مدينة استرقة ، فدوخ الجهة ، وانصرف إلى طليطلة...))^(٢) ، وهناك رواية ثالثة تشير إلى أن موسى بن نصير بعد فتح ماردة Meridi لم يتوجه إلى طليطلة فاستدعى طارقاً ليلقاه في منتصف الطريق بين ماردة وطليطلة فسار طارق نحو مائة وخمسين ميلاً وانتظر مولاه في وادي الأروكامبو في مكان يسمى العرض بين نهر التاجه Rio Tajo والتيتار ، فيما سار موسى في طريق روماني قديم يصل ماردة وسلمنقة(طلمنكة) بجذاء نهر فالموتا (أي نهر موسى) ، وحسب الرواية أنه في ذلك المكان جنوب سلمنقة(طلمنكة) التقى موسى مع لذريق ، الذي كان فرّ إلى هذه المنطقة بعد هزيمته في معركة وادي لكة أمام طارق سنة ٧١٠هـ/٧١٠م ،

(١) أخبار مجموعة، ١٤- ١٥؛ ينظر أيضاً: ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص٤٤؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ١٢/٢.
(٢) المقري، نصح الطيب، ١/٢٦٥؛ ينظر أيضاً حول هاتين الروايتين والمناقشة المستفيضة لهما: مؤنس، فجر الأندلس، ص١٤١- ١٤٢.

وتمكن موسى فيها من قتل لذريق ثم التقى بمولاه ودخلا طليطلة سنة ٧١٢/هـ^(١)

وعلى اختلاف الروايات أعلاه فإنها أشارت إلى أن منطقة مدينة طلمنكة فُتحت من قبل طارق بن زياد ، وأن ذلك كان في أواخر سنة ٧١١/هـ أو أوائل سنة ٧١٢/هـ ، إلا أن المصادر لم تشر إلى ذلك صراحة ، وربما راجع ذلك إلى الفتوحات السريعة والمتواصلة عند عملية الفتح الإسلامي ، أضف إلى ذلك هو عدم معرفة المسلمين بأغلب أسماء المدن الشمالية باعتبارها بلاد أجنبية غريبة مما يصعب عليهم في بعض الأحيان ذكر أسماء المناطق التي فتحت فضلاً عن أنها كانت من توابع مدينة طليطلة .

لم تشر المصادر المتوفرة لدينا إلى القبائل العربية أو البربرية التي سكنت منطقة مدينة طلمنكة ، وربما زاد من الغموض في ذلك قصر المدة التي بقي فيها المسلمون في طلمنكة والتي لا تزيد على نصف قرن^(٢) ، وعلى الرغم من تمكن المسلمين بعد ذلك - كما سنرى - من استردادها إلا أنها بقيت منطقة صراع وساحة كرفٍ واستمر لقرون عدة.

كانت خطة طارق بن زياد تقضي أنه إذا فتح منطقة ترك فيها بعض من يرغب نزولها لعمارتها وحمايتها ، وقد أشار المقرئ إلى ذلك عند حديثه عن فتح جليقية Galicia بقوله: ((...، وكان

١ (مؤنس، فجر الأندلس، ص ١٥٨ - ١٥٩ .

٢ (عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص ٢٥٨ .

العرب والبربر كلماً مرّ قوم منهم بموضع استحسّنه حطّوا به ونزلوه قاطنين ، فاتسع نطاق الإسلام بأرض الأندلس ، وخذل الشرك ، (...))^(١) ، وهذا يعني أن كلاً من العرب والبربر قد نزلوا أول الأمر المنطقة وقاموا بعمارتها بمحض إرادتهم ، وعلى الرغم من عدم ورود تفاصيل إلا أنه يمكن القول أن بعضاً من القبائل العربية سكنت شمال طليطلة مثل الأنصار (الأوس والخزرج) ولاسيما مدينة وادي الحجارة^(٢) ، كما نزلها أفراد من قبيلة باهلة^(٣) ، كما نزل مجموعة من بني تميم قرية الزباقرة (نسبة إلى الزبرقان بن بدر التميمي^(٤)) الواقعة إلى الشمال من مدينة طليطلة Talavera^(٥) ومكثوا بها حتى تغلب عليهم النصارى فانتقلوا إلى طليطلة^(٦).

أما القبائل البربرية التي استوطنت المنطقة فيمكن القول أنها كانت الأكثر انتشاراً في المنطقة ، وتعد قبيلة مغيلة البربرية من أوائل

١ (نصح الطيب، ١/٢٧٦ .

٢ (ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٣٤١ .

٣ (ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٢٤٦ .

٤ (الزبرقان، واسمه الحصين بن بدر بن امرئ القيس بن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب التميمي، قيل له الزبرقان لحسنه، والزبرقان القمر، وقد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قومه سنة ٥٩هـ/٦٣٠م وأسلم، وكانت وفاته في حدود سنة ٤٥هـ/٦٦٥م، ينظر : ابن الأثير، أسد الغابة، ٢/١٥٣ .

٥ (مدينة أندلسية تقع في الثغر الأعلى على نهر تاجة، ينظر : ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص١٩١ ؛ الحميري، صفة، ص١٢٨ .

٦ (ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٢١٩ .

القبائل التي سكنت منطقة وادي الحجارة ، وقد أصبح أحد زعمائها وهو محمد بن إلياس المغيلي الذي دخل مع طارق بن زياد قائداً للحامية الإسلامية التي أقيمت في المنطقة^(١) ، كما أن برانس مصمودة من جملة المستقرين الأوائل في مدينة وادي الحجارة ، منهم سالم بن ورعمال ، جد بني الفرغ الذين رافقوا طارق بن زياد إلى شبه الجزيرة الأيبيرية والتي أصبحت مدينة وادي الحجارة تسمى بمدينة الفرغ نسبة إلى أحد أحفاد سالم ، والذي يدعى الفرغ بن مسرة بن سالم^(٢) ، واستمرت المنطقة تدار من قبلهم لمدة طويلة إذ أشار اليعقوبي (بعد سنة ٢٩٢هـ/٩٠٤م) أنه ((كان عليها رجل من البربر يقال له مسل بن فرغ الصنهاجي يتولاها يدعو لبني أمية ، ثم صار لولده وذريته بعده إلى هذه الغاية في البلد ، ...))^(٣).

كما استقرت أسر مشهورة أخرى من البربر في منطقة الثغور ولاسيما وادي الحجارة ، وكان من جملة هؤلاء بنو أران وبنو مضي وبنو رسين من بربر مصمودة^(٤) ، وبنو هذيل من قبيلة مديونة البربرية الذين نزلوا منطقة وادي الحجارة في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ / ٧٥٥-٧٨٨م)^(٥) ، وبنو عزون من بربر زناتة الذين

١ (مجهول، مفاخر البربر، ص ٦٠ ؛ طه، الفتح والاستقرار، ص ٢٨٤ - ٢٨٥ .

٢ (ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩٩، ٥٠١ .

٣ (البلدان، ص ١٩٤ - ١٩٥ .

٤ (ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩٩ .

٥ (ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩٩ ؛ طه، الفتح والاستقرار، ص ٤٨٧ .

كانوا أمراء أيضاً في وادي الحجارة وشتتيرية Santebria^(١) ، وبنو عميرة وبنو غزلون وبنو نعمان وبنو بلال الذين استقروا في عدة مناطق من الثغر ومنها وادي الحجارة^(٢) ، فضلاً عن مجموعات أخرى من البربر استقرت في المنطقة لا يعرف أصولها بدقة مثل بنو أبي الأدلم وبنو قنه من هوتوته^(٣) .

بعد انتهاء مرحلة الفتح عمل المستوطنون من العرب والبربر على فلاحه الأرض وأعمارها فكان منهم من تولى الفلاحة بنفسه فيما سكن آخرون في العواصم والقرى واشتغلوا بالإشراف على المزارعين من أهل البلاد وهو ما أدى إلى الإسراع في عمارة الأرض بعد انتهاء الفتح^(٤) ، إلا أن ذلك لم يدم طويلاً ، إذ أن المستقرين الأوائل الذين استوطنوا في حوض نهر دويرة سواء من العرب أم البربر قد تركوا المنطقة بعد مدة وجيزة وبالتحديد خلال عهد الولاة (٩٥-١٣٨هـ / ٧١٣ - ٧٥٥م) وذلك بسبب ما أصاب المنطقة من اضطرابات دفعت بهم إلى الهجرة وترك أماكنهم .

كان مفتاح الفتنة التي أدت إلى نزوح المستوطنين (العرب والبربر) من الثغر الشمالي الغربي من الأندلس هو ثورة البربر في

١ (ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٩٩، وشتتيرية مدينة أندلسية تقع شرق قرطبة متصلة بحوض مدينة سالم، وهي مدينة كبيرة كثيرة الخيرات ولها حصون، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص١٧١ .

٢ (ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٩٩ - ٥٠٠ .

٣ (ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٩٩ .

٤ (مؤنس، فجر الأندلس، ص٢٦٠ .

المغرب سنة ١٢٢هـ/٧٣٩م^(١) ، فكان من أهم نتائجها على الأندلس وثورته أن ثار بربر الأندلس (في السنة أعلاه) ولاسيما البربر القاطنين في جليقية وأخرجوا العرب من بين أظهرهم ، وفي ذلك يقول مؤلف مجهول: ((فقضي أن بربر الأندلس ، لما بلغهم ظهور بربر العدو على عربها وأهل الطاعة ، وثبوا في أقطار الأندلس ، فأخرجوا عرب جليقية وقتلوهم ، وأخرجوا عرب أسترقة ، والمدائن التي خلف الدروب ، فلم يرعُ ابن قطن^(٢) إلا فلهم قد قدم عليه ، وانضم عرب الأطراف كلها إلى وسط الأندلس ، إلا ما كان من عرب سرقسطة وغرهم ، فإنهم كانوا أكثر من البربر ، فلم يهجم عليهم البربر ، فأخرج عليهم عبد الملك جيوشاً فهزمها وقتلوا العرب في الآفاق ، ...))^(٣).

إن النص أعلاه ذو أهمية كبيرة بالنسبة للوجود العربي في

١) ينظر عن ثورة البربر في المغرب سنة ١٢٢هـ/٧٣٩م : ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٤٦- ٢٤٨ ؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص١٦٢- ١٦٧ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١/٥٢- ٥٤.

٢) عبد الملك بن قطن بن عصمة بن أنيس بن عبد الله بن جحوان بن عمرو بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر الفهري، أمير الأندلس، تولى الولاية الأولى بعد عبد الرحمن الغافقي من قبل عبدة بن عبد الرحمن القيسي الأمير بإفريقية(١١٤- ١١٦هـ/٧٣٢- ٧٣٤م) أما ولايته الثانية فكانت سنة ١٢٣هـ/٧٤٠م حتى سنة ١٢٤هـ/٧٤١م، وقتل بالأندلس سنة ١٢٥هـ/٧٤٢م.

الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٥٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٢٨.

٣) أخبار مجموعة، ص٤٢.

جليقية وما بين نهري دويرة وتاجة والتي تقع بينهما مدينة ظلمنكة ، ويفهم من النص أعلاه عدة أمور منها:

- ١- إن العرب في المناطق أعلاه كانوا أقل من البربر.
- ٢- إن العرب نزحوا من مناطقهم في ذلك الثغر- إلا ما كان من عرب سرقسطة- واتجهوا جنوباً فتمركزوا في وسط الأندلس.
- ٣- لم يتمكن العرب من الرجوع إلى مناطقهم بعد ذلك ، يقول مؤنس: وبهذا لم تبق منهم في هذه الناحية بقية ، ولم يعد العرب إلى الاستقرار في المدائن خلف الدروب بعد ذلك وكان ذلك آخر عهدهم بها^(١).

إن إخراج العرب من جليقية وما بين نهري دويرة وتاجة على يد شركائهم في الفتح ، أشعل نار الفتنة بين العرب والبربر في الأندلس ، مما كان له نتائج سلبية على الوجود الإسلامي في مناطق الثغر المشار إليها أعلاه ، فليت البربر بفعاليتهم هذه أقاموا بمواضع العرب وعمروها ، ولكنهم فعلوا العكس ، فتركوا مناطقهم وراء ظهورهم وعزموا على القضاء على العرب جملة وطردتهم من الأندلس ، فحشدوا ((...من جليقية ، واسترقة ، وماردة ، وطلبيرة ، فأقبلوا في شيء لا يحصيه عدد ، حتى أجازوا نهراً يقال له: تاجة ، يريدون عبد الملك...))^(٢) وهكذا ، اتجهوا جنوباً في هيجة غير محسوبة على مستقبل البلاد التي فتحوها ، والتقوا مع العرب

١ (فجر الأندلس ، ص ٣٩١ .

٢ (مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ٤٣ .

بقيادة عبد الملك بن قطن الذي استعان بمن تبقى من عرب العدو المغربية وكانوا بقيادة بلج القشيري^(١) في جند من أهل الشام ، فكانت معركة وادي سليط من أرض طليطلة سنة ١٢٤هـ / ٧٤١م التي انهزم فيها البربر ، وفي ذلك يقول مؤلف مجهول: ((... ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وأقبل أهل الشام عليهم حنقين ، فقاتلوا قتال مستبسلين ، فمنحهم الله أكتاف البربر ، وقتلوهم قتلاً ذريعاً أفنوهم به ، فلم ينج منهم إلا الشريد))^(٢) وعلق ابن عذاري على ذلك بقوله: ((... ، فكانت هزيمتهم العظمى هنالك بوادي سليط من حوز طليطلة ، بعد أن زحف عبد الملك وبلج إليهم بعرب الأندلس ، حاشا عرب سرقسطة وثغورها. وزحف البربر بأجمعهم ، فهزمتهم العرب ، وقتلوا منهم في الهزيمة الآفاً))^(٣).

كانت لمعركة وادي سليط سنة ١٢٤هـ / ٧٤١م آثار سيئة على الوجود الإسلامي في مناطق الثغر الأعلى الغربي ، فالبربر بعد أن أخرجوا العرب ، انشغلوا هم بالحروب مع العرب ، ولم يعودوا يمارسوا نشاطهم هناك ، فكانت النتيجة أن خرب الزرع وأهملت الأرض ، ولم يستطع المزارعون من أهل البلاد من مواصلة عملهم في حقولهم بسبب الحروب بين شركاء الفتح (العرب والبربر) فهبت

١ (بلج بن بشر القشيري ابن عم كلثوم بن عياض القشيري. الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص ٧٧ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١/ ٥٤.

٢ (أخبار مجموعة، ص ٤٤.

٣ (البيان المغرب، ٢/ ٣١.

على البلاد سنوات من المجاعة بسبب نقص الزروع وفراغ الأرض من سكانها ، فاستغل النصارى ذلك أحسن استغلال من أجل سد الفراغ الذي أحدثه الفراغ السكاني في المنطقة ، وقد أشار مؤلف مجهول إلى ذلك قائلاً: ((فأعقبهم الله بالجوع والقحط ، فجاءت الأندلس سنة ثنتين ، ثم استخلفت سنة ثلاث عاماً سعيداً ، فثار أهل جليقية على المسلمين ، وغلظ أمر عليج يقال له: بلاي ، ... ، فخرج من الصخرة وغلب على كورة وأستوريس ، ثم غزاه المسلمون من جليقية ، وغزاه استرقة زماناً طويلاً ، حتى كانت فتنة أبي الخطار^(١) وثوابة^(٢) ، فلما كان في سنة ثلاث وثلاثين هزمهم وأخرج عن جليقية كلها ، وتنصر كل مذنب في دينه ، ، وضعف عن الخراج ، وقتل من قتل ، وصار فلهم إلى خلف الجبل إلى استرقة ، حتى استحکم الجوع ، فأخرجوا أيضاً المسلمين عن أسترقة وغيرها ، وانضم الناس إلى ما وراء الدرب الآخر وإلى قورية وماردة في سنة ست وثلاثين ، واشتد الجوع فخرج

١) هو أبو الخطار الحسام بن ضرار بن سلامان الكلبي وولي الأندلس بعد قتل عبد الملك بن قطن ومبايعة أهلها ثعلبة بن سلامة ، وكانت توليته من قبل والي إفريقية حنظلة بن صفوان الكلبي سنة ١٢٥هـ/٧٤٢م وعزل سنة ١٢٨هـ/٧٤٥م ، ثم قتل في الحرب التي جرت بين القيسية واليمانية في موقعة شقندة سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م . ينظر ترجمته: الحميدي، جذوة المقتبس، ص ١٧٧ . ابن الأثير، الحلة السيرة، ١/٦٦٦.

٢) هو ثوابة بن سلامة الجذامي وولي الأندلس أكثر من سنة وذلك سنة ١٢٨هـ/٧٤٥م ، مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ٥٨ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٣٥ .

أهل الأندلس إلى طنجة وأصيلا وريف لبربر ممتارين ومرتحلين ، وكانت إجازتهم من وادي بكورة شذونة ، يقال له: وادي برباط ، فتلك السنون تسمى: سني برباط))^(١).

ويعلق مؤنس على النص أعلاه بالقول: إنه على الرغم من بعض الأخطاء في تحديد التواريخ ، ولكنه يصور الحالة في منطقة الثغر الأوسط الغربي الأندلسي أحسن تصوير ، وقد استغل النصراري ذلك استغلالاً كاملاً ، فلم يدعوا وسيلة يمكنهم فيها من النيل من المسلمين إلا ابتدروها ، ولو لم تشملهم المجاعة لكان بلاؤهم أشد وأبعد^(٢) ، وبشكل مقتضب أشار ابن الأثير إلى ذلك بقوله: ((ثم توالى القحط على الأندلس وجلا أهلها عنها وتضعضت إلى سنة ست وثلاثين ومائة))^(٣).

وقد توج النصراري تلك الأحداث أن قاموا باجتياح المنطقة الواقعة بين نهري دويرة وتاجة وتمكنوا من الاستيلاء عليها وإخراج من تبقى من المسلمين منها ، وقد أشار ابن الأثير في حوادث سنة ١٤٠هـ/٧٥٧م إلى ذلك بقوله: ((في هذه السنة هلك أذفنش ملك جليقية وملك بعده ابنه تدويلية- وكان أشجع من أبيه وأحسن سياسة للملك وضبطاً له- وكان ملك أبيه ثماني عشرة سنة^(٤). ولما ملك ابنه

١ (أخبار مجموعة، ص ٦١ - ٦٢ .

٢ (فجر الأندلس، ص ٣٩٣ .

٣ (الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٨٥ .

٤ (هناك بعض الاختلاف عن هذه الرواية عند ابن الخطيب إذ أشار إلى أن أول من ملك من النصراري في عهد الإسلام في الأندلس هو بلاية (بلاي) الذي تحصن =

قوي أمره وعظم سلطانه وأخرج المسلمين من ثغور البلاد وملك مدينة لك. وبرطقال^(١). وشلمنقة. وشمورة. وأيلة. وشقوية. وفشتيالة^(٢)؛ وكل هذه من الأندلس^(٣)، وعليه فقد خرجت ظلمنكة من أيدي

= في أرض أشتوريش مع عدد قليل من الرجال ودافع عن جهته، فقدمه أهل تلك الجهات ملكا وذلك سنة ٧٩٩هـ/٧١٧م ودام ملكه ثلاث عشرة سنة، ملك بعده ابنه أقبيلة لمدة عامين ثم قتله دب بالصيد، وولي بعده صهره دون الفنش بن الروزدون بطرة (وهو أذفونش، أذفنش أعلاه) وذلك سنة ١١٤هـ/٧٣٢م ودام ملكه تسع عشرة سنة فلما هلك ملك ابنه فريوة (لعله تدويلية عند ابن الأثير) وذلك سنة ١٣٣هـ/٧٥٠م، قال: وفي عهده دخل عبد الرحمن الداخلى إلى الأندلس، ولما هلك فريوة ملك بعده أخوه ابن بلية واستولى على أرض أشطوريش وغلبيسية وأرض برتقال، وبعض ليون وكان ملكا كبيرا وكانت ولايته سنة ١٤٨هـ/٧٥٥م، أعمال الأعلام، ٢/٢٧٧ - ٢٧٨؛ أما قائمة ابن خلدون فهي تختلف عما ذكره ابن الأثير وابن الخطيب إذ قال: إنهم ملكوا عليهم ابن ناقلة فأقام ملكا تسع عشرة سنة وهلك سنة ثلاث وثلاثين ومائة، وولي ابنه قافلة سنتين ثم هلك، فولوا عليهم اذفونش بن بطرة وكان مهلكه سنة اثنتين وأربعين ومائة، وولي بعده ابنه فرويلة إحدى عشرة سنة فاسترجع مدينة لك وبرتقال وشمورة وشلمنقة وشرقية وقشتالة بعد أن كانت للمسلمين في الفتح وهلك سنة ثمان وخمسين ومائة، تاريخ، ٤/١٨٠. وواضح أن هناك اضطرابا في بعض التواريخ والأسماء بين القوائم الثلاثة، راجع مناقشة ذلك: مؤنس، فجر الأندلس، ص ٣٨٩ - ٣٩٥؛ عنان، دولة الإسلام، ق ١، العصر الأول، ص ٢١٣ - ٢١٦.

(١) قال البكري: برتقال مدينة بالأندلس تقع عند مصب أنه على البحر المحيط، المسالك والممالك، ١/١٨٠؛ وقال الإدريسي: البرتقال بلاد تضم عدة مدن وعرض أرضها مسيرة يوم، نزهة المشتاق، ٢/٧٢٥، ٧٣١.

(٢) قال الحميري: قشتالة من الأعمال الأندلسية قاعدته قشتالة، سُمي العمل بها، وقالوا ما خلف الجبل المسمى الشارات في جهة الجنوب يسمى أشبانيا، وما خلف الجبل من جهة الشمال يسمى قشتالة، صفة، ص ١٦١؛ ينظر أيضاً: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٢/٧٢٥.

(٣) الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٩٣؛ ينظر أيضاً: عنان، دولة الإسلام، =

المسلمين بعد حكم دام سبع وأربعين سنة ، وهي من أوائل الثغور التي سقطت بيد النصارى وبقيت بأيديهم حتى استرجع المسلمون قسم منها بعد ذلك كما سنرى.

بعد ذلك بدأ النصارى بالهجرة إلى المناطق الخالية الواقعة بين نهري دويرة وتاجة ، فعمرت لك Lugo وليون وسلمنقة وأبله وشقوبية وأماية Amaya ، إلا أن مقامهم بها لم يطل ، فعندما اشتد ساعد المسلمين استعادوا العديد من المناطق الواقعة بين نهري دويرة وتاجة وقد ثبت حدود دولة الإسلام عند خط في منتصف المسافة بين نهري دويرة وتاجة^(١).

ويبدو أن ظلمنكة(شلمنقة) كانت في الحد الفاصل الحرج بين مناطق نفوذ المسلمين والنصارى ، وبقيت متأرجحة في تبعيتها حسب قوة وظروف كل طرف ، كما أقام كلا الطرفين فيها تحصيناتهم الدفاعية لمواجهة الآخر ، ويبدو أن ذلك استمر حتى منتصف القرن الخامس الهجري عندما بدأ ميزان القوى يتغير كلياً لصالح النصارى ، ولكي لا نستبق الأحداث لنتبع خطواتها.

ففي عهد عبد الرحمن الداخل(١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٥-٧٨٨م) لم تشر المصادر التي بين أيدينا إلى أنه أرسل قواته تجاه مدينة ظلمنكة وآخر ما وصلت قواته غرباً نحو قورية Coria سنة١٥٨هـ/٧٧٤م وذلك لقطع إمدادات النصارى عن الثائر شقنا بن عبد الواحد^(٢).

=ق١، العصر الأول، ص٢١٥.

(١) مؤنس، فجر الأندلس، ص٥٤٠-٥٤١.

(٢) ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص١٠٤، ابن عذاري، البيان المغرب، ٥٥/٢.

وفي عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن (١٧٢-١٨٠هـ/٧٨٨-٧٩٦م) كانت معظم حملاته على النصارى موجهة إلى مناطق ألبة والقلاع (قشتالة) Castilla^(١)، إلا أن واحدة منها سنة ١٧٩هـ/٧٩٥م كانت نحو مملكة ليون حيث وصل إلى مدينة أستورقة Astorga^(٢).

وفي عهد الأمير الحكم بن هشام (١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢١م) كانت هجمات النصارى قد بلغت إلى أطراف مدينة وادي الحجارة سنة ١٩٤هـ/٨٠٩م مما اضطر الأمير الحكم إلى نجدتهم^(٣)، وهو ما يعني أن مدينة طلمنكة كانت لا تزال تحت نفوذ النصارى.

وفي عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢١-٨٥٢م) كانت معظم هجماته نحو ألبة والقلاع (قشتالة)^(٤)، كما هاجم ملك جليقية سنة ٢٢٤هـ/٨٣٨م مدينة سالم Medinaceli الواقعة على سمت مدينة طلمنكة شرقاً مما اضطر الأمير عبد الرحمن إلى إرسال قواته لغزو جليقية^(٥).

ويبدو لنا أن مدينة طلمنكة بقيت ضمن مناطق نفوذ النصارى

١) ينظر: ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٢١، ١٢٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٦٣/٢.

٢) ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٢٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٦٤/٢.

٣) ابن حيان، المقتبس (للحقبية ١٨٠ - ٢٣٢هـ/٧٩٦ - ٨٤٦م) ص ٢٣١ - ٢٣٢؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٤٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٧٣/٢؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٣/٢١٦.

٤) ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٦٠، ١٧٢، ١٧٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٢/٢.

٥) ابن حيان، المقتبس (للحقبية ١٨٠ - ٢٣٢هـ/٧٩٦ - ٨٤٦م) ص ٤٣٠؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٧٣.

حتى عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط (٢٣٨-٢٧٣هـ/ ٨٥٢-٨٨٦م) ، وعلى الرغم من استمرار المواجهات بين قوات الإمارة في قرطبة Cordoba والنصارى على طول خط الحدود الفاصل بينهما من برشلونة Barcelona شرقاً حتى مصب نهر تاجة غرباً ، إلا أن الذي كان يؤرق منطقة الحدود بالنسبة للمسلمين هو هشاشة الموقف في المنطقة المواجهة للشمال والشمال الغربي من طليطلة ، وهذه المنطقة التي خلت من سكانها العرب والبربر في نهاية عهد الولاة- كما مرّ بنا- ولم يستطع النصارى ملؤها لأنه ساحة عمليات كرّ وفرّ ، ومما زاد في خطورة الموقف على هذه الجبهة هو الموقف المعادي لأهالي طليطلة من حكومة قرطبة واستمرار ثوراتهم طيلة عهد الأمراء من عبد الرحمن الداخل حتى عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط^(١).

وفي بداية عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط حدث تطور خطير ، وهو أن أهالي طليطلة قاموا بثورة على الأمير محمد سنة ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م وعندما تجهز إليهم أرسلوا إلى ملك جليقية أردونيو الأول بن راميرو (٢٣٦-٢٥٢هـ/ ٨٥٠-٨٦٦م) وملك البشكنس Bascons غرسيه بن ونقه (غرسيه انيجس) (٢٣٧-٢٦٦هـ/ ٨٥١-٨٧٩م) يستمدونهم فلما سمع الأمير بذلك عبأ أصحابه وكمن لهم بناحية وادي سليط وأوقع بهم وحلفائهم من النصارى^(٢) ، وفي محاولة منه لتحسين منطقة

١) ينظر عن ثورات أهالي طليطلة تلك المدة على سبيل المثال : ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص٩٤، ١١١، ١١٧، ١٣٨ - ١٤١، ١٦٨، ١٧٠ .
 ٢) ينظر: ابن حيان المقتبس (للعقبة ٢٣٢ - ٢٦٧هـ/ ٨٤٦ - ٨٨٠م) ص٢٩٥ =

الثغر الأوسط ومنع هجمات النصارى عليها من جانب ، ومن جانب آخر كان هو تواق لجعل المنطقة مأهولة بالسكان من خلال أعمارها وتشجيع السكن بها وبالتالي يطمئن على حدود إمارته ، وقد علق ابن حيان على ذلك بقوله: ((ولمحمد في سلطانه الآثار الجميلة والآيات الجزيلة ، والفتوح العظيمة ، والعناية التامة بمصالح المسلمين ، والتهمم بثغورهم ، والحفظ لفروجهم ، والضبط لأطرافهم ، والتوجيه لمصالحهم ، وهو الذي بنى لأهل ثغر طليطلة حصن ظلمنكة وحصن مجريط وحصن بنه فراطه ، وكان شديد الاستخبار عن الثغور ، والتطلع إلى ما يحدث فيها ، وإرسال الثقات للبحث عن مصالحها))^(١) ، ومن اجل رد الخطر عن هذه الحصون وبث الطمأنينة عند سكانها قام بحملات تأديبية طويلة مدة حكمه على المناطق النصرانية المواجهة لها^(٢).

ويبدو أن مدينة ظلمنكة التي حصنها الأمير محمد بن عبد الرحمن وأعاد أعمارها لم تكن جميعها في حوزة المسلمين ، فالراجح أن خط الحدود الفاصل بين الجانبين يقسم المدينة إلى قسمين ، نزل

٢٩٧=؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٨٧؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٦٧/٤؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/٢٢؛ مجهول، تاريخ الأندلس، ص ١٩٢؛ المقرئ، نضح الطيب، ١/٢٥٠.

١) المقتبس (للحقبة ٢٣٢ - ٢٦٧ هـ / ٨٤٦ - ٨٨٠ م)، ص ١٣٢.
 ٢) ينظر عن حملات الأمير محمد بن عبد الرحمن على النصارى: ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، حوادث السنوات : ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م، ٢٤١ هـ / ٨٥٥ م، ٢٤٢ هـ / ٨٥٦ م، ٢٤٦ هـ / ٨٦٠ م، ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م، ٢٤٩ هـ / ٨٦٣ م، ٢٥١ هـ / ٨٦٥ م، ٢٥٢ هـ / ٨٦٦ م، ٢٥٣ هـ / ٨٦٧ م، ٢٦٢ هـ / ٨٧٥ م، ٢٦٤ هـ / ٨٧٧ م، ٢٦٨ هـ / ٨٨١ م.

المسلمون في جهة منها وحصنوها فيما نزل النصارى في القسم الآخر وحصنوه أيضاً وكان لهم فيه أسقفية ، إذ ذُكرَ أنه في أواخر عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن أرسل الفونسو الثالث Alfonso III (٢٥٢- ٢٩٧هـ/٨٦٦-٩٠٩م) ملك ليون سفارة إلى الأمير محمد على رأسها أسقف سلمنقة السفير دولثديو Dulcidio للتفاوض معه في عقد صلح بين الطرفين وقد نجح السفير في مهمته^(١).

وفي عهد الأمير عبد الرحمن الثالث (٣٠٠-٣٥٠هـ / ٩١٢-٩٦١م) تحالف ملك ليون أردونيو الثاني مع ملك البشكنس غرسية الأول واشترك معهم أسقف سلمنقة دوليكيديس وهاجموا الأراضي الإسلامية في سنة ٣٠٨هـ/٩٢٠م فتصدى لهم الأمير عبد الرحمن الثالث وتمكن من هزيمتهم وأسر أسقف سلمنقة ثم تعقب فلول المنهزمين وأسر العديد ثم رجع إلى مدينة سالم^(٢).

ومنذ ذلك الحين غدت طلمنكة عملاً تغريباً تابعاً للمسلمين ، وأخذت حكومة قرطبة تعيين ولاية فيها من قبلها ، إلا أن المصادر لم تشر إلا إلى أسماء بعضهم ، وكان لفقدان القسم الأكبر من تاريخ ابن حيان أن ضاع الكثير من المعلومات الخاصة بولاية المدن والأقاليم الأندلسية وذلك لاهتمامه الشديد بتدوينها ، ففي القسم الخاص الذي بين أيدينا أشار ابن حيان إلى بعضهم ، فأتساء ذكره الخليفة عبد

١ (الخلف، نظم حكم الأمويين، ص٢٤٩.

٢ (ابن حيان، المقتبس(للحقبة ٣٠٠- ٣٣٠هـ/ ٩١٢- ٩٤١م)، ص١٥٩- ١٦٧ ؛

عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ق٢، العصر الأول، ص٣٨٢.

الرحمن الناصر أشار إلى قيام الأخير بإحداث تغييرات إدارية مستمرة في ولاية المدن الأندلسية ، فذكر في سنة ٣١٧هـ/ ٩٢٩م ، تم تعيين غرسيه بن أحمد والياً على مدينة طلمنكة ، إلا أنه لم يشر إلى مدة حكمه فيها^(١) ، ولعل غرسيه هذا كان من المولدين ذو الأصل النصراني ، وربما جاء تعيينه من قبل الخليفة هي محاولة مدروسة على أثر كثرة هجمات النصارى على هذه المدينة بسبب قربها منهم ، باعتباره من أهل المنطقة وعلى دراية بطبيعتها الجغرافية الحاذية للنصارى ، ولا يُستبعد أن يكون غرسيه نجح في مهمته ، ومما يدل على ذلك هو النجاحات التي حققها عمال وقادة الثغر ، ففي سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م نجح قادة الثغر الأوسط بني ذي النون وبني رزين في التصدي لهجمات نصارى جليقية ، كما أوقع أهالي مدينة مجريط Magerit بهجوم آخر للنصارى في السنة نفسها^(٢) ، وعلى الرغم من عدم ذكر نشاط لأهالي طلمنكة في هذه الأحداث ، ولكن الراجح أنهم كانوا ضمن منظومة الدفاع عن المنطقة.

وكان الخليفة الناصر لدين الله في ذلك الوقت يراقب الموقف وتحركات النصارى في المنطقة الواقعة بين نهري دويرة وتاجة ، فقام سنة ٣٢٥هـ/ ٩٣٦م بإعادة تأهيل وتحصين مدينة وادي الحجارة ، ثم قام بجولة في المنطقة ، وقد أشار ابن حيان إلى ذلك بقوله إن الناصر: ((تلوم بمدينة الفرج راتقاً فتوقها ، مسكناً حال أهلها ، وأبقى درياً ، مولاه ، في

١) المقتبس (للحقبية ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/ ٩١٢ - ٩٤١م)، ص ٢٥٤.

٢) ينظر: ابن حيان، المقتبس (للحقبية ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/ ٩١٢ - ٩٤١م)، ص ٣٨١.

الجيش الذي كان ضمه إليه قائداً بالثغر الأوسط ، مصحراً ببقاعه ، متجولاً في دروب المسلمين ما بين حصن أنتشية إلى مدينة طلييرة ، بعد أن نظم ما بينها بالرجال ، وأحكم ما وهى من حصونها وأبراجها ، وضعف من معاقلها ومراقبها بمحكم البنيان ووافر الأزواد وأوسع العدد والأسلحة ، فضم المسلمون فيها غلاتهم ، واستيأس منهم عدوهم))^(١) ، وعلى الرغم من عدم إشارة النص إلى مدينة طلمنكة صراحة ، إلا أنها تعد من مدن مدينة الفرج (وادي الحجارة) وأحد الثغور المهمة في المنطقة.

وفي سنة ٣٢٧هـ/٩٣٨م كانت غزوة الخندق نحو جليقية وقد كتب إليه أهل وادي الحجارة يشكونه من نكايه العدو بهم وضيق معاشهم وسألوه أن يكون مروره إلى جليقية عبر أراضيهم مما يعود بالنفع عليهم ونكايه بعدوهم ، فلما غادر مدينة وادي الحجارة إلى حصن أنتشية كمن له النصرى في مسالك ضيقة وأرض وعرة فكانت الهزيمة على جيش المسلمين في معركة الخندق وقتل فيها أعداد كبيرة من المسلمين اضطر بعدها الناصر إلى الانسحاب^(٢) ، وكانت الموقعة إلى الجنوب من مدينة طلمنكة^(٣) .

١) المقتبس (للحقبية ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م) ، ص ٢٩٥ .

٢) ينظر التفاصيل عن موقعة الخندق : السعودي ، مروج الذهب ، ٩٢/١ - ٩٣ ؛ مجهول ؛ أخبار مجموعة ، ص ٥٦ ؛ ابن حيان ، المقتبس (للحقبية ٣٠٠ - ٣٣٠هـ /

٩١٢ - ٩٤١م) ، ص ٤٢٥ ، ٤٣٠ - ٤٣٨ ؛ الحميري ، صفة ، ص ٩٨ - ٩٩ .

٣) ينظر الخارطة .

ويبدو أنه على الرغم من هزيمة المسلمين في موقعة الخندق Alhandige إلا أن ذلك لم يؤثر كثيراً على موقع المسلمين على الأرض في المنطقة ، واحتفظ المسلمون بثغر طلمنكة ، فبعد سنة من الخندق (أي ٣٢٨هـ/٩٣٩م) حاول نصارى جليقية التعرض لثغر طلمنكة ، فتصدى لهم والي الثغر آنذاك مطرف بن ذي النون وألحق بهم الهزيمة وبعث بكتاب الفتح إلى الخليفة الناصر ، وقد أشار ابن حيان إلى ذلك بقوله: ((ردف هذه الفتوح في هذا الشهر كتاب فتح ورد لمطرف بن ذي النون ، يذكر نفيده بنفسه وأصحابه ، إلى ثغر طلمنكة ، عند اتصال الخبر به بخروج العدو نحوها ، وأنه أوقع بهم ، فنصره الله عليهم ، ومر في آثارهم ، لما انهزموا عنه والسيف يأخذ مأخذهم منهم ، حتى حال الظلام بينه وبينهم ، فانصرف عنهم عزيزاً ظافراً ، وأصاب لهم خيلاً كثيرة ، كتب بعدها ، فتوالت هذه الفتوح من كل الجهات ، وعمت بها المسرات ، حتى نهل المسلمون عن حطمة الخندق))^(١).

وفي عهد الأمير الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م) وفد على قرطبة سفارة قومن سلمنقه سنة ٣٦٠هـ/٩٧٠م ، شرح للخليفة فيها أحوال بلده وسأله أن يجدد عهد السلم والصدقة بينهما ، وكان الوفد بصحبة رجل يدعى حبيب بن طويلة^(٢) ، ولعل الأخير كان والياً من قبل الخلافة على ثغر طلمنكة.

١) ابن حيان، المقتبس (للحقبه ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/ ٩١٢ - ٩٤١م)، ص ٤٥٢.

٢) ابن حيان، المقتبس (للحقبه ٣٦٠ - ٣٦٤هـ/ ٩٧٠ - ٩٧٤م) ص ٢٤١ - ٢٤٢.

وفي مدة حجابة ابن أبي عامر^(١) (٣٦٦-٣٩٢هـ / ٩٧٦-١٠٠١م) ازداد نشاط الثغور الأندلسية بشكل عام وشُحنت بالمقاتلة وأسرههم حيث شهد عهده ست وخمسون غزوة^(٢) ، كان نصيب ثغر طلمنكة منها ثلاث غزوات ، الأولى منها وهي الثالثة من غزواته قال العذري: كانت شاتية في سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م^(٣) ، وقال ابن عذاري: ((فدخل على طليطلة غرة صفر من سنة ٣٦٧ ؛ فاجتمع مع صهره غالب ؛ فعظمه وجرى إلى موافقته. ونهضا معاً ؛ فافتتحا حصن المال وحصن زنبق ، ودوخا مدينة شلمنقة وأخذوا أرباضها. وقفل ابن أبي عامر إلى قرطبة بالسبي والغنائم ، وبعدد عظيم من رؤوس المشركين ، إلى أربع وثلاثين يوماً من خروجه...))^(٤) ، فيما أشار مؤلف مجهول إلى أن ابن أبي عامر فتح شلمنقة في هذه الغزوة^(٥) ، ونص ابن عذاري هنا أكثر وضوحاً إذ استهدف ابن أبي عامر القسم الخاضع لسيطرة النصارى ولم يتمكن من اقتحامها واكتفى بالسيطرة على أرباضها.

١) هو محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر محمد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري، دخل جده عبد الملك مع طارق بن زياد، ونزل بالجزيرة، وخدم منهم أبو عامر بن الوليد وابنه عامر في الدولة الأموية، ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ٥٦/٧ ؛ ابن الأبار، التكملة، ٢٨٧/١ ؛ الحلة السيرة، ٢٦٨/١ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٦٣/٢ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٨٩/٤ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٢١٧ ؛ المقري، نفع الطيب، ٣٩٩/١.

٢) مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٢٢٦.

٣) ترصيع الأخبار، ص ٧٤- ٧٥.

٤) البيان المغرب، ٢٦٧/٢.

٥) تاريخ الأندلس، ص ٢٢٧.

أما غزوة شلمنقة (طلمنكة) الثانية فلم يشر إليها ابن عذاري ،
وذكرها العذري قائلاً: ((وغزا محمد بن أبي عامر شلمنقة مرة ثانية ،
وكانت خريفية مفردة ، السبت لعشر بقين من شهر ربيع الأول سنة
ثلاث وسبعين وثلاثمائة وأول يوم من شُتَبَر ، وعاد يوم السبت لاثني
عشر ليلة بقيت من ربيع الآخر منها ، إلى تسعة وعشرين يوماً))^(١) ،
أما مؤلف مجهول فقال الغزوة التاسعة عشرة ، إذ نزل عليها ففتح
أرباضها عنوة وباقيها صلحاً^(٢).

وعرفت الغزوة الثالثة المدينة شلمنقة (طلمنكة) عند العذري بغزوة
المدائن قال: ((كانت صائفة مفردة ، السبت لثمان خلون من صفر سنة
ست وسبعين وثلاثمائة ولأحد عشر خلت من شهر يونيه ، فتح فيها
شلمنقة وألبه وليون وصالح سمورة ، وعاد يوم الأحد لتسع بقين من
ربيع الأول منها إلى أربعين يوماً))^(٣) ، وقال عنها مؤلف مجهول:
((الخمسة والعشرون: غزوة سمورة أيضاً ، فتح فيها مدينة شلمنقة
وحصن ليون ، ثم نزل على سمورة حتى فتحها صلحاً ، ونزلوا على
حكيمه))^(٤).

وواضح من غزوات ابن أبي عامر أن مدينة طلمنكة أصبحت في
حوزة المسلمين ، بل أن نفوذهم في أيامه وصل إلى سمورة الواقعة إلى

١ (ترصيع الأخبار، ص ٧٩ .

٢ (تاريخ الأندلس، ص ٢٢٨ .

٣ (ترصيع الأخبار، ص ٨٠ .

٤ (تاريخ الأندلس، ص ٢٢٩ .

الشمال من طلمنكة ما يعني أنها غدت أكثر أماناً من ذي قبل. وخلال النصف الأول من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي غدت معظم مدن ثغور طليطلة التي بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن ومنها مدينة طلمنكة قد ضعفت وأصبحت مهددة من قبل النصارى ، ولم ينقذها آنذاك إلا انشغال أسبانية النصرانية بحروبها الداخلية في تلك الحقبة^(١).

ففي سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م سقطت الخلافة الأموية في الأندلس ، وتقسمت البلاد إلى دويلات طوائف متناحرة^(٢) ، وكان نصيب ذلك أن استقل بنو هود في سرقسطة ، وبنو ذي النون بطليطلة ، وكانت مدينة طلمنكة تابعة إلى طليطلة ، وقد دخلت الأستران في صراع مرير ، دار بين سليمان بن هود حاكم سرقسطة (٤٣١-٤٦٧هـ / ١٠٣٩-١٠٤٦م) والمأمون بن ذي النون حاكم طليطلة (٤٣٥-٤٦٧هـ / ١٠٤٣-١٠٧٤م) وكانت مجموعة المدن والحصون الواقعة بين سرقسطة وطليطلة موضع الاحتكاك بين الجانبين ومنها مدينة طلمنكة ، إذ دارت مواجهات عنيفة سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٤م وما بعدها بين الطرفين ، وقد استعان كلا الطرفين بحكام الممالك النصرانية مقابل أن يدفعوا لهم الجزية ،

(١) ينظر عن أوضاع الممالك النصرانية الأسبانية في النصف الأول من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي : عنان، دول الطوائف، ص ٣٧٨ - ٣٨٢.
(٢) لمزيد من التفاصيل عن سقوط الخلافة الأموية في الأندلس ينظر : عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، ق ٢، ص ٥٨٨ - ٦٢٢ ؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٢٠٩ - ٢١٧.

فتحالف ابن هود مع ملك قشتالة فرناندو الأول (Fernando I) (٤٢٦-٤٥٨م) وتحالف المأمون بن ذي النون مع ملك نافار Navara غرسية^(١) ، واستمر ملكا قشتالة ونافار يعملان على توسيع هذا الخلاف ، فيغير الأول على أراضي طليطلة بجانب ابن هود ، ويغير الثاني على أراضي سرقسطة لحساب ابن ذي النون^(٢) .

وكانت طلمنكة في النصف الأول من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي لا تزال بيد المسلمين ، ففي مسجدتها كانت تقام حلقات الدرس في الحديث ، فروى ابن بشكوال أن سعيد بن مكادة المحدث كان يحدث بجامع طلمنكة سنة ٤٢١هـ / ١٠٣٠م^(٣) ، كما أن أبا عمر الظلمنكي الذي كانت له رحلة شملت مناطق واسعة من العالم الإسلامي آنذاك عاد إلى موطنه طلمنكة وتوفي بها سنة ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م^(٤) ، إذ كانت آنذاك رباطاً وثغراً يقصده المتطوعة للجهاد.

وفي سنة ٤٥٤هـ / ١٠٦٢م ، سار ملك قشتالة فرناندو الأول بجيش كبير من الفرسان والرماة لمهاجمة مناطق طليطلة ، وأغار على الحدود الشمالية ، فاستباحت قواته مدينة سالم وطلمنكة ووادي الحجارة وقلعة هنارس وعاث في بسائطها تخريباً ، مما أجبر حاكمها المأمون على إرسال كميات كبيرة من الذهب والفضة والأقمشة الثمينة إلى الملك

١ (تقع نافار شرق ليون محاذية لجبال البرت التي تفصل بين الأندلس وبلاد الغال ويطلق على سكانها اسم البشكنس، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٢/٨٦٣ .
٢ (ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ١٦٨ ؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ٣/٢٨٢ .
٣ (الصلة، ص ٢١٣ .
٤ (ابن بشكوال، الصلة، ص ٥٠ ؛

الاسباني من اجل المصالحة ، والتزم أيضاً بالطاعة ودفن الجزية له فقبل فرناندو المال والعهد^(١) ، وهكذا استباح النصارى أراضي الدولة الإسلامية وانهارت خطوط الدفاع وساءت أحوال الثغور من وطأة الحروب وثقل الجباية.

وفي عهد الملك القشتالي الفونسو السادس Alfonso VI (٤٥٨-٥٠٢هـ/١٠٦٥-١١٠٨م) تمكن من توحيد صفوف النصارى تمهيداً لتنفيذ مشروعه التوسعي في الأندلس ، وفي المقابل كان حاكم طليطلة يحيى بن ذي النون الملقب بالقادر كما قال ابن بسام: ((...أجن من قبره ، إن حزم لم يعزم ، وإن سدى لم يلحم...))^(٢) ، وقال عنه ابن الكردبوس: ((ضعيف المنية قليل المعرفة ، ربي في أحجار النساء والدايات ، ونشأ بين الخصيان والغايات))^(٣) ، فأرهبه الفونسو السادس بالمغارم والجزية وأجبره على تسليم العديد من الحصون التابعة لمدينة طليطلة ، فتنازل له عن عدد من الحصون أهمها حصن سرية^(٤) وحصن قورية Coria وحصن قنالش Caniles وكان ذلك سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م^(٥) ، وكان الأخير من الحصون التابعة إلى مدينة وادي الحجارة^(٦) .

١ (ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٦٨ ؛ عنان، دول الطوائف، ص ٣٦٩-

٣٧٠؛ السامرائي، علاقات المرابطين، ص ٩٠.

٢ (الذخيرة، ١٥٠/٧.

٣ (تاريخ الأندلس، ص ٧٩.

٤ (عند ابن بسام حصن سرته، الذخيرة، ٢٤٩/٣.

٥ (ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٨٣.

٦ (أرسلان، التحلل السندسية، ٣٥/٢ - ٣٦.

وفي سنة ٤٧٧هـ / ١٠٨٤م زحفت القوات النصرانية بقيادة الفونسو السادس وضربت الحصار على طليطلة ، وعبثاً حاول الأهالي المقاومة ، وقد أرهقهم الحصار وانقطعت عنهم المؤن حتى اضطروا إلى تسليم المدينة في محرم من سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م^(١) .

ما أن تمكن الفونسو من دخول طليطلة حتى سارع بضم جميع حصونها وتوابعها إليه ، فأرسل قائده البرهانس Alvar fanez^(٢) ((فشن غاراته على جميع أعمالها ، حتى فاز باستخلاص جميع أقطار ابن ذي النون واستئصالها ، وذلك ثمانين منبراً ، سوى البنيات ، والقرى المعمورات ، وحاز من وادي الحجارة إلى طليطلة ، وفحص الملح^(٣) وأعمال شنتمرية^(٤) كلها ، ...))^(٥) ، وعلى هذا الأساس أصبح خط نهر نهر التاجه بما فيه من مدن وضياع تحت سيطرة النصارى^(٦) ، وعليه فإن سقوط مدينة طلمنكة كان في حدود سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م.

١ (ابن بسام، الذخيرة، ١٦٣/٧ - ١٦٩ .

٢ (أسماء ابن القطان البارهامش، نظم الجمان، ص ٦٣؛ وقال ابن أبي زرع أن البرهانس هو أحد قادة الفونسو أرسله لمحاصرة بلنسية؛ الأنيس المطرب، ص ١٤٦ .

٣ (الفحص عند أهل الأندلس هو كل موضع يسكن سهلاً كان أو جبلاً بشرط أن يزرع ، وفحص الملح بنواحي سرقسطة، ينظر : ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٠١ .

٤ (وهي شنتمرية الشرق وتعرف أيضاً بشنتمرية بني رزين أو السهلة وتقع جنوب سرقسطة إلى وادي الحجارة، ينظر : ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٧٦ .

٥ (ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٨٧ .

٦ (العمائرية، مراحل سقوط الثغور الأندلسية، ص ١٣٢ .

الحركة الفكرية

كانت مدينة طلمنكة واحدة من مدن الثغر الأندلسي الواقعة على الحد الفاصل بين الدولة الإسلامية ومملكة ليون النصرانية ، وثمة ميزة مهمة اتصفت بها منطقة الثغر ومنها طلمنكة جعلها تزخر بالعلماء والفقهاء ورجال الفكر ، وهي أنها منطقة محاذية للنصارى الذين كانوا في أغلب الأوقات في حالة حرب مع المسلمين ، فكان وجود العلماء حافزاً للجهاد فضلاً عن أنهم كانوا في مقدمة المجاهدين ، ومن خلال استعراض تراجمهم -كما سيأتي- نجد أن العديد منهم سكنوا المنطقة للجهاد وسقط العديد منهم شهداء في المعارك التي دارت هناك ، وسنعرض لأهم رجالاتها وإسهاماتهم العلمية:

١- أحمد بن عبد الله بن يحيى بن يحيى اللبثي من أهل قرطبة ، محدث ، وُصف بالتقدم في اللُغة والشعر والعناية بالعلم ولاه الخليفة عبد الرَّحْمَن النَّاصِر حِصْنَ مَجْرِيط ، فخرج نحو طلمنكة فغزا وغنم ثمَّ اعترضته خيل العدو عند قفوله فاستشهد في ثمانية عشر من المسلمين لم يصب من العسكر غيرهم وأوتي بجثته فدفنت بطلمنكة سنة ٥٣٢٤هـ/٩٣٥م^(١)

٢- أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي عيسى لب بن يحيى بن محمد بن قزلمان المعافري المقرئ الطلمنكي من أهل طلمنكة ، يكنى: أبا عمر ، محدث ومقرئ ، سكن أول الأمر قرطبة ، له

(١) ابن الأبار، التكملة، ١/١٥، الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٤/١٤٤.

رحلة إلى المشرق فحج وروى عن جماعة من محدثي مكة ثم رحل إلى المدينة ودخل مصر والقيروان ثم انصرف إلى الأندلس ، بعلم كثير ، وكان: أحد الأئمة في علم القرآن العظيم قراءته وإعرابه ، وأحكامه ، وناسخه ، ومنسوخه ، ومعانيه ، وله العديد من المصنفات ، منها: كتاب الدليل إلى معرفة الجليل نحو مائة جزء ، وكتاب في تفسير القرآن ، وكتاب البيان في إعراب القرآن ، وكتاب وفضائل مالك ورجال الموطأ ، وكتاب الرد على ابن مسرة ، وكتاب الوصول إلى معرفة الأصول ، ظهر فيها علمه ، واستبان فيها فهمه ، وكانت له عناية كاملة بالحديث ونقله وروايته وضبطه ومعرفة برجاله وحملته ، حافظاً للسنن ، جامعاً لها ، إماماً فيها ، عارفاً بأصول الديانات ، مظهراً للكرامات ، قديم الطلب للعلم ، مقدماً في المعرفة والفهم ، على هدى وسنة واستقامة ، وكان: سيفاً مجرداً ، على أهل الأهواء والبدع ، قامعاً لهم ، غيوراً على الشريعة ، شديداً في ذات الله تعالى . سكن قرطبة ، وأقرأ الناس بها محتسباً ، وأسمعهم الحديث ، والتزم الإمامة بمسجد متعة منها ، ثم خرج إلى الثغر فتجول فيه ، وانتفع الناس بعلمه ، وقصد طلمنكة بلده في آخر عمره فتوفي فيها بعد طول التجول والاعتراب ، أبو القاسم إسماعيل بن عيسى بن محمد الحجاري عن أبيه قال: خرج علينا أبو عمر الطلمنكي يوماً ونحن نقرأ عليه فقال: اقرأوا وأكثروا فإنني لا أتجاوز هذا العام. فقلنا له: ولم يرحمك الله؟ فقال: رأيت البارحة في منامي منشداً ينشدني:

اغتنموا البر بشيخ ثوى ترحمه السوقة والصيد

قد ختم العمر بعيد مضى ليس له من بعده عيد

قال: فتوفي في ذلك العام ، وكانت وفاته سنة ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م^(١).

٣- سعيد بن عثمان ، من أهل مكادة ، يكنى أبا عثمان ، وكان معنياً بالحديث وسماعه وتقييده ، قال ابن بشكوال: وحدث ورأيت السماع عليه مقيداً في كتابه سنة ٤٢١هـ / ١٠٣٠م بطلمنكة في جامعها^(٢).

٤- الضحاك بن سعيد الثغري ، قال ابن بشكوال: ممن قرأ على أبي عمر المقرئ الطلمنكي وأخذ عنه سنة ٤٢٨هـ / ١٠٣٦م^(٣) ، ولما كان أبو عمر الطلمنكي آنذاك في طلمنكة حيث توفي بعد سنة من هذا التاريخ^(٤) ، فالراجح أن الضحاك بن سعيد الثغري التقى بأبي عمر الطلمنكي في طلمنكة.

٥- عبد الله بن أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد الله بن لب المعافري الطلمنكي ، من أهل طلمنكة ، يكنى: أبا بكر ، محدث روى عن أبيه كثيراً من روايته وصحبه كثيراً ، وسمع

١ (الحميدي، جذوة المقتبس، ص ١١٤ ؛ القاضي عياض، ترتيب المدارك، ٣٢/٨ - ٣٣؛ ابن بشكوال، الصلة، ص ٤٨- ٤٩ ؛ الضبي، بغية الملتبس، ص ١٦٢ قال توفي سنة ٤٢٨هـ / ١٠٣٦م ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٩/ ٢٥٢ - ٢٥٣ ؛ سير أعلام النبلاء، ١٣/ ٢١٩ - ٢٢٠ .

٢ (الصلة، ص ٢١٣ .

٣ (الصلة، ص ٢٣٤ .

٤ (القاضي عياض، ترتيب المدارك، ٣٢/٨ - ٣٣ .

أيضاً مع أبيه من جماعة من شيوخه ، وقد أخذ عنه الناس ،
وتوفي أبوه سنة ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م ، فهو من أبناء القرن الخامس
الهجري / الحادي عشر الميلادي (١).

٦- غانم بن الأسقطير الطلمنكي ، من أهل طلمنكة قال ابن
سعيد: ((مال إلى العلم الرياضي وشغف بالكيمياء وأفسد
عليها جملة وتحيل على ابن ذى النون من طريقها ، وسقى
علماً له جميل الصورة مرقداً وكتب على حائط الدار التي
كان فيها وهرب:

نَعَمْ إِنِّي بِالْكَيمِيَاءِ نَعَالِمٌ

بَهَا مَنْ دُوُّهُ أَلْفُ حَاجِبٍ

وَأَخْلَسُ أَمْوَالاً وَأَضْحَكُ خَالِيًا

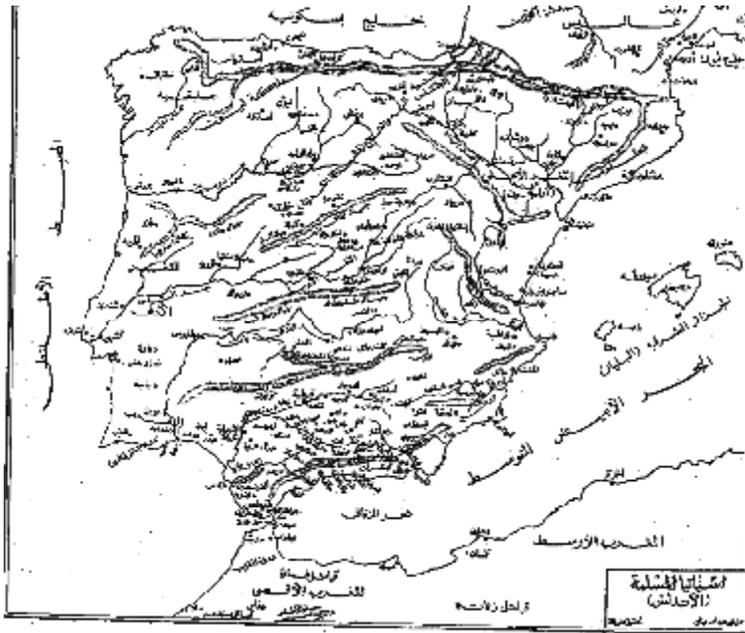
على ملكٍ لَمْ يَنْتَفِعْ بِالتَّجَارِبِ)) (٢)

٧- محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن لب بن يحيى
بن محمد بن قزلمان المعافري الطلمنكي ولد أبي عمر
الطلمنكي يكنى أبا بكر ، وهو محدث أيضاً ، شارك أباه في
عدة من شيوخه الجلة وأقرأ القرآن وحدّث ، ولد سنة ٣٦٧هـ
/ ٩٧٧م ، وتوفي قبل سنة ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م (٣).

١ (ابن بشكوال، الصلة، ص ٢٦٢ .

٢ (المغرب في حلى المغرب، ٤٣/٢ .

٣ (ابن الأبار، التكملة، ٣١١/١ .



خارطة الأندلس توضح فيها أهم الأماكن التي وردت في الكتاب

عن: عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص ١٥ .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر القديمة

- ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م)
- ١- التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٩٩٥م
- ٢- الحلة السيرة، تحقيق حسين مؤنس، ط ٢، مصر ١٩٨٥م
- ابن الأثير، علي بن أبي الكرم بن عبد الكريم الجزري (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)
- ٣- الأندلس من الكامل في التاريخ، جمعه وحقق نصوصه جاسم ياسين الدرويش، ط ١، دمشق، ٢٠١٥م
- الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحميري الحسني (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٤م).
- ٤- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط ١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩م.
- الاصلطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (منتصف القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي)
- ٥- المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال، مراجعة محمد شفيق غريال، القاهرة، ١٩٦١م.
- ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة (ت ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م)
- ٦- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، مكتبة الحياة، بيروت، د. ت.
- ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ / ١١٤٧م)

- ٧- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق إحسان عباس ، ط١ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ٢٠٠٠ م .
- ابن بشكوال ، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ / ١١٨٢م)
- ٨- الصلة في تاريخ علماء الأندلس ، قدم له وضبطه صلاح الدين الهواري ، ط٢ ، مطبعة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٥٥ م .
- البكري ، أبو عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م)
- ٩- المسالك والممالك ، منشورات دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٢ م .
- ابن الجزري ، محمد بن محمد بن يوسف (ت ٨٣٣هـ / ١٤٢٠م)
- ١٠- غاية النهاية في طبقات القراء ، عني بنشره برجستراسر ، مكتبة ابن تيمية ، ١٣٥١هـ
- حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله (ت ١٠٦٧هـ / ١٦٥٦م)
- ١١- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩٤١ م .
- ابن حجر ، أحمد بن محمد بن علي الهيتمي (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م)
- ١٢- الفتاوى الحديثية ، دار الفكر ، بيروت ، ب . ت .
- ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م)
- ١٣- جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم ، ط٤ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٧ م .
- ١٤- رسائل ابن حزم ، تحقيق إحسان عباس ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٨٧ م .
- ١٥- طوق الحمامة في الألفة والألاف ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، ١٩٨٧ م .
- الحميدي ، محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي (ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م)
- ١٦- جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر ، الدار المصرية للتأليف والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .
- الحميري ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت : حوالي ٧١٠هـ / ١٣١٠م)

- ١٧- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط٢، بيروت، ١٩٨٠م.
- ١٨- صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، نشرها وصححها وعلق حواشيتها إ- ليفي بروفنسال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٧م.
- ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م)
- ١٩- صورة الأرض، ط٢، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٣٨م.
- ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف (ت ٤٦٩هـ / ١٠٧٦م)
- ٢٠- المقتبس من أنباء أهل الأندلس، (للقبلة ١٨٠- ٢٣٢هـ / ٧٩٦- ٨٤٦م) تحقيق محمود علي مكي، ط١، الرياض، ٢٠٠٣م.
- ٢١- المقتبس من أنباء أهل الأندلس (للقبلة ٢٣٢- ٣٦٧هـ / ٨٤٦- ٨٨٠م) تحقيق محمود علي مكي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٣م.
- ٢٢- المقتبس من أنباء أهل الأندلس (للقبلة ٢٧٥- ٣٠٠هـ / ٨٨٨- ٩١٢م)، تحقيق إسماعيل العربي، ط١، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، ١٩٩٠م.
- ٢٣- المقتبس من أنباء أهل الأندلس (للقبلة ٣٠٠- ٣٣٠هـ / ٩١٢- ٩٤١م)، تحقيق ب. شالميتا بالتعاون مع كورنيطي وم. صبح، منشورات المعهد العربي للثقافة، مدريد، ١٩٧٩م.
- ٢٤- المقتبس من أنباء أهل الأندلس (للقبلة ٣٦٠- ٣٦٤هـ / ٩٧٠- ٩٧٤م)، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥م.
- ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله القيسي الاشبيلي (ت ٥٢٩هـ / ١١٣٤م)
- ٢٥- قلائد العقيان في محاسن الأعيان، طبعة بولاق، ١٨٦٦م.
- ابن الخراط، أبو محمد (ت ٥٨١هـ / ١١٨٥م)
- ٢٦- اختصار اقتباس الأنوار، تقديم وتحقيق ايميليو مولينا وخافينتو بوسيك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون العربي، مدريد، ١٩٩٠م.
- الخطيب، البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م)

- ٢٧- تاريخ بغداد ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٧هـ .
- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد التلمساني (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م) .
- ٢٨- أعمال الأعلام في من بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام المسمى بتاريخ اسبانيا الإسلامية، تحقيق سيد كسروي حسن ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٣م .
- ٢٩- الإحاطة في أخبار غرناطة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ .
- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)
- ٣٠- تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، تحقيق خليل شحادة ، ط٢ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٨م .
- ابن خلكان ، أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)
- ٣١- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر، بيروت.
- ابن دحية ، عمر بن دحية الكلبي (ت ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م)
- ٣٢- المطرب من أشعار أهل المغرب ، قدم له وضبطه صلاح الدين الهواري، ط١ ، بيروت ، ٢٠٠٨م .
- الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)
- ٣٣- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق بشار عواد ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ٢٠٠٣م .
- ٣٤- سير أعلام النبلاء ، دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠٦م .
- ٣٥- دول الإسلام ، اعتنى بتصحيحه محمد طه البديوي وآخرون ، ط٢ ، الهند ، ١٩٤٥م .
- ٣٦- معرفة القراء الكبار ، تحقيق بشار عواد وشعيب الارناؤوط ، ط١ ، بيروت ١٤٠٤هـ
- الرشاطي ، أبو محمد (ت ٥٤٢هـ / ١١٤٧م)

- ٣٧- الأندلس في اقتباس الأنوار ، تحقيق وتقديم إيميليو لولينا
وخانثين تو بوسيك بيلا ، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، مدريد
١٩٩٠ م .
- الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م)
٣٨- تاج العروس من جواهر القاموس ، منشورات ، دار الهداية ، د . ت .
- ابن أبي زرع ، أبو الحسن علي بن عبد الله (كان حيا سنة ٧٢٦هـ /
١٣٢٥م)
- ٣٩- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ
مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط ، ١٩٧٢م .
- الزهري ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت بعد ٥٤١هـ / ١١٥٤م)
٤٠- كتاب الجغرافية ، اعتنى بتحقيقه محمد حاج صادق ، مكتبة
الثقافة الدينية ، بورسعيد .
- السخاوي ، شمس الدين (ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م)
٤١- الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة ، تحقيق شادي بن محمد بن
سالم ، ط١ ، صنعاء ، اليمن ، ٢٠١١م .
- ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م)
٤٢- الطبقات الكبرى ، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب
العلمية ، بيروت ، ١٩٩٠م .
- ابن سعيد ، علي بن موسى (ت ٦٧٣هـ / ١٢٧٤م أو ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م)
٤٣- كتاب الجغرافيا ، تحقيق إسماعيل العربي ، المكتبة التجارية
للطباعة ، بيروت ، ١٩٧٠م .
- ٤٤- المغرب في حلى المغرب ، تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر، ج١،
١٩٥٣ م، ج٢، ١٩٥٥ م .
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م)
٤٥- المخصص ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٩٦م .
- السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م)
٤٦- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل
إبراهيم، المكتبة العصرية - لبنان، صيدا.

- ٤٧- نزهة الجلساء في أشعار النساء ، تحقيق محمد سعيد ، مكتبة الإيمان ، مصر .
- شيخ الربوة ، أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري (ت٧٢٧هـ / ١٣٢٦م)
- ٤٨- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٨م.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)
- ٤٩- الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، ٢٠٠٠م.
- الضبي، أبو جعفر أحمد بن عيسى (ت ٥٩٩هـ/١٢٠٢م)
- ٥٠- بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، دار الكتاب العربي ، القاهرة، ١٩٦٧م .
- ابن عبد الحق ، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت٧٣٩هـ / ١٣٣٨م)
- ٥١- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، دار الجيل ، ط١، بيروت، ١٤١٢هـ.
- ابن عبد الحكم ، عبد الرحمن بن عبد الله (ت٢٥٧هـ/٨٧٠م)
- ٥٢- فتوح مصر والمغرب، تحقيق علي محمد عمر، القاهرة ١٩٩٥م .
- عبد الغني البغدادي ، معين الدين محمد بن عبد الغني (ت٦٢٩هـ/ ١٢٣١م)
- ٥٣- التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، دار الكب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٨م .
- ابن عبد الملك المراكشي ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك (ت٧٠٣هـ / ١٣٠٣م)
- ٥٤- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، السفر الخامس ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٥م .

- ابن عناري المراكشي ، أبو العباس أحمد بن محمد (ت بعد ٧١٢هـ / ١٣١٢م)
- ٥٥- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج.س. كولان وإ- ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥١م؛ ج٢، ج٣ تحقيق ومراجعة ج.س. كولان وإيفي بروفنسال ، ط٣ ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٣م؛ ج٤ ، تحقيق إحسان عباس، بيروت ، ١٩٦٧م ، والجزء الخاص بالموحدين تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون ، ط١ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٥م.
- العذري ، أحمد بن عمر بن أنس (ت ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م)
- ٥٦- نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتوزيع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني ، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، دت.
- ابن عسكر ، أبو عبد الله بن عسكر (ت ٦٣٦هـ / ١٢٢٨م ، وابن خميس ، أبو بكر بن خميس (ت ٦٣٩هـ / ١٢٤١م)
- ٥٧- مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار ، ، تقديم وتخريج وتعليق عبد الله المرابط التفي ، ط١ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ودار الأمان ، الرباط ، ١٩٩٩م .
- العماد الأصفهاني، محمد بن محمد بن حامد الكاتب (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م)
- ٥٨- خريدة القصر وجريدة العصر ، تحقيق أذرتاش أذرنوش ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٧١م .
- العمري ، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م)
- ٥٩- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، ط١ ، أبو ظبي ، ١٤٢٣هـ .
- ابن غالب ، محمد بن أيوب بن غالب البلسني (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م)
- ٦٠- قطعة من كتاب فرحة الأنفس عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة، تحقيق لطفي عبد البديع ، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٥٦م.
- الغساني، محمد الغساني الأندلسي (ت كان حياً ١١٠٢هـ / ١٦٩٠م)

- ٦١- رحلة الوزير في افتكاك الأسير ، حررها وقدم لها نوري الجراح ، ط١ ، أبو ظبي ، ٢٠٠٢م .
- أبو الفدا ، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م)
- ٦٢- تقويم البلدان ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ، ١٨٤٠م .
- الفراهيدي ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ / ٧٨٦م)
- ٦٣- كتاب العين ، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، دار الهلال ، بيروت .
- ابن فرحون ، إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري (ت ٧٩٩هـ / ٣٩٦م)
- ٦٤- الدباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، تحقيق وتعليق محمد
- ابن الفرضي ، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف (ت ٤٠٣هـ / ١٠١٢م)
- ٦٥- تاريخ علماء الأندلس ، تحقيق روحية عبد الرحمن السويدي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧م .
- الفيروزآبادي ، محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ / ١٤١٤م)
- ٦٦- القاموس المحيط ، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، ط٨ ، بيروت ، ٢٠٠٥م .
- القاضي عياض ، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤هـ / ١١٤٩م)
- ٦٧- ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، ج١ تحقيق ابن تاووت الطنجي ، ج ٢ ، ٣ ، ٤ ، تحقيق عبد القادر الصحراوي ، ج٥ تحقيق محمد شريفة ، ج٦ ، ٧ ، ٨ ، تحقيق سعيد أحمد أعراب ، مطبعة فضالة - المحمدية ، المغرب .
- القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م) .
- ٦٨- آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٩م .
- ابن القطان ، حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي المراكشي (ت ٦٢٨هـ / ١٢٣٠م)
- ٦٩- نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان ، تحقيق محمود علي مكي ، ط٢ ، دار الغرب العربي ، بيروت ، ١٩٩٠م .

- القفطي ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م)
- ٧٠- أنباه الرواة على أنباه النحاة، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٢٤هـ .
- القلقشندي ، أحمد بن علي بن أحمد (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م)
- ٧١- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م)
- ٧٢- تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، بيروت، ١٩٥٧م.
- ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك التوزري (من علماء القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي)
- ٧٣- تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط ، نسان جديان، تحقيق أحمد مختار العبادي، مطبعة الدراسات الإسلامية ، مدريد، ١٩٧١م.
- مجهول ، مؤلف (ت القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي).
- ٧٤- أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، مجريط ، ١٨٦٧م.
- مجهول ، مؤلف (ت في حدود ٨٩٥هـ / ١٤٨٩م).
- ٧٥- تاريخ الأندلس، تحقيق عبد القادر بوياية، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت، ٢٠٠٧م.
- مجهول ، مؤلف (ت بعد ٣٧٢هـ / ٩٨٢م)
- ٧٦- حدود العالم من المشرق إلى المغرب ، ترجمه عن الفارسية وحققه يوسف الهادي ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٤٢٣هـ .
- مجهول، مؤلف (من أهل القرن الثامن الهجري ، / الرابع عشر الميلادي)
- ٧٧- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة ، الدار البيضاء ، ١٩٧٨م .
- مجهول ، مؤلف (كان حياً ٧١٢هـ / ١٣١٢م)
- ٧٨- مفاخر البربر ، تحقيق عبد القادر بوياية ، ط١ ، الرباط ، ٢٠٠٥م .
- المراكشي ، عبد الواحد بن علي (ت ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م)
- ٧٩- المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، وضع حواشيه خليل عمران المنصور ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٥م .
- المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م)

- ٨٠- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق يوسف البقاعي، ط٢، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١١م.
- المقدسي، أبو عبد الله أحمد بن محمد الشافعي البشاري (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)
- ٨١- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وضع مقدمته وحواشيه محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٧م.
- المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت: ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م).
- ٨٢- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م)
- ٨٣- لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.
- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق (ت ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م)
- ٨٤- الفهرست، تحقيق إبراهيم رمضان، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٧م.
- النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)
- ٨٥- تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط (إفريقية والمغرب- الأندلس- صقلية واقريطش ٢٧- ٧١٩هـ/ ٦٤٧- ١٣١٩م)، من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، د.ت.
- ٨٦- نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب، ط١، دار الكتب، القاهرة، ١٤٢٣هـ.
- ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد الكندي (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)
- ٨٧- تاريخ ابن الوردي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)
- ٨٨- الأندلس من معجم البلدان، حققه وعلق عليه جاسم ياسين الدرويش، ط١، البصرة ٢٠١٢م.
- ٨٩- معجم البلدان، دار صادر، ط٣، بيروت ٢٠٠٧م.

- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح (ت ٢٨٤هـ / ٨٩٧م أو بعد سنة ٢٩٢هـ / ٩٠٤م)
- ٩٠- البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨م.
- ابن يونس، عبد الرحمن بن أحمد بن يونس المصري (ت ٣٤٧هـ /)
- ٩١- تاريخ ابن يونس، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ .

ثانياً: المراجع الحديثة

- أدهم، علي
- ١٥- المعتمد بن عباد، بيروت، د . ت .
- أرسلان، شكيب
- ٢- الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، ط١، المطبعة الرحمانية، مصر، ١٩٣٦م.
- أشباخ، يوسف
- ٣- تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٠م .
- البغدادي، إسماعيل بن محمد أمين
- ٤- هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، وكالة المعارف، استانبول، ١٩٥٥م
- بوفلاحة، سعد
- ٥- الشعر النسوي الأندلسي، أغراضه وخصائصه الفنية، دار الفكر، بيروت ٢٠٠٣م .
- الحججي، عبد الرحمن علي .
- ٦- التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة (٩٢- ٨٩٧هـ / ٧١٠- ١٤٩١م) ط١، بغداد، ١٩٧٦م .
- حتاملة، محمد عبده
- ٧- ايبيريا قبل مجيء العرب المسلمين، عمان، ١٩٩٦م .
- حسين، حمدي عبد المنعم محمد
- ٨- ثورات البربر في الأندلس في عصر الإمارة الأموية (١٣٨- ٣١٦هـ / ٧٥٦- ٩٢٨م)، الإسكندرية، ١٩٩٣م .

- الخطابى ، محمد محمد
- ٩- مدريد ، حضور إسلامى على امتداد العصور ، على الموقع الإلكتروني
m.hwspress.com.
- خلف ، سالم عبد الله
- ١٠- نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس ، ط١ ، المدينة المنورة ،
٢٠٠٢م.
- الخوند ، مسعود
- ١١- الموسوعة الجغرافية التاريخية ، دار رواد النهضة ، بيروت ، ١٩٩٤م .
- الدرويش ، جاسم ياسين
- ١٢- أعلام نساء الأندلس ، ط١ ، البصرة ٢٠١٠م .
- دندش ، عصمت عبد اللطيف
- ١٣- الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحديين ، ط١ ، دار الغرب
الإسلامي ، بيروت ١٩٨٨م .
- دوزي ، رينهرت
- ١٤- المسلمون في الأندلس ، ترجمة حسن حبشي ، مصر ، ١٩٨٤م .
- ١٥- ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام ، ترجمة كامل كيلاني ،
ط١ ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، القاهرة ، ١٩٣٣م .
- ديورانت ، ويليام جيمس
- ١٦- قصة الحضارة ، ترجمة زكي نجيب محمود وآخرون ، تقديم محي
الدين صابر ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨٨م .
- الذنون ، عبد الحكيم
- ١٧- آفاق غرناطة ، بحث في التاريخ السياسي والحضاري العربي ، دار
المعرفة ، دمشق ، ١٩٨٨م .
- الزركلي ، خير الدين محمود
- ١٨- الأعلام ، دار العلم للملايين ، ط١٥ ، ٢٠٠٢م .
- سالم ، السيد عبد العزيز
- ١٩- تاريخ المسلمين وآثارهم بالأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة ،
ط٢ ، القاهرة ١٩٨٦م .
- ٢٠- المساجد في الأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٦م .

- السامرائي، خليل إبراهيم وآخرون.
 ٢١- تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٨٦م.
 - السامرائي، خليل إبراهيم.
 ٢٢- الثغر الأعلى الأندلسي دراسة في أحواله السياسية ٩٥- ٣١٦هـ/
 ٧١٣- ٩٢٨م، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٧٦م.
 ٢٣- علاقات المرابطين بالممالك الأيبانية بالأندلس وبالذول الإسلامية، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٦م.
 - السرجاني، راعب
 ٢٤- العاصمة الأوربية التي أنشأها العرب، على الموقع الإلكتروني: islamicstory.com.
 - سلمى سلمان علي
 ٢٥- المرأة في الشعر الأندلسي، عصر الطوائف (٤٠٠ - ٤٨٤هـ)، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، القاهرة ٢٠٠٦م.
 - الشكعة، مصطفى
 ٢٦- الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، بيروت ١٩٧٥م.
 - شهود، طاظم
 ٢٧- مدينة وادي الحجارة الأندلسية، آثار وعمارة، مقالة على الموقع الإلكتروني: <http://almothaqaf.com>.
 - طه، عبد الواحد ذنون.
 ٢٨- دراسات أندلسية ط١، الموصل، ١٩٨٦م.
 ٢٩- الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقيا والأندلس، منشورات وزارة الثقافة والأعلام، بغداد، ١٩٨٢م.
 - العبادي، أحمد مختار
 ٣٠- في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية، بيروت، ب، ت.
 - عبد البديع، لطفي
 ٣١- الإسلام في أسبانيا، ط٢، القاهرة، ١٩٦٩م.
 - أبو عبيدة، طه عبد المقصود
 ٣٢- موجز عن الفتوحات الإسلامية، دار النشر للجامعات، القاهرة.

- العتيبي ، محمد سعيد رضا علو ، والعامري ، محمد بشير حسن راضي .
 ٣٣- تاريخ المغرب والأندلس في العصر الإسلامي ، بغداد ، ٢٠٠٢ م .
 عجاج ، أمن
- ٣٤- مدريد ، تاريخ عربي يلفه النسيان ، مقال على الموقع الإلكتروني:
www.aljazeera.net .
- العلياوي ، حسين جبار
- ٣٥- البشكنس دراسة تاريخية في أحوالهم العامة في الأندلس حتى سنة
 ٤٢٧هـ / ١٠٣٥م ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة
 البصرة ، ٢٠١١م .
- ٣٦- الحملات الصليبية على الأندلس حتى نهاية دولة المرابطين ، رسالة
 ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة البصرة ، ٢٠٠٥م .
- العمامرة ، محمد نايف جريوان
- ٣٧- مراحل سقوط الثغور الأندلسية بيد الأسبان ، رسالة ماجستير غير
 منشورة ، كلية الآداب ، الجامعة الأردنية ، ١٩٨٩م .
- عنان ، محمد عبد الله
- ٣٨- الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال دراسة تاريخية أثرية ،
 ط٢ ، القاهرة ، ١٩٩٧م .
- ٣٩- دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي ، ط١ ، مطبعة
 التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٠م
- ٤٠- دولة الإسلام في الأندلس ، ط٣ ، مطبعة التأليف والترجمة والنشر ،
 القاهرة ، ١٩٦٠م
- ٤١- عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، ط١ ، مطبعة
 التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٤م .
- الغنيمي ، عبد الفتاح مقلد
- ٤٢- كيف ضاع الإسلام من الأندلس بعد ثمانية قرون (مأساة الفردوس
 المفقود) ٩٢- ٨٩٧هـ / ٧١١- ١٤٩٢م ، د. م ، ١٩٩٣م .
- فواز العاملية ، زينب بنت علي (ت ١٩٤١م)
- ٤٣- الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ، وضع حواشيه وعلق عليه محمد
 أمين ضناوي ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت ١٩٩٩م .

- القمي ، عباس
- ٤٤- الكنى والألقاب المطبعة الحيدرية ، النجف، ١٩٧٠م.
- كراتشوفسكي ، أغناطيوس يوليانوفتش
- ٤٥- تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم، القاهرة، ١٩٦٣م .
- كولان ، ج . س .
- ٤٦- الأندلس ، لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية ، دارالكتاب اللبناني، ط١ ، بيروت ، ١٩٨٠م .
- ثودر، دروثي
- ٤٧- أسبانيا شعبها وأرضها ، ترجمة طارق فودة ، القاهرة ، ١٩٦٥م .
- ماجد ، عبد المنعم
- ٤٨- التاريخ السياسي للدولة العربية الإسلامية ، عصر الخلفاء الأمويين، ط٧ مصر ١٩٨٢م.
- مكي، الطاهر
- ٤٩- دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة ، دار المعارف ، مصر ١٩٨٠م.
- مكي ، محمود علي
- ٥٠- ثورة عبد الله بن المهدي في مجريط ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد، مجلد(١٠.٩) لسنة١٩٦١- ١٩٦٢م، من القسم الأوربي.
- ٥١- وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، ٧م ، ٨م ، ١٩٥٩- ١٩٦٠م .
- ٥٢- الموسوعة الحرة على البريد الإلكتروني : ar.m.wikipedia.org
- المياح ، عبد الرحمن رشك شنجار
- ٥٣- أوربا في كتب البلدانين العرب المسلمين ، دراسة في الأحوال الطبيعية والبشرية والاقتصادية ، ق٣- ٨/هـ ٩- ١٤م ، بغداد، ٢٠٠٨م .
- مؤنس، حسين.
- ٥٤- فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية٩٢- ١٣٨هـ/٧١٠- ٧٥٥م، ط١، القاهرة، ١٩٥٩م.

- ناجي، عبد الجبار

٥٥- دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية، جامعة البصرة، ١٩٨٠ م.
هنتس، فالتر

٥٦- المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادتها في النظام المتري، ترجمه
عن الألمانية كامل العسلي، عمان ١٩٧٠ م.

Stewart , Jules , Madrid the History . London , Tauris ,
2012.

المحتويات

- المقدمة	
- مدينة مجريط (مدريد)	١١
- أولاً: الجغرافية التاريخية لمدينة مجريط	١٣
- ثانياً: التاريخ السياسي لمدينة مجريط	٢١
- ثالثاً: حضارة المسلمين في مدينة مجريط	٤٨
- مدينة وادي الحجارة	٥٩
- أولاً: الجغرافية التاريخية لمدينة وادي الحجارة	٦١
- ثانياً: التاريخ السياسي لمدينة وادي الحجارة	٧٠
- ثالثاً: حضارة المسلمين في مدينة وادي الحجارة	١٠٥
- مدينة أقليمش	١٢٩
- أولاً: الجغرافية التاريخية لمدينة أقليمش	١٣١
- ثانياً: التاريخ السياسي لمدينة أقليمش	١٣٧
- ثالثاً: الحياة الفكرية في مدينة أقليمش	١٧٤
- مدينة طلمنكة	١٨٢
- أولاً: الجغرافية التاريخية لمدينة طلمنكة	١٨٣
- ثانياً: التاريخ السياسي لمدينة طلمنكة	١٩١
- ثالثاً: الحركة الفكرية في مدينة طلمنكة	٢١٧
- المصادر والمراجع	٢٢٣

